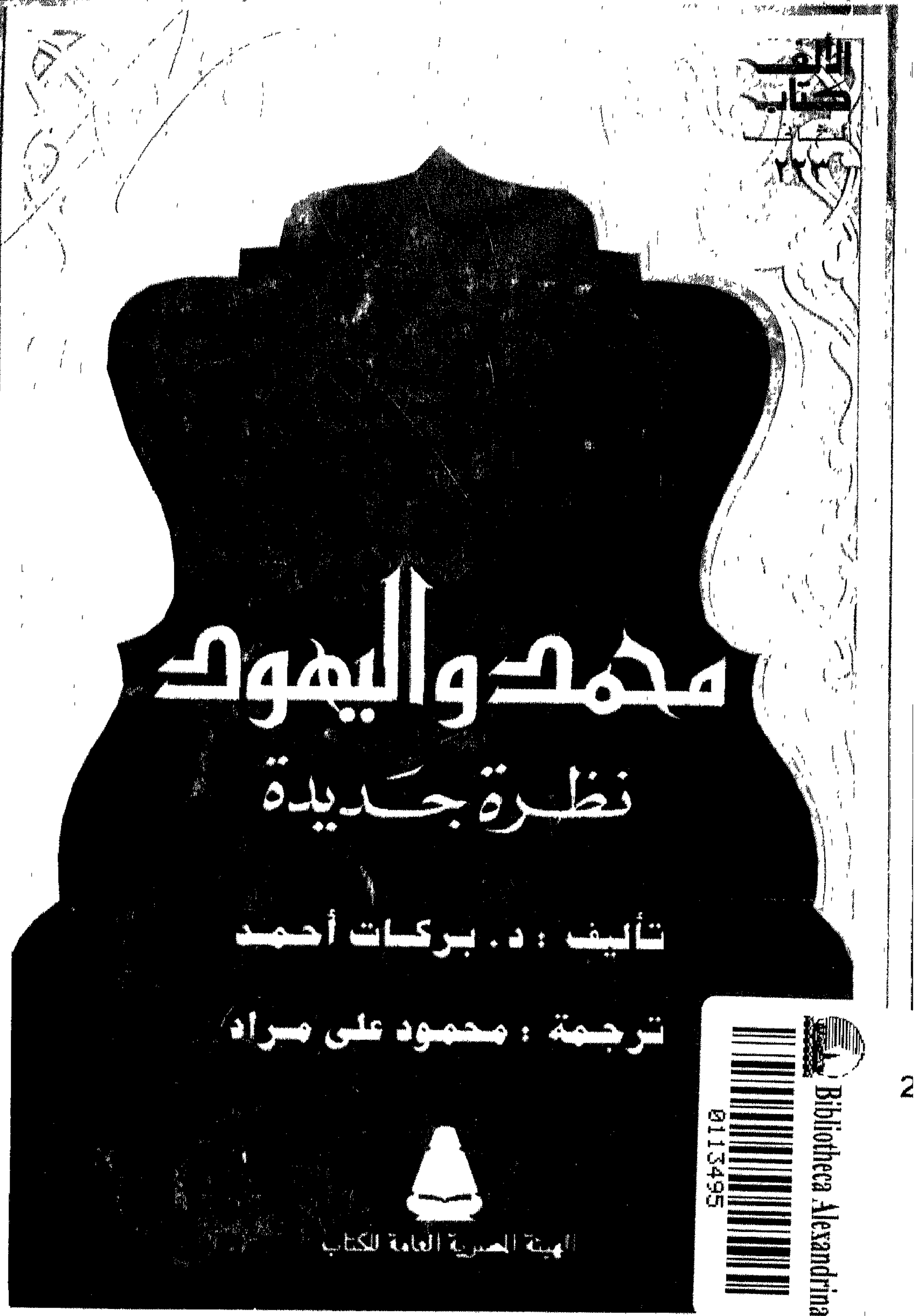

الألف كتاب
الثانى
٢٢٣
محمد واليهود
نظرة جديدة
تأليف : د. بركات أحمد
ترجمة : محمود على مراد
الهيئة المصرية العامة للكتاب



مُحَمَّد واليهُود

نظـرة جـديدة

الألف كتاب الثانى

الإشراف العام

د. سمير سرحان

رئيس مجلس الإدارة

رئيس التحرير

أحمد صليحة

سكرتير التحرير

عزت عبدالعزيز

الإخراج الفنى

محسنة عطية

محمد واليهود

نظرة جديدة

بقلم : الكاتب الهندى

د. بركات أحمد

ترجمة
محمود على مراد



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٦



إهــــــداء

إلى روح عبد العزيز

كليفورنيا ترينيداد

﴿وَعَدَ اللهُ الَّذين آمنُوا وعَمِلُوا
الصَّالحاتِ لهم مَغْفِرَةً وأجْرٌ عظيمٌ﴾
(سورة المائدة ـ الآية ٩).



الفهـــــرس

الخـــرائط



شكر

أدين بالشكر لدور النشر التالية لترخيصها لى بالاقتباس من الكتب الآتية :

مطبعة جامعة برنستون لكتاب «التاريخ: تذكره واستعادته واصطناعه » لبرنارد لويس ، ومطبعة جامعة كولومبيا لكتاب « تاريخ اجتماعى وديني لليهود » لسالو ويتمايربارون ، ومطبعة جامعة أوكسفورد لكتابى « محمد فى المدينة » ، و « محمد فى مكة » لمونتجمرى واط ، وكتابى « حياة محمد » و « سنة الاسلام » : مقدمة لدراسة أدب الحديث النبوى « لغليوم » ، ومطبعة كاليفورنيا لكتاب « من مجتمعات البحر المتوسط » لجويتاين ، وشركة كتب شوكن لكتاب « اليهود والعرب » لجويتاين ، وشركة أولاد شارل سكريبنر لكتاب « تشكيل التاريخ اليهودى » لاليس ريفكين ، وكتب هينمان التعليمية لكتاب « المؤرخ الناقد » لكتسون كلارك ، وشركة مارلين بريس ليمتد لكتاب « التاريخ والنظرية الاجتماعية » لغوردون ليف ، وكتب بانثيون وهى فرع لشركة راندوم هاوس ، وآلن لين ، شركة بنجوين للنشر ليمتد لكتاب « محمد » لمكسيم رودنسون ، ترجمة : آن كارتر ، وشركة ماكميلان للنشر لكتاب افرسلى بلفيلد « تحدى وتحمل » ، وشركة سيمون وشوستر لكتاب « كومونولث الله » ل ف . ا . بترز ، و ا . ج بريل لدائرة معارف الاسلام .

كذلك فاننى أزجى الشكر لناشرى مجلات « العالم الاسلامى » ، و « الثقافة الاسلامية » ، و « جريدة علم

الاجتمـاع الدوليـة » (اليونسـكو) ، و « نشرة مكتبـة جون ريلاند » لاذنهم لى بنشر مقتطفات من صحفهم ·

هذا وقد نقلت التصدير من كتاب « التاريخ : تذكره واستعادته واصطناعه» لبرنارد لويس، صفحتى ٥٤ ـ ٥٥، كما نقلت التعقيب من كتاب « تشكيل التاريخ اليهـودى » لآليس ريفكين، الصفحات ١٠٦ ـ ١٠٧ و ١١٨ ـ ١١٩ · وقد نقلت أيضـا المقتطفات الاستهلالية التى صدرت بهـا مختلف الفصول من الكتب الآتية : الفصل الأول ، من كتاب « تاريخ اجتماعى ودينى لليهود » لسول ويتماير بارون ، الجـزء الثالث ، ص ٦٥ ، الفصـل الثـانى ، من كتـاب « كومونولث الله » ل ف ٠ ا ٠ بترز ، ص ٦٣ ، الفصـل الثالث والفصل الخامس من كتاب «محمد» لمكسيم رودنسون، ص ١٦٠ و ٢١٤ ، والفصـل الرابع من كتـاب « المـؤرخ الناقد » لكتسون كلارك ، ص ٥١ ، والفصل السـادس من كتاب « الفكر التاريخى عند الاغريق » لأرنولد ج توينبى، ص ١٠٣ ·

تقديم

العلاقات بين مجموعات الناس ، لا سيما حين يكون للدين دخل فيها ، علاقات يكثر فيها النزاع وتكثر المعاناة . وقصص من استشهدوا فى سبيل دينهم تغذى الخرافات ، كما أن التحامل على الآخرين يضيف مرارة للأساطير . والاعتبارات السياسية وكتابات العلماء المتحيزين تخلع على الأساطير ثوب التاريخ . وما روى عن علاقات محمد بيهود الحجاز لم يكن الا أسطورة من هذه الأساطير . وقد قمت بتحليل هذه الفترة المبكرة من فترات التاريخ الاسلامى الذى قبل المؤرخون ، المسلمون منهم وغير المسلمين ، ما ورد فيه على علاته دون تمحيص .

واذا نجحت نظرتى الجديدة فى اثارة شكوك وجيهة بشأن الشواهد التى تستند اليها الروايات المذكورة فسأعتبر أن محاولتى كانت تستحق أن تبذل .

وأود أن أخص بالذكر ، من بين الأصدقاء العديدين الذين مدوا لى يد المساعدة فى المراحل المختلفة المتوالية لهذه الدراسة ، البروفسور برنارد لويس ، والبروفسور نيقولا زيادة ، والبروفسور حسين محمد جفرى . وقد أعاننى البروفسور نيقولا زيادة على صياغة أفكارى حين لم يكن هذا

الكتاب يزيد كثيرا عن مجرد مادة فى حديث ، ولولا تشجيعه لما قدر لهذا الكتاب أن يظهر الى حيز الوجود • وقد نقد البروفسور حسين محمد جفرى كل فصل من فصول هذا الكتاب فى مسودته الأولى نقدا تفصيليا • وقرأ البروفسور برنارد لويس مخطوط الكتاب كلمة كلمة وقدم لى مقترحات عملية قيمة تأثر بها كل فصل من فصول هذا الكتاب تقريبا •

وأنا أغبط نفسى كثيرا لأنى تنبهت بفضل تحذيراته للمزالق العديدة التى يتعرض لها بالضرورة مثل هذا الكتاب • وقد أضفت تعليقاته السديدة ، وما أسداه الى من نصح بشأن قيمة المصادر الاسلامية واليهودية أعظم الفائدة للكتاب • ودينى لهؤلاء الأصدقاء ، الذين لم يبخلوا على بوقت أو نصح ، دين لا يقدر •

على أن مسئولية ما تضمنه هذا الكتاب من آراء وأفكار لا تقع على أى منهم • والواقع أن آراءهم بشأن عديد من النقاط التى أثيرت فيه متباينة •

وعزائى الوحيد هو أن نقدهم فى معظم الحالات لم يلتق فى نقطة واحدة • وقد أخذت بوجهة نظرهم متى اتفق ثلاثتهم على نقد • وكل أخطاء تضمنها هذا الكتاب هى ــ وأقولها آسفا ــ أخطائى وحدى •

كما أقدم جزيل شكرى للدكتور م • أ • عزيز ، أمين مؤسسة عبد العزيز (بترينيداد) ، وللسيد محمود د• عزيز ، القنصل العام لترينيداد وتوباجو فى نيويورك ، اللذين قدما لى عونا لا يقدر بثمن فى المراحل الأخيرة من هذا العمل •

ولا أرغب صدور هذا الكتاب دون أن أعبر عن اعترافى بجميل البروفسور آرثر ديلبرج ، الأستاذ بجامعة مكارى باستراليا ، لما قدمه لى من مساعدة فى قراءة وتصحيح مخطوط هذا الكتاب •

ومدين بالشكر لابنتى سارة لمساعدتها لى فى تحرير الكتاب • فقد أمدتنى بالمراجع والمذكرات ، خاصة ما يتعلق بالنصوص الألمانية والعبرية • وأزالت انتقاداتها لى ما شاب النص من غموض فى التعبير أو فى التدليل •

وأخيرا أزجى الشكر للبروفسورة لويس أ • جيفن التى أمضت وقتا طويلا فاق تحملها ــ أولا فى اكتشاف التناقضات فى المخطوط ، ثم فى تصحيح تجارب طبع الكتاب •

كما أعترف بالجميل للبروفسور جون س • بادو والبروفسور هوارد ريجنز اللذين أتاحا لى فرصة العمل فى جامعة كولومبيا بجوها السار ، المثير أحيانا ، والملائم ، مع ذلك ، فى جميع الأحيان •

نيويورك ، مايو ١٩٧٥ — **بركات أحمد**



تصدير

المؤرخ باحث لا يسـعى لاثبات نظرية أو لاختيار مادة يدلل بها على نقطة معينة ، انما يسـير وراء الشـواهد التى تعرض له الى حيث تقوده • وليس هناك انسان معصوم من الزلل ، فان من الزلل أن يستسلم المؤرخ لمشـاعر الولاء أو التحامل التى قد يتلون بها فهمه للتاريخ وعرضه له • ومن سمات المؤرخ العالم المدقق ادراك هـذه الحقيقة بدلا من الانسياق لأفكاره المسبقة والعمل على تحديد هـذه الأفكار وتصحيحها •

ان الذين يحاولون استرجاع التاريخ يبدأون بطبيعة الحال بما وقر فى ذاكرة الناس، وما تناقلوه على مر السنين• على أنهم ، بخلاف من سبقوهم ، لا يكتفون بمجـرد ترديد ذكريات الماضى وابلاغها للناس ، بل يحاولون أن يسـدوا ما فيها من ثغرات ويصححوا ما فيها من أخطاء ، لا يبتغون من وراء ذلك سوى تحقيق شيئين : الدقة والفهم • وكثيرا ما يحدث أن تكـون نتيجة جهـودهم ، أو حتى أن يكـون غرضهم ، هو قتل الماضى عن طريق تحليله ، وقد يتضح لهم من دراسة الذكريات التى يكنزها الناس دراسة نقدية دقيقة

أنها ذكريات زائفة ومضللة . وحين يصبح ما انتهوا اليـه في هذا الشأن معروفا للجميع فان هـذا الجزء من المـاضي يفقد قوته . ولهذا السبب فان العلماء الذين يسترجعون الماضي قد يكون تأثيرهم مدمرا للغاية . على أن باستطاعتهم في مقـابل ذلك أن يأتوا بكثير مما هـو جـديد وأن يثروا الذاكرة الجمـاعية وينقوها مما يكـون قد علق بهـا من شوائب .

برنارد لويس

مقدمة

« كثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغالط فى الحكايات والوقائع ، لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو سمينا ، لم يعرضوها على أصولها ، ولا قاسوها بأشباهها ، ولا سبروها بمعيار الحكمة ، والوقوف على طبائع الكائنات ، وتحكيم النظر والبصيرة فى الأخبار . فضلوا عن الحق وتاهوا فى بيداء الوهم والغلط » .

(ابن خلدون)

فى سنة ۱۸۳۳ كتب الحاخام اليهودى «أبراهام جايجر» حاخام مدينة « ويزبادن » بألمانيا بحثا نال عليه جائزة ، عنوانه « ما الذى اقتبسه محمد من اليهودية ؟ » (۱) . وقد وصف « رودولف ليزنسكى » الذى ألف هو الآخر كتابا ، فى موضوع مشابه(۲) لهذا البحث، بأنه حدث تاريخى هام . ومن يومها ألفت كتب ومقالات عديدة فى موضوع العلاقات بين المسلمين واليهود تناولته من مختلف نواحيه . ولعل آخر ما كتب فى هذا الصدد هو كتاب « جويتاين » بعنوان « اليهود والعرب » (۳) . وكان منشأ الاسلام ، وكذا أصل القرآن ، بصفة خاصة ، دائما من الموضوعات التى أثارت اهتمام علماء الغرب . وقد تساءل جويتاين : « على يد من تلقى النبى العلم ، ومن كان معلموه ؟ » (٤) . ولاحظ هذا المؤلف أن « كتابات كثيرة من مستويات مختلفة دارت حول هذا

الموضوع » (٥) ، ثم خلص الى ان « للمرء أن يفترض بقدر معقول من الصواب أن محمدا كان في سنواته المبكرة على صلة وثيقة بنفر من اليهود لم يكونوا يختلفون كثيرا عن أولئك الذين تصورهم الكتابات التلمودية»(٦) ٠ ومؤدى هذا أن معتقدات من كانوا يجاورون الرسول من اليهود ، وطبيعة اتصاله بهم ، كان لها تأثير مباشر على جوهر ما أخذه الرسول ﷺ من الديانة اليهودية ٠ ووقف علم علماء الغرب أساسا عند هذه العوامل ٠ وقد ساعدتنا بحوث هؤلاء العلماء على فهم علاقات الرسول ﷺ بيهود الحجاز ويهود يثرب على وجه الخصوص ٠ غير ان الملاحظ آن بعض الأخبار التى اعتمدت عليها هذه البحوث لم تخضع لدراسة نقدية ٠ كذلك فان علماء الغرب لم يقيموا وزنا كافيا للنواحي الاجتماعية ــ السياسية فى العلاقات التى كانت قائمة بين مجموعات الناس فى الجزيرة العربية ٠

ولم تكن تحت يد الحاخام « جايجر » ، الذى لا يزال كتابه فى رأى « جويتاين » « كتابا ثمينا » (٧) ، مراجع عربية فى وفرة المراجع المتاحة للمستشرقين فى وقتنا الحاضر (٨) ٠ وكان هذا من حسن التوفيق ، ولكنه كان أيضا أمرا يؤسف له ٠ ومع ذلك كان باستطاعة « جايجر » أن يرجع الى كتاب « المختصر فى تاريخ البشر »(٩)لأبى الفدا (٦٧٢/١٢٧٣ ــ ٧٣٢/١٣٣١) من خلال كتابات « ج ٠ جانييه » J. Gagnier صاحب كتاب « حياة محمد » De Vita Mohammedis (أوكسفورد ، ١٧٢٣) ، و «ج٠ج٠ رايسكى» J. J. Reiske و « ج٠ج٠ كر ٠ آدلر » J. G. Chr Adler « صاحب كتابى : « حوليات الاسلام » Annales Moslemici (لايبزيج، ١٧٥٤ وكوبنهاجن، ١٧٨٩ ــ ١٧٩٤ ، و « تاريخ ما قبل الاسلام Historia Anteislamica » ٠ كذلك كان «جايجر» على علم بتفسير البيضاوى للقرآن الكريم

وبتفسير الفراء «وهو تفسير ممتاز لم ينشر(*) يبدأ بالسورة السابعة » (١٠) ، وقد تناول « جايجر » موضوعه بقدر غير قليل من التوسع • وكان يرى ـ من وجهه نظره ـ ان علاقه الرسول ﷺ بيهود يثرب لم تكن وثيقة • وأشار « جايجر » اشارة عابرة الى بني قينقاع ، والى بني النضير ، وكذا الى يهود خيبر ، ولكنه لم يتحدث عن بني قريظة الذين قرأ عنهم على الأرجح في كتاب أبى الفدا وفي تفسير القرآن • ولو ان « جايجر » رأى ضرورة للتعرض للصراع الذى يقول انه «فرض فرضا على اليهود والمسلمين» والذى يقول «جويتاين» انه « ترك أثره على كتاب : الاسلام المقدس » لما أعوزته المادة (١١) •

وخلال الفترة التى تفصل بين «جايجر» و «ليزنسكى» ، وبينما كان «موير» (١٢) و «جريم»(١٣) و «كايتانى»(١٤) و « جراتز » (١٥) وغيرهم يدرسون الموضوع فى اطار بحوثهم الأوسع ، كتب « وينسينك » رسالة دكتوراه فى موضوع « محمد ويهود المدينة » (١٦) • وبعد « ليزنسكى » تناول«لامانس»(١٧)و «ولفنسون»(١٨)و «هوروفتز»(١٩) و « تورى » (٢٠) و « هيرشبرج » (٢١) و « بارون » (٢٢) و « جويتاين » المادة نفسها بالدراسة • كذلك خصص « مونتجمرى واط » فى كتابه « محمد فى المدينة » (٢٣) فصلا كاملا ليهود يثرب •

ولم يول أحد المسلمين ـ بقدر علمى ـ هذا الموضوع من الأهمية ما يجعله يفرد له دراسة أو بحثا • ومعظم البحاثة من غير المسلمين تنصب بحوثهم فى المقام الأول على موضوع تأثر الاسلام باليهودية ، وأسف الرسول ﷺ لأن اليهود لم يعترفوا به وما ترتب على ذلك من اجلاء اليهود ثم « ابادتهم » • ولم يحدث أن عولج هذا الموضوع فى اطاره الاجتماعى ـ السياسى الصحيح •

(*) محقق ومنشور ـ (المترجم) •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لقد تبلور عدد من المواقف الفكرية المألوفة عند المسلمين ازاء غير المسلمين فى أنماط معينة من التفكير ، وتكررت هذه المواقف على مدى قرون من الزمان ، وتداولتها أقلام أجيال عديدة من فقهاء المسلمين ومؤرخيهم قتلتها بحثا • واستند المؤلفون فى الغرب بالدرجة الأولى الى كتابات فقهاء المسلمين وما جاء فيها من اساءة الظن بأهل الذمة وتمييز المسلمين عليهم كمقدمة لا تتغير لتاريخ العلاقات بين المسلمين واليهود • وقد جعلهم ما جروا عليه من تسليط الأضواء على الجوانب الفقهية ، للأسف ، يضربون صفحا فى حالات كثيرة عن التاريخ ويتجاهلون الحقائق التاريخية ويقفون بدلا منها عند أساطير خلع عليها الزمن صبغة دينية •

ان اعادة بناء الماضى بالصورة التى حدث بها شىء لا يسمح به قصور ما بين أيدينا من مراجع • ولم يكن المؤرخون المسلمون يعنون بمصير اليهود ، كما أن اليهود أنفسهم لم يتركوا أى أثر مكتوب عن وقائع لقائهم الأول بالاسلام • وبالرغم من ضآلة المادة المتاحة فى هذا الصدد ومن كون هذه المادة جزئية ، بل ومتناقضة فى بعض الأحيان، فلا مندوحة عن اعادة النظر فى هذه المادة ودراستها دراسة ناقدة • وقد استندنا فى دراستنا لهذا الموضوع الى المصادر الآتية :

١ ــ القرآن الكريم •

٢ ــ كتاب « سيرة رسول الله » (٢٤) وهو تهذيب ابن هشام لكتاب ابن اسحاق (المتوفى سنة ١٥١/٧٦٨) •

٣ ــ الجامع الصحيح (٢٥) للامام البخارى (المتوفى سنة ٢٥٦/٨٦٩) •

٤ ــ صحيح (٢٦) مسلم بن الحجاج (المتوفى سنة ٢٦١/٨٧٤) •

وقد رجعنا بطبيعة الحال فى هذه الدراسة كلها الى كتاب المغازى (٢٧) للواقدى (المتوفى سنة ٢٠٧/٨٢٢) ، وكتاب الطبقات الكبير (٢٨) لابن سعد (المتوفى سنة ٢٣٠/٨٤٥) . ولكن جل اعتمادنا كان على المصادر الأربعة المذكورة .

ان المصدر الأساسى لتاريخ الاسلام الأول هو القرآن الكريم بطبيعة الحال . والقرآن كتاب معاصر لحياة الرسول ﷺ ، وقد حوى تعليقا جاريا على جميع الأحداث المهمة التى وقعت فى حياته . على أن القرآن ليس كتاب تاريخ ، فالتاريخ يعتمد على وقائع محددة تحديدا زمنيا دقيقا ، والقرآن الكريم لا يعطى فكرة حقيقية عن التواريخ أو عن تسلسل الأحداث . ومع ذلك فان للقرآن أهمية كبرى للتحقق من صحة عديد من الوقائع التى حدثت فى عصر الرسول ﷺ .

لقد كتب واضعو المعاجم التى تروى سير أصحاب الرسول ، كما كتب المؤرخون المسلمون المتأخرون وعلماء الغرب والمؤرخون المسلمون المحدثون ، كتابات ضافية فى نقد ابن اسحاق والواقدى وابن سعد . ولن نعود هنا الى هذا البحث من جديد . على أن فهم التاريخ هو اعادة مستمرة للتفكير فى الماضى . والمعرفة التاريخية لا تنفصل عن المعرفة الشخصية ، والمعرفة الشخصية ترتبط الى حد كبير بالمشكلات المعاصرة . وقد قال « جون لوكاكس » : « بحق ان التاريخ كله يعتبر أيضا ، على هذا النحو ، معاصرا بمعنى من المعانى » (٢٩) فالمؤرخ ، بعبارة أخرى ، أيا كان التاريخ الماضى الذى يريد أن يستكشفه ، انما يفعل ذلك مستهديا بالوعى التاريخى لعصره . ويقول « غوردون ليف » فى هذا الصدد : « ليس فى التاريخ جزء موضوعى ـ هو الوقائع ـ وجزء آخر شخصى هو تفسير المؤرخ أو أحكامه . ان اصدار الأحكام والتفسير أمران يدخلان بنفس الدرجة فى تقرير ماهية الحقائق وتحديد ما يتصل منها بالموضوع فى سياق معين ، وتوضيح مدى دلالتها » (٣٠) . لقد محصت كتابات

ابن اسحاق والواقدى وابن سعد ، الذين آلفوا مصنفاتهم فى بدايه العصر العباسى ، تمحيصا شديدا للوقوف على ميول اصحابها الشيعية آو السنية آو على انحيازهم لصف بنى امية او بنى العباس ٠ وشغل موضوع « اشتعال الفتنة » (٣١)٠ وانقسام المسلمين الأوائل على آنفسهم أذهان المؤرخين المسلمين والمستشرقين بصورة جعلتهم لا يتنبهون الى الظروف والملابسات العامة التى كان كتاب السير والمغازى فى القرنين الثامن والتاسع من الميلاد يعملون فى ظلها ٠

لقد سجل المؤرخون المسلمون والمستشرقون ما كان لدى المؤرخين الآوائل من نزعات شيعية أو سنية وتحدثوا عن تحيزهم للأمويين آو للعباسيين وعن موقفهم من الخلافات المذهبية التى كانت سائدة فى ذلك الوقت ، الا أن هذه لم تكن العوامل الوحيدة التى تأثر بها الوعى التاريخى عند ابن اسحاق وغيره ٠ وقد قال « بترسين » بحق : « لا يستبعد أن تكون الأوضاع السياسية التى كانت سائدة فى العصر العباسى قد أثرت على تغير مواقف كتاب التاريخ من فترة الاسلام الأولى » (٣٢) ٠ بيد أن هذه الأوضاع لم تتعلق فحسب بدخول الحكام الجدد ، بماضيهم الثورى ، فى حلف مع الشيعة لمحاربة الخلافة السورية (٣٣) ٠

لقد كان فتح الأمصار ودخول أقوام متزايدة العدد من غير العرب وغير المسلمين عالم الاسلام بثقافات ولغات وديانات جديدة جاريين على قدم وساق ٠

وقد جاء هؤلاء الأقوام بأفكار جديدة ومشكلات جديدة ٠ وكان لكل هذه العناصر الجديدة أثر على تفكير المؤلفين الأوائل ٠ وفى رأينا أن موقف هؤلاء المؤلفين من اليهود الذين كانوا يعيشون تحت الحكم العباسى عامل حيوى لا يجوز اغفاله لدى الحكم على ما ساقوه من معلومات عن علاقة اليهود بالرسول ﷺ ٠

ان أقدم وأهم مصدر تحت يدنا للأحداث التى وقعت في عصر الرسول ﷺ هو محمد بن اسحق بن يسار بن خيار الذى ولد فى المدينة حوالى عام ٨٥/٧٠٤ ، فى السنة الأخيرة من خلافة عبد الملك . وكان جده يسار ممن أسروا فى عين التمر . وقد أصبح عبدا لقيس بن مكرمة بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصى ، وأصبح مولى له بعد أن اعتنق الاسلام. وقد حدث حصار مكة وتحطيم الكعبة خلال حكم عبد الملك ولكن عبد الملك كان أيضا الخليفة الذى وطد دعائم الحكم العربى وترك وراءه امبراطورية عظيمة الشأن . وعلى مدى ما يقرب من ثلاثين سنة عاش ابن اسحاق فى المدينة ، وكان الامام مالك وسعيد بن المسيب (٣٤) من معاصريه . وقد تلقى العلم على يد عديد من أبناء الصحابة . وكان الزهرى، المحدث الكبير ، ممن أخذ عنهم . ولم يكن ابن اسحاق ، الرجل الذى أثار خصومة الامام مالك واعجاب الزهرى ، ولا غرابة فى ذلك ، شخصا كسائر الأشخاص ، كما أن العصر الذى عاش فيه لم يكن كسائر العصور . وقد فتحت أسبانيا وكشغر Kashgar وملتان Multan وابن اسحاق لا يزال فى المدينة . وشهد ابن اسحاق كذلك سقوط بنى أمية وتولى بنى العباسى الخلافة ، وتوفى فى بغداد بين سنة ١٥٠/٧٦٧ وسنة ١٥٤/٧٧٠ فى خلافة المنصور .

وقد كتب الكثير عن حياة هذا المؤرخ ، كما أن كتابه كان من جميع نواحيه موضع دراسة شاملة (٣٥) . غير أن الدراسات التى اضطلع بها البحاثة المسلمون وغير المسلمين لم تعر التفاتا للأحداث التى شهدها ابن اسحاق والتى أثرت على آرائه بشأن اليهود الذين كانوا يعيشون فى ظل الحكم الاسلامى . وأغلب الظن أن ابن اسحاق لاحظ لدى وصوله الى عاصمة الخلافة العباسية أن الجالية اليهودية « التى كان لها فى هذه العاصمة مظهر الدولة ، كان لها دستور خاص ».

وكان رئيس الجالية اليهوديه فى بابل يطلق عليه اسم « رأس الجالوت » ، وكان عميد الأكاديمية الدينية اليهوديه يطلق عليه اسم «الجاعون» ، والاثنان يتساويان فى المرتبة • كان منصب « رأس الجالوت » منصبا سياسيا ، وشاغله يمثل اليهودية البابلية ـ الفارسية تحت الخلافة ، وكان يجبى الخراج من مختلف الملل ويدفعه للخزانة • وشاغلو هذا المنصب أمراء فى تصرفهم ، أمراء فى أسلوب حياتهم ، يتنقلون فى عربات فارهة ، فى مواكب يتقدمها حجاب يمتطون صهوات الجياد ، وكان يحف بهم رجال أشبه بالحرس ويلقون فروض الولاء والتوقير التى تقدم للأمراء •

ولأن « رأس الجالوت » كان يقابل فى كل مكان بمظاهر الاجلال التى كان يقابل بها الأمراء كان تنصيبه فى مركزه يتم فى احتفال مهيب وأبهة •• فى ساحة كبيرة مكشوفة وسط الزينات الباهرة ، كرسى له وكرسى لكل من رئيسى الأكاديميتين اليهوديتين • وكان جاعون « سورا » Sora (★) يلقى خطابا أمام من كان سيعين « كرأس الجالوت » يذكره فيه بواجبات منصبه •• وكان كلا الرئيسين يضع يده على رأس المرشح للمنصب ويهتف وسط نفير الأبواق : « يحيا سيدنا أمير المنفى » (٣٦) •

لقد اتهم « ليون نموى » « جراتز » بالتحيز للمسلمين ، وقال : « ان جراتز مسئول الى حد كبير عن الوهم الشائع الذى مفاده أن حياة اليهود فى ظل الهلال كانت على نحو ما أيسر بكثير من حياتهم فى ظل الصليب»(٣٧) • والحاصل أن ما كتبه « جراتز » عن « رأس الجالوت » يصور الواقع تصويرا صحيحا يؤيده ما كتبه «مارجوليس وماركس»(٣٨) و « هرشبرج » (٣٩) و « باشان » (٤٠) ، لكن « جراتز »

(★) سورا : موضع بالعراق من أرض بابل ، مدينة السريانيين ، وهى قريبة من الوقف والحلة المزيدية ـ معجم البلدان ـ (المترجم) •

كتب تاريخه عام ١٨٩٤ ايام قضية دريفوس (★) ، بينما كتب « نموى » نقده لجراتز عام ١٩٥٦ ، ومن المحتمل أن يكون قد كتبه عشية الاحتلال الاسرائيلى لغزة وسيناء · لم تكن الوقائع هى التى تغيرت وانما كان الذى تغير هو الطريقة التى كان كل من المؤلفين ينظر بها اليها · وكان « جراتز » سابقا على « هرتزل » (مؤسس الصهيونية) ، وقد عقد أول مؤتمر صهيونى فى « بازل » بسويسرا عام ١٨٩٧ (أى بعد صدور كتاب « جراتز » بثلاث سنوات) · أما « نموى » فقد كتب ما كتبه بعد قيام دولة اسرائيل · ولكن « جويتاين » ذاته ، الذى كان « نموى » يعلق على كتابه ، اعترف ، بعد تحفظات حذرة ، بأن : « رأس الجالوت » كان تحت الخلافة العباسية يشغل منصبا رفيعا باعتباره الممثل العام للجالية اليهودية · ويستفاد من أحد المصادر المسيحية أنه كان يتمتع فى بلاط الخليفة بمرتبة أعلى من مرتبة أعيان النصارى ، ولكنه لم يكن يضطلع كقاعدة عامة بأية وظيفة ادارية فى الدولة الاسلامية · وكان المسلمون حين يخاطبونه يلقبونه بـ « سيدنا ابن داود » · ولما كان القرآن يعتبر داود واحدا من أعظم الأنبياء كان طبيعيا أن يحاط منصبه بهالة من التبجيل ··

وكان هناك منصب دينى آخر لليهود أعظم أهمية بكثير من منصب « رأس الجالوت » هو منصب « الجاعون » الذى بلغ من مقامه فى حياة اليهود خلال القرون الخمسة الأولى من الاسلام أن وصفت هذه الفترة فى التاريخ اليهودى « بالفترة

(★) قضية دريفوس : هى قضية اتهم فيها ضابط مخابرات يهودى فى الجيش الفرنسى بتسليم معلومات عسكرية الى الملحق العسكرى الالمانى فى باريس ، وقبض عليه وحوكم امام مجلس عسكرى وحكم عليه بالتجريد من رتبته العسكرية وبالنفى بناء على أوراق مزيفة ، فثارت عاصفة كبيرة فى الرأى العام الفرنسى وبين الكتاب والمفكرين ورجال السياسة · وقد نقض الحكم الصادر فى القضية عام ١٩٠٦ وأعيد دريفوس الى الخدمة فى وظيفته ورتبته السابقتين — (المترجم) ·

الجاعونية » . وكان لقب الجاعون هو اللقب الذى كان يحمله رئيسنا الأكاديميتين اليهوديتين الكبريين أى آكاديمتى بابل ــ العراق (وكان رئيس احدى الأكاديميتين فى الأصل ينفرد بحمله) اللتين كان اليهود فى جميع أنحاء العالم يعتبرونهما السلطة العليا فى جميع ما يتعلق بالدين من مسائل ، بما فى ذلك ، على التحقيق ، القانون المدنى الذى كان مطبقا فى ذلك الوقت (٤١) .

وكان ابن اسحاق لا يزال فى المدينة حين ادعى سورى اسمه « سيرين » Serenus (٤٢) أنه المسيح المنتظر ، وتنبأ بمعجزة تعود بها فلسطين الى اليهود . وادعى «سيرين» أنه نبى لا لليهود وحدهم بل للمسلمين . كذلك ألغى القوانين الدينية التى تحرم أطعمة بعينها ، وسمح بالزواج دون عقد، و « سجل التحلل من الأحكام التلمودية » على رايته (٤٣) . وذاعت شهرة « سيرين » حتى وصلت الى أسبانيا التى كانت فى ذلك الوقت تحت الحكم الاسلامى . ويقول « جراتز » : « ان يهود ذلك البلد قرروا النزول عن ممتلكاتهم ووضعوا أنفسهم تحت قيادة هذا الشخص الذى كانوا يشبهونه بالمسيح » (٤٤) . وقد قبض على هذا الشخص فى النهاية وسيق أمام الخليفة يزيد الثانى (١٠١/ ٧٢٠ ــ ١٠٥/ ٧٢٥) فسلمه الى اليهود وحكمت عليه محكمة ، تضم قضاة يهودا ومسلمين ، بالاعدام (٤٥) .

وبعد أقل من ربع قرن من هذه الأحداث رفع أبو مسلم راية الثورة السوداء فى مرو Merv ، كما نصب أبو العباس نفسه خليفة فى سنة ١٣٢/ ٧٤٩ بعد أن تم له القضاء على الأمويين . واغتال خلفه المنصور أبا مسلم غدرا فى سنة ١٣٧/ ٧٥٥ ، وأصبحت بلاد فارس ، وخاصة خراسان، التى كانت توالى أبا مسلم ، من جديد مركزا للقلاقل والثورات. وتوالت بعد ذلك القلاقل . ونهض سنباذ Sinbadh (١٤٠/ ٧٥٧) (٤٦) وأستاذسيس Ustadhsis (١٤٩/ ٧٦٦ ـ

٧٦٨/١٥١) (٤٧) والمقتع (٧٧٧/١٦١ ـ ١٦٤/ ٧٨٠) (٤٨) للثأر لمقتل أبى مسلم ولكن المنصور سحقهم جميعا ٠

وفى وقت ما خلال هذه الفترة ، ولكن قبل أن تكتب السيرة ، ظهر يهودى كان ادعى انه المسيح فى المركز اليهودى باصفهان الذى كان مركزا قويا ٠ وادعى هذا الشخص الذى كان اسمه ابن عيسى عباديا (عوفيد) (٤٩) أن فلسطين يجب ان تعود لليهود لا بمعجزة ولكن بالقوة ، ودعا اليهود الى الالتفاف حول رايته وتجمع منهم نحو عشرة آلاف تحت قيادته كانوا يهتفون بأنه المسيح(٥٠)٠ وقد اختار ابن عيسى لثورته الوقت المناسب فان الخلافة العباسية لم تكن أركانها قد توطدت بعد ٠ « وكانت شئون الخلافة فى ذلك الوقت فى حالة سيئة من الفوضى ، وكان أمام أية حركة عسكرية ـ وسرعان ما أصبحت الحركة التى تزعمها ابن عيسى حركة عسكرية ـ فرصة طيبة للنجاح » (٥١) وقرر ابن عيسى أن يتحالف مع زعيم فارسى رفع راية العصيان على الخليفة ولكن المنصور هزمه فى الرى وقتل ابن عيسى فى المعركة (٥٢) ٠

ويلاحظ « جرايزل » أن « هذه الثورات المسيانية (★) كانت تقوم على مزيج غريب من الأفكار ، وأن رغبة عدد كبير نسبيا من اليهود فى التخلص من حكم سادتهم المسلمين الجدد كانت تقترن بصورة ما ، بثورتهم على السلطة اليهودية » (٥٣) ٠

انه من الصعب تصور رد فعل كاتب السيرة على هذه الأحداث ٠ لقد كان بوسع ابن اسحاق ، كفرد واثق من نفسه من أفراد الصفوة المسيطرة ، أن يتجاهل ما يقوم من ثورات، وأن ينظر باستعلاء الى ازدهار أحوال اليهود وما يتمتعون به من حرية تحت الحكم الاسلامى ، وأن يبحث تاريخ اليهود فى

(★) بالانجليزية Messianic نسبة الى المسيح المنتظر عند اليهود Messiah وقد فضلنا كلمة « المسيانية » على المسيحانية » للتخفيف ـ (المترجم) ٠

الحجاز في حياة الرسول بحثا غير ملتزم . والاحتمال الثاني هو ان تاثير الحركات المسيانية ، بالاضافة الى ما كان يحاط به « رأس الجالوت » من مظاهر العظمة والأبهة اوقعت في روعه ان اليهود قوم ملحدون ناكرون للجميل . وللمرء ان يتساءل : وما بال الذين كانوا يزودونه بالمعلومات (أي أبناء اليهود الذين أسلموا) (٥٤) ، هل كانوا على علم بهذه الأحداث ؟ ألم تكن حالتهم النفسية تجعلهم يحاولون التفوق في الولاء على من أسلموا من العرب بتنميق ما يذكرونه عن يهود المدينة ؟ ان هناك من الأسباب ما يغري بافتراض أن قصص بني قينقاع وبني النضير ، وكذلك بني قريظة أولا وقبل كل شيء ، لم تكن جزءا من مغازي الرسول ﷺ بقدر ما أريد لها أن تكون انذارا موجها ليهود الامبراطورية العباسية «بأنه اذا جاء ابن عيسى آخر فستستأصل شأفتكم كما استؤصلت شأفة بني قريظة » . ومن العبث أن يتساءل المرء عما اذا لم يكن ابن اسحاق يسمع صدى الأبواق التي كان ينفخ فيها لدى تنصيب « رأس الجالوت » في مركزه وهو يستحضر في مخيلته صورة قافلة الجمال التي كانت تشق طريقها من المدينة الى خيبر وهي تحمل قوما عاثري الحظ هم بنو النضير . لقد قال « نولدكة » في مثل هذه المناسبة ببساطة : « من الجائز أن الأمر كان كذلك (أي كما ذكر كاتب السيرة) ، ولكن من الجائز أيضا أنه كان مختلفا تماما » (٥٥) .

على أن الذي لا شك فيه هو أن ابن اسحاق ، كما سنرى فيما بعد عند بحثنا لرواياته ، كان متحاملا دائما على يهود الحجاز .

لقد أثنى علماء الرجال المسلمون الأوائل والعلماء المحدثون ، مسلمين كانوا أو غير مسلمين ، على ابن اسحاق ومدحوه . ورغم أن « بعض النقاد المسلمين الأوائل ـ كما هو معتاد في كتابات الجرح والتعديل ـ أبدوا في ابن اسحاق

آراء تتناقض على خط مستقيم » (٥٦) مع آراء من زكوه ، فان أغلبيتهم تجله وتحترمه • وقد قال عنه الزهرى : « من أراد المغازى فعليه بابن اسحاق » (٥٧) ، وقال عاصم بن عمر ابن قتادة : « لا يزال فى النـاس علـم ما عاش محمـد بن اسحاق » (٥٨) ، ووصفه شعبة بن الحجـاج (٨٥/٤٠٧ ـ ١٦٠/٧٧٦) بأنه « أمير المحدثين لحفظـه (★) » (٥٩) ، وقال سفيان بن عيينة (١٠٧/٧٢٥ ـ ١٩٨/٨١٣) : « ما أدركت أحدا يتهم ابن اسحاق فى حديثه » (٦٠) وقال الامام الشافعى : « من أراد أن يتبحر فى المغازى فهو عيال على ابن اسحاق » (٦١) • وكان يحيى بن معين والامام أحمـد بن حنبل يوثقانه (٦٢) •

على أن مالك بن أنس ، من الجهة الأخرى ، وصفه بأنه دجال من الدجاجلة (٦٣) • كذلك يستفاد من عدة روايات أن هشام بن عروة لم يكن يعتبر ابن اسحاق من الثقات(٦٤) •

وأصح المآخذ التى أخذت على ابن اسحاق ، من وجهـة نظرنا ، هو ذلك الذى يتعلق بما درج عليه من « تتبع غزوات النبى ﷺ من أولاد اليهود الذين أسلموا وحفظوا قصـة خيبر وغيرها »(٦٥) • ويختم ابن سيد الناس حديثه عن هذا الاتهام وما شجر من خلاف بين ابن اسحاق والمحدث الـكبير مالك بن أنس بقوله انهما تصالحا فى النهاية ، وأن مالكـا أهدى ابن اسحاق حين غادر المدينة الى العراق خمسين دينارا ونصف محصوله من التمر فى ذلك العـام • ولم يكن مالك يقدح فى ابن اسحاق من أجل الحديث ، انما كان ينكر عليه تتبعه خيبر وقريظة والنضير ، وما أشـبه ذلك من الغرائب التى لم يقم عليها دليل ، من أولاد اليهود الذين أسـلموا • وكان ابن اسحاق يأخذ برواياتهم فى مغازيه على علاتها دون أن يتحرى صدق ما ينقل اليه من أخبار ، بخلاف مالك الذى لم يكن يرى الرواية الا عن متقن صدوق (٦٦) •

(★) فى ابن خلكان ٢٦٧/٤ ، وعيون الاثر ١/المقدمة « ابن اسحاق أمير المؤمنين . يعنى فى الحديث » ـ (المترجم) •

وهذا الاتهام ــ كما سنرى حين نتعرض لمختلف الروايات التى أوردها ابن اسحاق ــ لم يكن بغير أساس . واذا كان صحيحا أن من يتحولون من دين الى دين ليسوا بالضرورة محل شبهة ، فان من واجب المؤرخ أن يتحرى ما يجيء على لسانهم تحريا دقيقا . وحقيقة تحولهم الى الدين الجديد وحدها تعنى أنهم ــ ان كان ايمانهم بالدين الجديد صادقا ــ كانوا لا يقرون موقف أبناء ملتهم الأول ولا سياستهم ولا عملهم . أما اذا كانوا قد أجبروا على اعتناق الدين الجديد اجبارا فقد كان من حسن السياسة أن يتبرءوا مما صدر عنهم من أعمال .

ومهما يكن من أمر فان منحاهم فى تذكر ونقل أحداث ماضيهم أو ماضى أسلافهم الذين كان لهم دور مباشر فى النزاعات التى قامت بينهم وبين اخوتهم فى الدين الجديد يعقد بصورة غير مقصودة ــ وأحيانا عن قصد ــ مهمة التحقق من صحة الوقائع . على أن للمرء مع ذلك أن يتساءل بهذه المناسبة عما اذا كان مالك بن أنس محقا فى اتهامه فان هذا الاتهام يشى بتحامل عصر لاحق على من دخلوا الاسلام من اليهود . فما الذى يجعل هؤلاء المسلمين أقل جدارة بالثقة من أبناء من اعتنقوا الاسلام من كفار العرب . أيتورع أبناء مشركى مكة الذين قاتلوا الرسول ﷺ ثم اعتنقوا الاسلام عن تشويه دور آبائهم كما فعل أبناء من أسلم من اليهود اذا كان فى هذا التشويه ما يسهل قبولهم فى رحاب الدين الجديد ؟ ورأينا أن رواياتهم يجب أن تمحص بالدقة نفسها التى تمحص بها روايات من أسلم من اليهود .

هذا ويقول « هوروفتز » بصدد المنهج الذى نهجه ابن اسحاق فى رواية أحداث المدينة :

« الاسناد هنا هو القاعدة . ورواة ابن اسحاق هم أساتذته الذين تلقى عليهم العلم فى المدينة وفى مقدمتهم الزهرى وعاصم بن عمر وعبد الله بن أبى بكر . وهو يدين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لهم أيضا بالترتيب الزمني الذى اتبعه في ذكر الوقائع • وابن اسحاق يستخدم طريقة ثابتة لا تتغير في وصف الغزوات ، فهو يصدر روايته ببيان مقتضب وشامل للمحتويات يقفى عليه برواية جماعية تتحصل فيأقوال معلميه الاجلاء ، ثم يستكمل روايته الأصلية بأقوال فردية جمعها من مصادر أخرى » (٦٧) •

وملاحظات « هوروفتز » وان كانت صحيحة الى حد كبير فيما ينعلق بمنهج ابن اسحاق في السرد العام فالملاحظ ان منهج ابن اسحاق في رواية وقائع الغزوات اليهودية الاربع يختلف عن منهجه العام • ان عاصم بن عمر بن قتادة هو المصدر الأساسى لأنباء الأحداث المهمة التي وقعت في شأن بنى قينقاع وليس لأى مصدر يهودى دور في هذا الشأن • وقد اتبع ابن اسحاق النمط ذاته في الرواية المتعلقة بنفى بنى النضير • والقصة الأساسية هنا تبدأ بيزيد بن رومان الذى نقلها رأسا الى ابن اسحاق •

أما قصة بنى قريظة فان النمط فيها يبدو غير النمط ، ومعظم أحداثها الرئيسية ، كما سنرى ، غير مسبوق باسناد• وقد جاء ذكر عديد من الرواة المعتمدين مثل الزهرى وقتادة خلال السرد ولكن النظرة المدققة تظهر أن ما يذكره هؤلاء الرواة انما هو تفاصيل صغيرة لا الأحداث ذات الشأن • وفى قصة غزوة خيبر نجد خليطا مماثلا من الروايات التى يقترن بعضها باسناد ويخلو بعضها الآخر منه • وهنا أيضا يصادف المرء أسماء هامة تسبق بعض الأنباء لكن معظمها يتعلق اما بمسائل فقهية أو بتفاصيل غير مهمة •

وقد لا يكون من التجنى أن نقول ان ابن اسحاق ، بوجه عام ، لا يورد اسنادا فى المسائل الحيوية المتعلقة ببنى قريظة أو بيهود خيبر • ويتفق « روبسون » Robson فيما كتبه عن استخدام ابن اسحاق للاسناد مع ملاحظات « هوروفتز » التى ذكرناها ، ويستطرد قائلا :

« هو عموما يبدأ تناوله للواقعة ببيان عام عما حدث دون أن يسوق أى اسناد ولكن هذه هى طريقته فى عرض الموضوع وهو يستطرد عادة ويعطى اسنادا من أنواع مختلفة ، كتفاصيل الواقعة ، أو ليقدم روايات مختلفة لما حدث » (٦٨) ·

ويبدى روبسون كذلك الملاحظة الآتية :

« ·· وابن اسحاق صريح تماما بشأن طريقته ، فهو لا يدعى أن كل ما يعطيه من معلومات كامل الاسناد ، كما أنه لا يحاول أن يرجع كل شىء الى الرسول ·

لذلك ، فاننا نميل دون تحرج الى تصديقه حين يذكر اسنادا مباشرا ، وحين يكون اسناده متصلا » (٦٩) ·

والحالات التى لم يكن ابن اسحاق يورد فيها اسناداً هى أولا الحالات التى تتعلق بمادة « معروفة وثابتة بصورة تغنيه عن تقديم اسناد » (٧٠) وهى ثانيا الحالات التى كان يستمد فيها معلوماته من القصص الشائع والمادة التقليدية التى كان كتاب السيرة والمغازى يطوعونها لمفاهيمهم الخاصة والتى كانوا يضيفون اليها نتائج بحوثهم الخاصة » (٧١) · لذلك فلنا أن نفترض أن عدم وجود اسناد بالنسبة لبعض الأحداث الكبرى المتعلقة ببنى قريظة ومعظم الأحداث المهمة فى خيبر يفيد أن ابن اسحاق استمد مادته بشأنها من « القصص الشائع » · ويحق لنا أن نتذكر هنا اتهام الامام مالك لابن اسحاق بأنه يروى غزوات الرسول نقلا عن أبناء اليهود الذين أسلموا والذين حفظوا قصص بنى النضير وبنى قريظة وخيبر · ويتضح من بحث اسناد ابن اسحاق أن الأشخاص البالغ عددهم ثلاثمائة وأربعة الذين تضمنهم اسناده فى السيرة لم يكن من بينهم أكثر من تسعة من اليهود الذين اعتنقوا الاسلام أو الذين بقوا على دينهم (٧٢) ·

وفيما يلى أسماء الرواة اليهود وموضوعات رواياتهم (٧٣) :

١ ـ أبو مالك بن ثعلبة بن أبي مالك القرظى الذى روى أن حمير قبلت اليهودية بعد أن سار الحبران ، بمصاحفهما فى عنقيهما متقلديها ، فى النار لم تضرهما (٧٤) ٠

٢ ـ محمد بن كعب القرظى الذى روى :

(١) دخول أهل نجران فى النصرانية على يد عبد الله بن الثامر (٧٥) ٠

(٢) أن عتبة بن ربيعة عرض على الرسول المال والشرف٠٠ الخ ان هو كف عن عيب آلهتهم(٧٦) ٠

(٣) أن ثقيف أساءت معاملة الرسول فى الطائف (٧٧) ٠

(٤) قصة خروج الرسول ﷺ من داره فى مكة فى طريقه الى المدينة (٧٨) ٠

(٥) غزوة العشيرة (٢/٦٢٣) (٧٩) ٠

(٦) مناسبة نزول الآية ١٢٧ من سورة الأنفال (٨٠) ٠

(٧) أن أبا سفيان امر قوات قريش بالارتحال بعد معركة الأحزاب (٨١) ٠

(٨) موت أبى ذر (٨٢) ٠

٣ ـ شيخ من بنى قريظة روى نبوءة يهودى سورى اسمه ابن الهيبان بهجرة نبى الى المدينة (٨٣) ٠

٤ ـ أحبار اليهود بشأن تحقق نبوءة ابن الهيبان (٨٤) ٠

٥ ـ واحد من أهل عبد الله بن سلام روى قصة اسلام عبد الله بن سلام (٨٥) ٠

٦ ـ صفية بنت حيى بن أخطب روت اصرار حيى بن أخطب على عداوة الرسول ﷺ (٨٦) ٠

٧ ـ واحد من بني قريظة روى شهادة عبد الله بن صوريا بأن اليهود كانوا يعرفون أن محمدا نبيّ مُرْسَل (٨٧) ٠

٨ ـ واحد من اهل يامين روى ان يامين اعطى مالا لرجل ليقتل عمرو بن جحاش الذى حاول ان يغتال الرسول ﷺ (٨٨) ٠

٩ ـ عطية القرظى الذى قال انه لم يقتل مع من قتل من رجال بنى قريظه لانه كان صبيا لم ينبت (٨٦) ٠

ان روايه من الروايات المذكورة لا تشير الى خيبر ، والروايتان الاخيرتان وحدهما تتضمن كل منهما ذكرا لتفصيل صغير يتعلق أحدهما بغزوة بنى النضير والثانى بغزوة بنى قريظة ٠ والظاهر أن اتهام الامام مالك لابن اسحاق لا ينصرف الى الروايات السابقة ٠ وأقرب من ذلك الى الصواب أن يقال ان الامام مالك كان أعلم من ابن اسحاق بمادة القصص التى كانت شائعة فى ذلك الوقت ، وأنه كان فى مركز يسمح له بتحديد الحكايات التى نقلت عن أبناء يهود أسلموا ٠ ويبدو أن ابن اسحاق لم يكن يرى بأسا فى ادراج هذه المادة فى سيرته دونما تحقيق أو اسناد وكان الامام مالك يعترض على ذلك ٠ وتؤيد ملاحظات « ليفى دللا فيدا » رأينا فى هذا الخصوص حيث يقول :

« كان من وفرة وتنوع المادة التى جمعها ابن اسحاق أن اضطر هذا الكاتب الى توسيع دائرة مصادره ، والى قبول عدد من الروايات التى لم يقم عليها دليل كاف ٠ وكان يهتم بذكر مصدر بعض المعلومات التى يدلى بها ، ولو أن هذا المصدر لم يكن دائما شديد الوضوح ، لا سيما اذا كان يهوديا أو مسيحيا ، كما كان الحال فى كثير من الأحيان » (٩٠) ٠

ان ابن اسحاق لم تكن لديه معرفة مباشرة بالأحداث ، وكان من المنتظر ازاء تناقض الروايات التى وقعت له اما أن يشفع كلامه بتحفظ أو أن يخلى نفسه من مسئولية الاخبار

عن شيء لم تكن له به معرفة مباشرة ، أو كان يرى أنه محل شبهة . وكان في جميع الحالات الاخرى التي تبعث على الشك يستخدم عبارات مثل «فيما بلغني»(٩١) ، او «ذكر لي»(٩٢) أو يختم روايته بقوله : « والله أعلم أى ذلك كان » . على أن الملاحظ أن ابن اسحاق لا يبدى مثل هذا التحرز فيما يرويه عن بنى قريظة .

لقد شجع الامويون جمع وحفظ الأحاديث والحكايات والاخبار المتعلقة بالمغازى ، واشترك كثير من التابعين في هذه الجهود ، ودون علماء مثل موسى بن عقبة اخبار المغازى، بينما جمع محدث مثل مالك بن انس ما يتصل بها من الاحاديث . لكن ابن اسحاق كان الكاتب الذى اعطى في سيرته تاريخا كاملا تضمن الحديث عن الخلفية الجاهلية والصراع الذى كان دائرا في المدينة قبل الهجرة وانتشار الاسلام بعد صلح الحديبية وخيبر مع سيرة الرسول وما تخللها من معجزات لا تقل شأنا عن معجزات آية سيرة من سير القديسين النصارى . ولا يعنى هذا أن ابن اسحاق كانت تحركه بواعث خاصة ، أو أن جهده كان جهدا واعيا لاصطناع المعجزات أو للانتقاء من مادة القصص أخبارا رواها أبناء اليهود الذين اعتنقوا الاسلام . وليس هناك ما يدعو الى مخالفة ما ذهب اليه « غليوم » من أن سيرة الرسول التى كتبها ابن اسحاق « قد سجلت بأمانة وصدق وبحيدة نادرة في مثل هذه الكتابات » (٩٣) لكن أى مؤرخ انما هو الى حد كبير جزء من عصره وهو لا يستطيع أن يعزل نفسه عن المناخ الفكرى الذى يتنفسه ، فالناس كما يقول « ماكاولى » Macaulay ، لا يستطيعون أن يفعلوا الا ما تسمح به مقتضيات عصرهم (٩٤) .

ويقول « ليفى ديللا فيدا » :

« وباختصار ، فان فطرة ابن اسحاق انما هى ، اذا قورنت بفطرة من سبقه من المؤلفين ، فطرة المؤرخ الحقيقى،

ونحن نجد عنده المزيج النهائي بين السيرة الدينية كما يراها المحدثون والسيرة الملحمية الأسطورية التي يجدها المرء في القصص ·

وهذا الطابع الأصيل والشخصي الذي يميز عمل ابن اسحاق يفسر عداء مدرسة المحدثين له ، ويعلل في الوقت ذاته ما حظي به عمله على مر القرون من نجاح بز ما سبقه من أعمال مشابهة ، كما بز بعض الأعمال التي كتبت بعده بقليل · وقد جعل هذا النجاح لكتابه تأثيرا حاسما على مستقبل الكتابة في موضوع السيرة النبوية ·

وقد هذب ابن هشام سيرة ابن اسحاق ، كما نقل الطبري جانبا كبيرا منها في مصنفيه الكبيرين ، التاريخ والتفسير ، وأصبحت سيرة ابن اسحاق عن طريق هذين الكاتبين المصدر الأول لما تلاها من تواريخ لحياة الرسول »(٩٥) ·

وحين أنجز الواقدي (١٣٠/٧٤٧ ـ ٢٠٧/٨٢٣) وابن سعد (١٦٨/٧٨٤ ـ ٢٣٠/٨٤٥) عمليهما كانت أركان الخلافة العباسية ورئاسة الطائفة اليهودية المتمثلة في منصب « رأس الجالوت » ، قد توطدت تماما · وكانت ثورة ابن عيسى الأصفهاني قد نسيت وعفى عنها ، وكان العميدان اللذان يرأسان الأكاديميتين اليهوديتين الكبريين في سورا Sura وبومباديتا Pumbaditha قد خلعا على نفسيهما لقبا جديدا هو لقب « جاعون » أي صاحب الفخامة ، وقد اعترف بهما الخلفاء باعتبارهما سلطة اليهود القضائية داخل الامبراطورية الاسلامية · وساعد « يهودي بن نحام » خلال الفترة القصيرة التي شغل فيها هذا المنصب (٧٦٠ ـ ٧٦٤) على ارساء دعائم ما يمكن وصفه بالحكومة اليهودية الخفية في المنفى · وكان حكم اليهود في الشتات يتم عن طريق مقر الجاعون ·

وقد ولد أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي في المدينة ، وسمي بالواقدي نسبة الى جده الواقد ، الذي كان

مولى عبد الله بن بريدة الذى كان ينتمى الى أسرة فى المدينة - والكتاب الوحيد الذى وصلنا من مؤلفاته هو كتاب المغازى . وقد جمع فى اطاره المحدود معلومات مفيدة للغاية عن حياة الرسول ﷺ فى المدينة . وكتاب « الطبقات الكبير » لابن سعد ، الذى كان تلميذا وكاتبا للواقدى ، يستند فى معظمه الى كتاب أستاذه ، لكنه مصنف جليل الفائدة . وهو فى الواقع معجم ضاف يحوى سيرة الرسول ﷺ وسيرة صحابته والتابعين ، أى من جاء بعدهم من المسلمين ، مرتبين على طبقات .

والواقدى وابن سعد ، كلاهما ، مؤرخان للأحداث وجامعان للروايات ومسجلان لذكريات الماضى ، ولكنهما يفتقران الى الوعى التاريخى الذى كان جليا عند ابن اسحاق وابن هشام . لذلك فاننا سنستعين بهما ، بالقدر الذى يمكن معه الاطمئنان الى صحة رواياتهما ، لمراجعة ما رواه ابن اسحاق من أحداث تعنينا ولتقييمها ، ولاستكمال معلوماتنا عن هذه الأحداث .

ان علماء الرجال لا يركنون الى ما كتبه الواقدى ، والامام أحمد بن حنبل يرميه بالكذب (٩٦) ، والذهبى يقول انه لم يسق ترجمته «لاتفاقهم على ترك حديثه»(٩٧)، وابن خلكان يقول : « انهم ضعفوه فى الحديث وتكلموا فيه»(٩٨) . ومن الجهة الأخرى ينقل علماء الغرب آراء أخرى تفيد أنه ممن يوثق بهم (٩٩) . على أن « بترسين » ، الذى عالج باستفاضة نمو الكتابة التاريخية فى الفترة المبكرة للاسلام ، يقول محذرا ان مادة الحديث عند الواقدى يجب أن « تؤخذ بتحفظ أكبر من ذلك الذى تؤخذ به الأحاديث التى أوردها غيره من العلماء » (١٠٠) .

وكان أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصرى الهاشمى كاتب الواقدى مولى لبنى هاشم ، وكان جده عتيقا لحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس (١٠١) . وبالرغم

من انه يتضح من « المقارنة مع بعض مغازي الواقدى ان ابن سعد يعتمد قبل كل شيء علـى الواقدى » (١٠٢) فان علماء الرجال يعتبرون أن ابن سعد من الثقات (١٠٣) . وكان ابن سعد ، كما سنرى ، يورد قائمة شاملة بأسماء اهم رواته قبل أن يتحدث عن المغازى ، ولكنه كان نادرا ما يسوق بعد ذلك اسنادا للوقائع والحوادث كل على حده ، وان كانت هناك استثناءات علـى ذلك كما فى حالة بدر الخ . لهـذا فمن المتعذر ، رغم كـونه عمـوما ممن يطمأن اليهم ، افراد أية رواية من الروايات التى تهمنا عنـده ثم تحـديد مصـدر معلوماته عنها .

وبهذه الاعمال الثلاثة ، التى كتبت او جمعت كلها بعد قرابة قرن ونصـف او اكثر من وقوع الاحـداث موضـع الدراسة ، ننتهى اقدم سجلاتنا عن فترة الاسلام المبكرة كما يسّرها الذاكرون . وما تذكره مخبرونا من الرواة الاوائل والناقلون ، كذلك ، وقبل كل شيء ، ما سجله ابن اسـحاق والواقدى وابن سـعد ، يصـور مدى الأهميـة التى كانوا يعلقونها على الأحداث التى بقى أثرها محفوظا . ونحن اذا اعتمدنا على شيء فانما نعتمد على وعيهم التاريخى . ومن المقطوع به أن هذا الوعى لا يقارن بفهمنا نحن للتاريخ ، وقد ضاعت الى الأبد تفاصيل كان يمكن أن تكون ذات أهمية بالنسبة لنا ، لأن متابعى ذلك التاريخ لم يكونوا يعيرونهـا نفس الأهمية . من ذلك أن ابن اسحاق يبـدأ سرده بشـأن يهود بنى قريظة بهذه الكلمات التالية :

« ان رسول الله ﷺ جمع يهود فى سـوق بنى قينقاع ، فقال : يا معشر يهود ، احذروا من الله مثـل ما نزل بقريش من النقمة ، وأسـلموا .. » (١٠٤) ولكنـه لا يخبرنا عن السبب الذى جمع الرسول بنى قينقاع من أجله لينذرهم ، رغم أنه يستطرد فيقول انهم كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله وحاربوا فيما بين بدر وأحد (١٠٥) . ماذا

كان ذلك الاتفاق الذى كان بينهم وبين الرسول ﷺ ومتى تم توقيعه وكيف نقضوه ؟ ليس ثمة معلومات عن هذا . وبعد زهاء مائة عام لاحظ ابن هشام (المتوفى سنة ٢١٨ / ٨٢٢) عند تهذيبه للسيرة ان هذه القصة ينقصها بيان مهم فاضاف ان بنى قينقاع كانوا قد اهانوا امرأة مسلمة فى سوقهم(١٠٦) هل كان هذا هو السبب الوحيد ؟ هل كان عملا حربيا ؟ هل كان معناه نقض اتفاق عقده بنو قينقاع مع الرسول ؟ كل ما نستطيع أن نفعله هو أن نتكهن ونعيد بناء الحادثة وأن نحاول الوقوف على الأسباب التى جعلت الرسول ﷺ يجمع بنى قينقاع ويوجه اليهم انذاره . ولم يكن هذا البيان مهما عند ابن اسحاق الذى لم يكن يغفل أبدا بيانا يتصل بموضوع يعالجه . ولو كان يعلمه لما اهتم بتسجيله . أما اذا لم يكن يعلمه فانه لم يكن يرى داعيا للحصول عليه . كذلك فان ابن اسحاق يقول قبل أن يتحدث عن معركة أحد ان الرسول قال : « من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه » وأن محيصة بن مسعود وثب لدى سماعه ذلك القول على ابن سنينة ــ وهو رجل من تجار يهود كان يلابسهم ويبايعهم فقتله (١٠٧) .

هذا الأمر ، كما هو ظاهر ، أمر خطير . فهل يعقل ان ينفذه الرسول ﷺ فى ثالث سنة من الهجرة ؟ ثم ماذا كانت مناسبة هذا الأمر ؟ وبالرغم من أن صيغة الأمر تنصرف الى كل اليهود فكيف حدث أن كان ابن سنينة اليهودى الوحيد الذى شاء حظه العاثر أن يقع فى أيدى المسلمين ؟ من الواضح أن ابن اسحاق أورد هذا الخبر دون سياق . وهناك حلقة ناقصة هى حلقة مهمة رغم أن ابن اسحاق لم يكن يعتبرها كذلك ، وهى حلقة يستحيل علينا استردادها . كذلك ينقل ابن اسحاق رسالة استرضاء كتبها الرسول ﷺ الى يهود خيبر (١٠٨) ، ولكنه لم يحدثنا عمن حمل الرسالة ، ولا عن الطريقة التى عومل بها الشخص الذى حملها ، ولا عن رد فعل اليهود ازاءها ، ولا عما اذا كانوا قد ردوا عليها ، واذا

كانوا قد فعلوا فماذا كانت اجابتهم • كل هـذه معلـومات لا نملك الوسيلة للحصول عليها •

ان للمرء أن يقر في هذا السياق ما خلص اليه اللورد « راجلان » بعد دراسة متمعنة من أن « أى حقيقة عن شخص ما لم تسجل خلال مائة سنة من وفاته حقيقة ضائعة »(١٠٩)، وهناك حقيقة أخرى هي أن « كل حدث من الأحداث يبدأ فى التبدد مجرد حدوثه »(١١٠) •

لقد قام « جولدزيهر » (١١١) و « مارجوليوث » (١١٢) و «لامانس» (١١٣) و «روبسون»(١١٤) و «شاخت»(١١٥) بدراسات نقـدية ضـافية عن صـحة الأحاديث النبـوية • والصحيحان ، أى صـحيح محمـد بن اسـماعيل البخـارى (١٩٤/ ٨١٠ ـ ٢٥٦/ ٨٧٠) ، وصحيح مسلم بن الحجـاج (٢١٠/ ٨١٦ ـ ٢٦١/ ٧٨٥) هما أول مجموعتين من الستة الصحاح للسنة المعتمدة ، وهما« يمثلان لأول مرة فى مـادة الحـديث نقـدا للاسـناد أدق مما كان معتـادا فى الفترة السابقة » (١١٦) وكان لكل من هذين المحدثين شروط ان لم تتوافر فى حديث من الأحاديث رفض ادراجه فى مجموعته • وقد ذكر « روبسون » بصدد مناقشة درجات صحة الأحاديث أن فقهاء المسلمين مثل محمد بن عبد الله النيسابورى كانـوا يعطون مركز الصدارة للبخارى ومسلم (١١٧) وهذا ، فى الواقع ، رأى عام لا يقتصر على النيسابورى •

على أن نقد الحـديث لا ينطبق على الأحاديث النبـوية التى سقناها فى دراستنا الراهنة • فنحن لم نورد أحاديث تتعلق بموضوعات قانونية أو شرعية • ولا يتصل ببحثنا هذا أيضا الأحاديث التى يحتمل أن تكون قد وضعت تحت تأثير بنى أمية أو بنى العباس • كذلك فان الأحاديث التى تتعلق بالخلافات بين أهل السنة والشيعة أحاديث مشكوك فى أمرها وهى لا تعنينـا ، ومعظـم المطـاعن التى أبداها العلمـاء التقليديون وعلماء الغرب تنصب على مثل هذه الأحاديث •

فموقفنا بشأن تناول مادة الحديث اذن مطابق لموقف « مونتجمرى واط » حين يقول :

« من الجائز أن بعض الأحاديث في المجال الشرعي قد انتحلت انتحالا · أما في المجال التاريخي ، بالقدر الذى يمكن به الفصل بين المجالين ، وبصرف النظر عن بعض الحالات الاستثنائية ، فالظاهر أن أقرب شيء الى مثل هذا الانتحال لدى خيرة المؤرخين الأوائل كان تشكيل المادة التاريخية تشكيلا متميزا ·· ولما كان عدد كبير من المسائل التى اهتم بها المؤرخون فى منتصف القرن العشرين لا يتأثر بعملية التشكيل ، فلن تكون هناك صعوبة كبرى فى الحصول على اجابات عن الأسئلة من المصادر (١١٨) ·

وفي جميع الحالات التى لا يحتمل أن يكون الحديث فيها موضوعا لخدمة غرض من الأغراض ، وفي الحالات التى لا يكون فيها لحديث من الأحاديث دور مباشر في خلاف حول الموضوع المطروح ، آثرنا أن يكون اعتمادنا عليه أكثر من اعتمادنا على مصادر المغازى الثلاثة ، ولغليوم فى هذا الموضوع ملاحظات لا تخلو من وجاهة ، فهو يقول :

« ان رجلا (مثل البخارى) أمضى ستة عشر عاما فى تجميع مادة مصنفه ، وكان يستعين بالصلاة قبل أن تخط يده حديثا من الأحاديث ، ورجع الى أكثر من ألف شيخ كانوا يعيشون فى أماكن بينها من المسافات ما بين بلخ ومرو ونيسابور ومدن ما بين النهرين المهمة والحجاز ومصر وسوريا يستحق من أبناء دينه كل تقدير ·· وكان البخارى عند جمهرة الناس أعظم بكثير من مسلم ، وكان الناس ينحون الى تفضيل عمل الأول على عمل الثانى ، ويتميز صحيح البخارى بشموله مجال الفقه بأكمله وبتشدد صاحبه فى الشروط التى كان يشترطها فى الرواة ، أما صحيح مسلم فيتميز بدقة معالجته لمادة الحديث · وللمجموعتين معا حجية لا مطعن عليها تقريبا وان كانتا قابلتين للنقد فى بعض التفاصيل ·· » (١١٩) ·

وتفضيلنا للصحيحين لا يعدو دراسة البيانات التاريخية المتعلقة باليهود فى عهد الرسول ﷺ ، وهذا لا ينطبق بالضرورة على مناقشة موضوعات أخرى ولا ، بصورة خاصة ، على أصل التشيع والخلافات التى نشأت عن دعاوى الأمويين والعباسيين ، وهو لا ينطبق بالتأكيد على مسائل الفقه المتعلقة بغير المسلمين ٠

ان القرآن الكريم والمصنفات الخمسة المذكورة هى كل مصادرنا الأولية ٠ وقد استعنا بالاضافة اليها بسنن ابى داود، وبكتاب « وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى » للسمهودى ٠

وكان أبو داود (٢٠٢/٨١٧ ــ ٢٧٥/٨٨٨) معاصرا للبخارى ، كما كان تلميذا لأحمد بن حنبل ، وابو داود اقل تشددا فى شروطه من غيره ، وحين كان فقيه غير متشدد يحكم بصحة حديث من الأحاديث « فانه كان يقبل الحديث بالرغم من وزن النقد المخالف »(١٢٠) ٠ غير أن هذا لا يعنى أنه لم يكن يراعى ما يلزم من احتياط ٠ « لقد دون نصف مليون حديث انتقى منها ٤٫٨٠٠ أربعة آلاف وثمانمائة حديث ، وهو يسمى هذه الأحاديث بالصحيحة ، وتلك التى تشبهها وتقاربها » (١٢١) ٠

وقد تلقى نور الدين أبو الحسن على بن عبد الله بن أحمد السمهودى (٨٤٤/١٤٤٠ ــ ٩١١/١٥٠٥) العلم فى القاهرة على أشهر رجال عصره ، الورع الصوفى العراقى ٠ وفى سنة ٨٦٠/١٤٥٥ أدى فريضة الحج وأقام فى المدينة زهاء ست سنوات ، وقام خلال هذه الفترة ببحوث مستفيضة عن مسجد الرسول ﷺ فى صورته الأصلية ٠ وفى سنة ٨٨٦/١٤٦١ حج من جديد ثم عاد الى مصر وقبل فى معية السلطان الأشرف قايتباى ٠ بعدها رجع الى المدينة فى سنة ٨٩٠/١٤٨٥ وبقى فيها الى أن توفى ، وأهم مؤلفات السمهودى هو « وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى » (١٢٢)٠

وقد رجعنا اليه، وهو المصدر الرئيسي للمعلومات المتعلقة بتاريخ المدينة ووصفها (١٢٣) ٠

وقد رجعنا لهذين العملين لمزيد من المعلومات والشواهد، لا باعتبارهما مرجعين قائمين بذاتهما ، ان أبا داود يزودب بمعلومات اضافية أو بشرح للأحداث حين تصمت عنهـا مصادرنا الأولية أو حين تعطينا عنها بيانات مبهمة ٠ والسمهودى هو أول من تحدث عن المدينة بعد ظهور الاسلام، وقد تصورنا خلال بحثنا عددا من المصادر الأخرى المهمة عن تاريخ الاسلام كتبت من منظور مختلف وتحرت أغراضا مختلفة مثل كتاب « الخراج » ليحيى بن آدم ، وكتاب «الأغانى» لأبى الفرج الأصبهانى، وذلك التماسا لمادة تتصل بموضوعنا ، وان كنا لم نعتمد على هذه المصادر فيما أوردناه من وقائع أو حجج أساسية ، كما لم نعتمد ما كتبه الواقدى وابن سعد ، ولن تتأثر دراستنا هذه اذا حذفت منها الاشارة الى هذه الأعمال ٠

لقد قال اللورد « اكتون » ذات مرة ان المنهج النقدى ، حين يكتشف بيان ذو اهمية ، « يبدأ بالشك فى هذا البيان » وان اول واجبات المؤرخ « لا يتحصل فى فن تجميع المواد، بل فى فن آخر آسمى هو فن تحقيقها أى تمييز ما فيها من صحة أو زيف» ان انزال العقاب ببنى قريظة شيء ليس له مثيل فى حياة الرسول ﷺ ٠ وقد جاء فى الروايات أن عدد من أعدموا لدى استسلام بنى قريظة يتراوح بين ستمائة وتسعمائة ، علما بأن مجموع من قتلوا من المسلمين وغير المسلمين فى جميع السرايا والغزوات التى تمت فى حياة الرسول ﷺ كان أقل من خمسمائة من الطرفين ، وأن عدد من قتل من غير المسلمين يقل عن ثلاثمائة ٠ ويقول « فرانشسيكو جابريللى » فى هذا الصدد : « لقد أثارت هذه الحلقة السوداء ، التى يلاحظ أن كتاب المسلمين يأخذونها مأخذا هادئا ، مناقشات حامية بين كتاب السيرة المحمدية فى الغرب

وجهت فيها اتهامات لاذعة للرسول من جانب وابديت فيها معاذير ذات طابع قانوني من جانب آخر (١٢٤) · على ان الذى حدث في هذه المناقشة الحامية هو أن كلا الطرفين لم يهتما كثيرا ببحث الشواهد المتعلقة بالموضوع بحثا نقديا ، لقد استند الباحث الغربي في اتهامه الى ابن اسحاق والواقدي وابن سعد فرد عليه الباحث المسلم في دفاعه بحجج استند فيها الى ما جاء في سفر التثنية (١٢٥) وسفر صموئيل الثاني (١٢٦) (★) ·

ان من سمات قصص المذابح والقتل الجماعي أنها تترك انطباعا قويا في مخيلة الناس · وهي اذا ذاعت وانتشرت فمن الصعب محوها من ذاكرة الناس الجماعية · وحتى اذا انهار أساسها التاريخي فانها تصبح جزءا من الأساطير الشعبية · وقد حلل « جورج و · هارتمان » George W. Hartman في مجلة علم النفس الاجتماعي Journal of Social Psychology (١٢٧) العوامل الانفعالية التي تؤدي الى استمرار تصديق مثل هذه الخرافات التي لا يقوم عليها دليل موضوعي يمكن الركون اليه ·

(★) تنص الايات من ١٠ ـ ١٤ من الاصحاح ٢٠ من سفر التثنية من الكتاب المقدس على ما يأتي :

« حين تقرب من مدينة كي تحاربها استدعها الى الصلح · فان أجابتك وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك · وان لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها · واذا دفعها الرب الهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف · وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاها الرب الهك » · ـ (المترجم) ·

وتنص الآيات ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ من الاصحاح ١٢ من سفر صموئيل الثاني من الكتاب المقدس على ما يأتي :

« فجمع داود كل الشعب وذهب الى ربة وحاربها واخذها · واخذ تاج ملكهم عن رأسه ووزنه وزنة من الذهب مع حجر كريم وكان على رأس داود · وأخرج غنيمة المدينة كثيرة جدا · وأخرج الشعب الذى فيها ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفؤوس حديد وأمرهم في اتون الاجر وهكذا صنع بجميع مدن بني عمون · ثم رجع داود وجميع الشعب الى اورشليم ـ (المترجم) ·

وقصص المذابح والقتل الجماعي والاغتيال هي ، من بين جميع « الحقائق » التاريخية ، أكبر القصص مدعاة للشك ، ومعظمها يكون محض اختلاق أو تنطوي على مبالغات جسيمة فيها أكثر منها في غيرها • كان ابن اسحاق ، والواقدي ، وان يكن بدرجة أقل ، وابن سعد ، وقبلهما الزهري وموسى بن عقبة يتذكرون ويسجلون وينقلون ما كانوا يعتبرون أنه وقائع مهمة • والأحداث والتفاصيل التي نعتبرها نحن مهمة لم تكن أغلب الظن ، في نظرهم ، بذات أهمية (١٢٨) • كذلك فان هذه الأحداث والتفاصيل لم تكن بذات أهمية عند اليهود • ولم يكن هناك من المؤرخين أو الكتاب أو المراسلين أو الرحالة اليهود من روى قصصا عن المحنة التي أصابت يهود الحجاز بوقوع أحداث مأسوية من هذا النوع • ومن غير المحتمل ، بل ومن الصعب على المرء أن يتصور أن العلماء والأحبار في أكاديميتي « الجاعون » اليهوديتين وفي مقر « رئاسة الجالوت » في بابل في القرنين الثاني والثالث الهجريين ، حين كان ابن اسحاق وابن سعد يجمعان مادتهما ، عجزوا عن الحصول على الرواية اليهودية لأحداث مثل هذه كان لها تأثير عميق على حياة المجتمع اليهودي في الحجاز في زمن الرسول ﷺ ، لا سيما وأن المعروف عن اليهود أنهم حريصون على تسجيل ما يصيبهم من محن ونكبات • وقد أقام يهود خيبر ، الذين يقال ان عمر طردهم ، في الكوفة التي لم تكن بعيدة عن مقر « الجاعونية » (١٢٩) وكانوا من سلالة بني النضير وبني قريظة ، وكان في مقدور علماء اليهود أن يجمعوا منهم مادتهم • ان كتاب « صمويل أوسكوي » بعنوان « عزاء لبلايا اسرائيل ـ الحوار الثالث » (١٣٠) مرجع كلاسيكي عن شهداء اليهود يرجع الى القرن السادس عشر • وهذا الكاتب الذي قيل انه صور معاناة اليهود أبلغ تصوير ، وأنه « جعل مراحل التاريخ اليهودي الطويلة تمر أمام معاصريه بكل ما فيها من عظمة

مجيدة ومأساة سحيقة تستدر الدموع من مآقيهم » (١٣١) لا يتحدث لا عن اجلاء بني قينقاع وبني النضير ولا عن اعدام بني قريظة • والظاهر أن تاريخ اليهود حتى زمن « جايجر » (١٨٣٣) كان خاليا من هذه القصص •

واذا كان اليهود قد فقدوا هيمنتهم في يثرب وخيبر فما ذلك الا لأنهم لم يتمكنوا من التكيف مع الوضع الجديد كما تكيفت قريش مكة، وذلك رغم أن الشروط التي عرضت عليهم كانت مختلفة وأقل وطأة بكثير من تلك التي فرضت على قريش وعلى غيرها من قبائل العرب الوثنية •

مراجـــع المقـــدمة

(١) ترجم « ف· م· يونج F. M. Young كتاب « جايجـر » Abraham Geiger الى الانجليـــزية ، وظهرت الترجمـــة فى الهند ســنة ١٩٨٦ بعنــوان « Judaism and Islam » « اليهودية والاسلام » ، وقد أعادت دار Ktav Publishing House بنيويورك نشر الترجمة فى سنة ١٩٧٠ ·

(٢) Rudolf Leszynsky, **Die Juden in Arabien zur Zeit Mohammeds** (Berlin, 1910).

رودولف ليزنسكى · « اليهود فى الجزيرة العربية فى زمن محمد » (برلين ١٩١٠) ·

(٣) S. D. Goitein, **Jews and Arabs : Their Contacts Through the Ages** (New York 1955).

س·د· جويتاين « اليهود والعرب : اتصـــالاتهم عبر العصـــور » (نيويورك ١٩٥٥) ·

(٤) المرجع نفسه ·

(٥) المرجع نفسه ·

(٦) س·د· جويتاين « اليهود والعرب » ، ص ٥٦ ·

(٧) المرجع نفسه ، ص ٢٣٧ ·

(٨) لم تكن كتب مثل « سيرة » ابن هشام ، أو « مغازى » الواقدى ، أو « طبقات » ابن سعد قد نشرت فى ذلك الوقت ، كما أن من المحتمل أنها لم تكن معروفة لديه ·

(٩) هو تاريخ عالمى يتنـــاول فترة الجاهلية والتاريخ الاســـلامى حتى سنة ١٣٢٩/٧٢٩ ·

(١٠) « جايجر » الصفحة السابعة من المقدمة ، وقد كتب يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور (٧٦١/٢٤٤ ـ ٨٢٢/٢٠٧) المعروف بالفراء تعليقا على القرآن الكريم بعنوان « معانى القرآن » · (حقق ، ومطبوع الآن ـ « المترجم ») ·

(١١) « جويتاين » ص ٦٤ .

(١٢) Sir William Muir, **The Life of Muhammad** (London, 1861).

السير وليام موير « حياة محمد » (لندن ، ١٨٦١) .

(١٣) H. Grimme, **Mohammed** (Munster, 1892-1895)

هـ. جريم « محمد » (مونستر ، ١٨٩٢ ــ ١٨٩٥) .

(١٤) Leone Caetani, **Annali dell' Islam** (Milan, 1905 ff).

ليون كايتانى ، حوليات الاسلام » (ميلانو ، ١٩٠٥ وبعدها) .

(١٥) H Graetz, **History of the Jews** (Philadelphia 1894) Vol. III.

جراتز ، « تاريخ اليهود » (فيلادلفيا ، ١٨٩٤) الجزء الثالث .

(١٦) A. J. Wensinck, Mohammed on de jodan te Medina (Leiden, 1908).

« أ.ج. وينسينك » محمد ويهود المدينــة » (لايدن ، ١٩٠٨) وقد نشر « كلاوس شـــوارتز » Klaus Schwarz, Freiburg in Breisgau ترجمة انجليزية لهذا الكتاب فى ١٩٧٥ .

(١٧) Henri Lammens, « Les Juifs à la Mecque à la veille de **l'Hègire** », L'Arabie occidentale avant l'Hègire (Beyrouth, 1928).

« هنرى لامانس » « اليهود فى مكة عشية الهجرة » عرب الجزيرة العربية قبل الهجرة (بيروت ، ١٩٢٨) .

(١٨) « اسرائيل ولفنســون » Israel Wolfenson,
« تاريخ اليهود فى بلاد العرب » (القاهرة ، ١٩٢٧) .

(١٩) Joseph Horovitz, « **Judaeo Arabic Relations in Pre-Islamic Times** » Islamic Culture, Vol. III (1929).

جوزيف هوروفتز « العلاقات بين اليهود والعرب أيام الجاهلية » الثقافة الاسلامية ، المجلد الثالث (١٩٢٩) .

(٢٠) Charles Cutler Torrey, **The Jewish Foundation of Islam** (New York, 1967, first published in 1933).

« تشارلز كتلر تورى » الأساس اليهودى للاسلام (نيويورك ، ١٩٦٧ ، نشر لأول مرة فى ١٩٣٣) .

(٢١) Joachim Wilhelm, (Haim Zeev) Hirschberg, **Israel in Arabia** (Tel Aviv, 1946). in Hebrew.

« يواكيم ويلهلم (حاييم زيئيف) هيرشبرج » ، « اسرائيل فى الجزيرة العربية » ، (تل أبيب ، ١٩٤٦) ، بالعبرية .

(٢٢) Salo Wittmayer Baron, **A Social and Religious History of The Jews** (New York, 1957), Vol. III.

« سالو ويتمـاير بارون » ، تاريخ اليـهود الاجتمـاعى والـدينى (نيويورك ، ١٩٥٧) الجزء الثالث ٠

(٢٣) Watt, W. Montgomery, **Muhammad at Medina** (Oxford, 1962, First Published in 1956).

« مونتجمرى واط » ، محمد فى المدينة ، (أوكسفورد ١٩٦٢ ، نشر لأول مرة فى ١٩٥٦) ٠

(٢٤) **Ed. by F. Wustenfeld** (2 vol. Gottingen, 1856-60).

نشره وستنفلد (جزءان ، جوتنجن ، ١٨٥٦ ـ ٦٠) ٠

(٢٥) (٣ أجزاء ، القاهرة : مطابع الشعب ، بدون تاريخ) ٠

(٢٦) (2 vols. Lahore : Ghulam Ali & Sons, 1958-62.

(جزءان ، لاهور ، ١٩٥٨ ـ ٦٢) ٠

(٢٧) **Ed. by Marsden Jones** (2 vols. London, 1966).

نشره « مارسدين جونز » (جزءان ٠ لندن ، ١٩٦٦) ٠

(٢٨) (٨ أجزاء ، بيروت ، ١٩٥٧ وبعدها) ٠

(٢٩) John Lukacs, **Historical Consciousness ; or, The Remembered Past** (New York, 1968), p. 35.

« جون لوكاكس » « الوعى التاريخى ؛ أو تذكر الماضى » (نيويورك، ١٩٦٨) ، ص ٣٥ ٠

(٣٠) Gordon Leff, **History and Social Theory** (University, : Ala : The University of Alabama Press, 1969), p. 124.

« غوردون ليف » « التـاريخ والنـظرية الاجتماعيـة » ١٩٦٩ ، ص ١٢٤ ٠

(٣١) Erling Ladewig Petersen, **Ali and Muawiya in Early Arabic Tradition** (Copenhagen, 1964), p. 18.

« ارلنج لاديويج بترسين » على ومعاوية فى الكتـابات العربيـة الأولى (كوبنهاجن ، ١٩٦٤) ، ص ١٨ ٠ وقد صدرت طبعـة جديدة من هذا الكتاب فى ١٩٧٤ ٠

(٣٢) « بترسين » ، ص ١٩ ٠

(٣٣) المرجع نفسه ، ص ١٧٨ ٠

(٣٤) ولد أبو محمد سعيد بن المسيب (١٥/٦٣٦ ـ ٩٤/٧١٢) فى خلافة عمر ٠ وكان فقيها مفتيا ، كان عمر الثانى يجله ٠ وكان الزهرى ومكحول وقتادة يعتبرونه من أجل الفقهاء ٠

(٣٥) انظر **ابن سعد** ، الطبقات الكبرى (بيروت ، ١٩٥٨) ، الجزء السابع ، صص ٣٢ وما بعدها ، **البخارى** ، كتاب التاريخ الكبير (حيدر آباد ، ١٣٦١) ، الجزء الأول ، ص ٤٠ ؛ **الذهبى** ، تذكرة الحفاظ (حيدر آباد ١٩٥٦) ، الجزء الأول ، صص ١٧٢–٧٤ ؛ **ابن حجر العسقلانى** ، تهذيب التهذيب (حيدر آباد ، ١٣٢٦) ، الجزء التاسع ، صص ٣٨–٤٥ ؛ **الخطيب البغدادى** ، تاريخ بغداد (القاهرة ، ١٩٣١) ، صص ٢١٤–٣٤ ؛ **ابن خلكان** ، كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : احسان **عباس** (بيروت ، بدون تاريخ) ، الجزء الرابع ، صص ٢٧٦–٧ ؛ **ابن سيد الناس** ، عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير (القاهرة ، ١٣٥٦) الجزء الأول ، صص ٨ – ١٧ ؛

Johann Fuck, **Muhammad Ibn Ishaq** (Frankfurt am Main, 1925).

« **جوهان فوك** » ، محمد بن اسحاق ١٩٢٥ .

J. Horovitz, « **The Earliest Biographies of The Prophet and Their Authors** », Islamic Culture (1928), pp. 169-80.

« ج . **هوروفتز** » ، سير الرسول الأولى ومؤلفوها « الثقافة الاسلامية (١٩٢٨) ، صص ١٦٩ – ٨٠ .

A. Guillaume, **The Life of Muhammad** (London 1955), Introduction.

« ا . **غليوم** » ، حياة محمد (لندن ١٩٥٥) ، المقدمة .

Muhammed Hamidullah, **Muhammed Ibn Ishaq** (**Karachi**, 1967).

محمد حميد الله « محمد بن اسحاق » (كراتشى ، ١٩٦٧) .

(٣٦) « **جراتز** » ، الجزء الثالث ، صص ٩٣ – ٩٤ .

(٣٧) Review of S.D. Goitein's book, **Jews and Arabis, The Jewish Quarterly Review**. Vol. XLVI, No 4, 1959, p. 386.

عرض كتاب س . د . **جويتاين** « اليهود والعرب » ، المجلة اليهودية ، ربع السنوية ، المجلد السادس والأربعون ، رقم ٤ ، ١٩٥٦ ، ص ٣٨٦ .

(٣٨) Max L. Margolis and Alexander Marx, **A History of The Jewish People**, (New York, 1965), pp. 254-57.

« **ماكس ل . مارجوليس** » و « **الكسندر ماركس** » ، تاريخ الشعب اليهودى (نيويورك ، ١٩٦٥) ، صص ٢٥٤–٥٧ .

(٣٩) Haim Z'ew Hirschberg, « Abbasidis » **Encyclopaedia Judaica** (Jerualem 1971), vol. II. Cols. 42-3.

« **حاييم زئيو هيرشبرج** . « العباسيون » ، دائرة معارف جودايكا (القدس ، ١٩٧١) ، الجزء الثانى ، العامودان ٤٢ – ٣ .

(٤٠) Eliezer Bashan « Exilarch ». **Encyclopaedia Judaica**, Vol. VI. Cols 1023-34.

«**اليزر باشان** » **راس الجالوت** » دائرة معــارف جودايكا ، الجزء السادس الأعمدة ١٠٢٣ ــ ٣٤ ٠

(٤١) « **جويتاين** » ، صص ١٢٠ــ١٢١ وكان الجاعون أو رئيس أكاديمية أورشليم خلال السنوات المائة الأولى من خلافة الفاطميين يمثل مركزا مماثلا فيما يتعلق بيهود الامبراطورية الفاطمية ٠ انظر :

Goitein, **A Mediterranean Society,** Vol. II pp. 5-18, 519-524.

« **جويتاين** » « مجتمع من مجتمعات البحر المتوسط » الجزء الثانى صص ٥ ــ ١٨ و ٥١٩ ــ ٥٢٤ ٠

(٤٢) يبدو أن هناك خلافا كبيرا بشأن اسمه ٠

(٤٣) « **جراتز** » الجزء الثالث ، ص ١٢٠ ٠

(٤٤) المرجع نفسه ، ص ١٢١ ٠

(٤٥) « **مارجوليس وماركس** » ، ص ٢٥٩ ٠

(٤٦) Edward G. Browne, **A Literary Histoiy of Persia** (London, 1928), Vol. I, p. 313.

« **ادوراد ج٠ براون** » « تاريخ الأدب الفارسى » (لندن ، ١٩٢٨) الجز الأول ، ص ٣١٣ ٠

(٤٧) المرجع نفسه ، ص ٣١٧ ٠

(٤٨) المرجع نفسه ، ص ٣١٨ ٠

(٤٩) ليس هناك اتفاق على كتابة الاسم ٠ وقد اتبعت فى كتابتــه صيغة دائرة معارف « جودايكا » ٠ وهيامســون « Hyamson » (انظر الحاشية ٥١) ، يكتبــه على أنه اسحق بن يعقوب عبــاديا أبو عيسى الأصفهانى ٠ والشهرستانى يسميه اسحاق بن يعقوب (انظر الحاشية رقم ٥٠) ٠

(٥٠) Maimonides Iggeret Teman, vide Israel Friedlander, «**Jewish Arabic Studies**», The Jewish Quarterly Review, Vol. I (1910-11) p. 206.

ايجرت تيمان « **ميمونيد** » ، انظر : « **اسرائيل فريدلاندر** » المجــلة اليهودية ربع الســنوية ، الجــزء الأول (١٩١٠ ــ ١١) ص ٢٠٦ ٠ **والشهرستانى** يقول فى كتابه الملل والنحل (القاهرة ، ١٩٦٨) الجــزء الأول ، ص ١٨٠ : « ان بشرا كثيرا من اليهود اتبعوه » ٠

(٥١) Albert M. Hyamson, « Messiahs (Pseudo-) » **Encyclopaedia of Religion and Ethics** (New York 1916) Vol. III, p. 582

« **البرت م٠ هيامسون** » « من ادعوا لأنفسهم صفة المسيح » دائرة معارف الديانات وفلسفة الأخلاق (نيويورك ، ١٩١٦) ، الجــزء الثالث ، ص ٥٨٢ ٠

(٥٢) بالاضافة الى الشهرستانى وميمونيد انظر « **جراتز** » ، الجزء الثالث ، صص ١٢٤ ــ ٥ ، « **ومارجوليس وماركس** » ، ص ٢٥٩ ٠

(٥٣) Solomon Grayzel, **A History of The Jews** (New York, 1968), p. 245

« **سلومون جرايزل** » تاريخ اليهود » (نيويورك ١٩٦٨) ص ٢٤٥ ·

(٥٤) **ابن حجر العسقلانى** ، تهذيب التهـذيب ، الجزء التـاسع ص ٤٥ ·

(٥٥) قول ذكره (فرانز روزنتال » Franz Rosenthal في مقدمته لكتاب » تشارلز كتلر تورى » « الأساس اليهودى للاسلام » ، ص ٧ ·

(٥٦) J.M.B Jones, « Ibn Ishak », **Encyclopaedia of Islams,** New ed. Vol. III, pp. 810-811.

ج·م·ب· جونز · « ابن اسحاق » ، دائرة المعارف الاسلاميـة ، الطبعة الجديدة ، الجز الثالث ، صص ٨١٠ــ٨١١ ·

(٥٧) **ابن سيد الناس** ، عيون الأثر فى فنون المغـازى والشـمائل والسير (القاهرة ، ١٣٥٦) ، الجزء الأول ، ص ٨ · وبالرغم من أن ابن سيد الناس كان من الكتاب المتأخرين ، (فقد توفى سنة ٧٣٤/١٣٤٤)، الا أنه جمع كل ما كان متاحا من اشارات الى ابن اسحاق ، سواء أكانت بتزكية أم بالقدح فيه ، ثم حاول أن يدافع عنـه ضد نقـاده · وقد أورد ابن سيد الناس فى مقدمته لعيون الأثر أكمل ملخص معروف لرأى المسلمين فى ابن اسحاق · (قول الزهرى هو : من أراد المغازى فعليه بمولى قيس بن مخرمة هذا ، وهو وارد فى التاريخ الكبير للبخارى لا فى عيون الأثر ــ (المترجم)

(٥٨) المرجع نفسه ، ص ٩ ؛ تهذيب ، الجزء التاسع ، ص ٤٠ ·

(٥٩) **البخارى** ، كتاب التاريخ الكبير ، الجزء الأول ، ص ٤٠ ·

(٦٠) المرجع نفسه ، **ابن خلكان** ، الجزء الرابع ص ٢٧٦ ·

(٦١) **ابن خلكان** ، الجزء الرابع ، ص ٢٧٦ ·

(٦٢) المرجع نفسه ، صص ٢٧٦ــ٧ ؛ **ابن سيد الناس** ، صص ١٠ ــ ١١ ·

(٦٣) **ياقوت** ، معجم الأدباء ، (القاهرة ١٩٣٥ ــ ٣٨) ، الجزء الثانى ، ص ٤٠٠ ·

(٦٤) انظر لمناقشة أكمل :

Joseph Horovitz, « **The Earliest Biographies of the Prophet and their Authors** », Islamic Culture, April 1918, pp. 169-80. Hamidullah (1967).

« **جوزيف هوروفتز** » سير الرسول الأولى ومؤلفوها » الثقافة الاسلامية أبريل ١٩٢٨ ، صص ١٦٩ ــ ٨٠ ، وحميد الله (١٩٦٧) ·

(٦٥) تهذيب ، الجزء التاسع ، ص ٤٥ ·

(٦٦) **ابن سيد الناس** ، الجزء الأول ، ص ١٧ ·

(٦٧) « **هوروفتز** » الثقافة الاسلامية ، ١٩٢٨ ، ص ١٧٦ ٠

(٦٨) James Robson « **Ibn Ishaq's Use of the Isnad** », Bulletin of the John Rylands Library, Vol. 38, 1955-56, p. 451.

« **جيمس روبسون** » استعمال ابن اسحاق للاسناد ، نشرة مكتبة جون رايلاندز ، المجلد ٣٨ ، ١٩٥٥ ـ ٥٦ ، ص ٤٥١ ٠

(٦٩) المرجع نفسه ، ص ٤٥٧ ٠

(٧٠) « **جيمس روبسون** » ، استعمال ابن اسحاق للاسناد ، نشرة مكتبة جون رايلاندز المجلد ٣٨ ، ١٩٥٥ ـ ٥٦ ، ٤٥٢ ٠

(٧١) J. M. B. Jones, « **Ibn Ishaq and Al Waqidi** », Bulletin of the school of Oriental and African Studies, Vol. XXII, 1959, p. 51.

« **ج٠م٠ب٠ جونز** » « ابن اسحاق والواقدى » نشرة مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية ، المجلد الثانى والعشرون ، ١٩٥٩ ، ص ٥١ ٠

(٧٢) احصاء الأسماء التى تضمنها الاسناد يستند الى القائمة الواردة فى كتاب سيرة رسول الله لابن هشام الذى حققه الدكتور « فردناند وستنفيلد » « Dr. Ferdinand Wustenfeld ».

(جزآن ، جوتنجن Gottingen ، ١٨٦٠) ، صص ٥٨ـ٦٩ ٠ وهذا العدد لا يتضمن اسناد ابن هشام ٠

(٧٣) حاولت أن أتبع بقدر الامكان الترتيب الذى يظهر به الراوية اليهودى فى « السيرة » ٠

(٧٤) **ابن هشام** ، ص ١٧ ٠

(٧٥) المرجع نفسه ، صص ٢٣ و ٢٤ ٠

(٧٦) المرجع نفسه ، صص ١٨٥ ـ ٨٧ ٠

(٧٧) المرجع نفسه ، صص ٢٧٩ ـ ٨٠ ٠

(٧٨) **ابن هشام** ، ص ٣٢٦ ٠

(٧٩) المرجع نفسه ، ص ٤٢٢ ٠

(٨٠) المرجع نفسه ، صص ٥٨٤ ـ ٨٥ ٠

(٨١) المرجع نفسه ، صص ٦٨٣ـ٨٤ ٠

(٨٢) المرجع نفسه ، ص ٩٠١ ٠

(٨٣) المرجع نفسه ، صص ١٣٥ ـ ١٣٦ ٠

(٨٤) المرجع نفسه ، ص ١٣٦ ٠

(٨٥) المرجع نفسه ، صص ٣٥٣ـ٥٤ ٠

(٨٦) المرجع نفسه ، صص ٣٥٤ ـ ٥٥ ٠

(٨٧) المرجع نفسه ، صص ٣٩٤ ـ ٩٥ ٠

(٨٨) المرجع نفسه ، ص ٦٥٤ ٠

(٨٩) المرجع نفسه ، ص ٦٩٢ ٠

(٩٠) G. Levi Della Vida « **Sira** », EI (1), Vol. IV., p. 441.

« ج٠ **ليفي ديللافيدا** « السيرة » ، دائرة المعــارف الاسلامية (١) ، الجزء الرابع ، ص ٤٤٢ ٠

(٩١) عبارة « فيما بلغني » العربية واردة في الأصل بالحــروف اللاتينية ٠

(٩٢) عبارة « ذكر لي » واردة في الأصل بالحروف اللاتينية ٠

(٩٣) « **غليوم** » ٠ ص ٢٤ من المقدمة ٠

(٩٤) قول نقله « ملفين مادوكس » « Melvin Maddocks » في عرض لكتاب عنه بقلم « جون كلايف » Macaulay : « John Clive »
The Shaping of The Hisorian (New York. 1974), in Time, April 22, 1974, p. 90.

ماكولي ، « تشكيل المؤرخ (نيويورك ١٩٧٤) في « تايم » ٢٢ أبريل ، ١٩٧٤ ، ص ٩٠ ٠

(٩٥) ج٠ **ليفي ديللافيدا** « السيرة » ، دائرة المعاف الاسلامية (١) الجزء الرابع ، ص ٤٤٢ ٠

(٩٦) **ميزان الاعتدال** (القاهرة ١٣٨٢/١٩٦٣) الجزء الثالث ص ٦٦٣ ٠

(٩٧) **الذهبي** ، تذكرة الحفاظ ، الجزء الأول ، ص ٣٤٨ ٠

(٩٨) **ابن خلكان** ، وفيات ، ترجمة « م٠ دى سلين » « M. De Slane » (أعيد طبعه فى كراتشي ، ١٩٦٤) ، الجزء الرابع ، ص ٣٢٦ ٠

(٩٩) « **جوزيف هوروفتز** » « الثقــافية الاسلامية » (١٩٢٨) ، ص ٥١٨ ، ودائرة المعارف الاسلامية (١) الجــزء الرابع ، ص ١١٠٤ ــ ٥ ، « **مونتجمرى واط** » « محمد فى مكة » (أوكسفورد ، ١٩٥٣) ، ص ١٢ ٠

(١٠٠) « **بترسين** » ، ص ٨٣ ٠

(١٠١) تهذيب ، الجزء الثانى ، ص ٣٤٤ ٠

(١٠٢) « **هوروفتز** » (**١٩٢٨**) ، ص ٥٢٤ ٠

(١٠٣) J. W. Fuck, « **Ibn Saad** » E. I. (2) Vol. III, p. 922.

ج٠و٠فوك ، « **ابن سعد** » دائرة المعارف الاسلامية (٢) الجــزء الثالث ، ص ٩٢٢ ٠

(١٠٤) **ابن هشام** ، ص ٥٤٥ ٠

(١٠٥) المرجع نفسه ٠

(١٠٦) المرجع نفسه ٠

(١٠٧) **ابن هشام** ، ص ٥٥٣ ٠

(١٠٨) المرجع نفسه ، صص ٢٧٦ ــ ٧ ٠

(١٠٩) Lord Raglan, **The Hero : A Study in Tradition, Myth and Drama** (New York 1956), p. 13.

اللورد رجلان ، « البطل : دراسة فى المأثور والخرافة والدراما » ، (نيويورك ١٩٥٦) ، ص ١٣ ٠

(١١٠) المرجع نفسه ، ص ١٤ ٠

(١١١) Ignaz Goldziher, **Muslim Studies** (The Original Was First Published in 1890) Trans. by C. R. Barber and S. M. Stern (London, 1971), Vol. II.

« **اجناس جولدزيهر** » دراسات اسلامية » (نشر الأصل لأول مرة فى ١٨٩٠) ، ترجمه الى الانجليزية « ك٠ ر٠ باربر ، و ، س٠م٠ سترن ، (لندن ، ١٩٧١) ، الجزء الثانى ٠

(١١٢) D. S. Margoliouth, **The Early Development of Mohammedanism** (London, 1914).

« د٠س٠ **مارجوليوث** » تطور الاسلام فى فتـــرته الأولى (لندن ، ١٩١٤) ٠

(١١٣) Henri Lammens, **Islam. Beliefs and Institutions**, trans. by Sir E.D. Ross (London, 1929).

« **هنرى لامانس** » « الاسلام ، معتقداته ومؤسساته » ترجمة السير ا٠د٠ روس (لندن ، ١٩٢٩) ٠

(١١٤) James Robson, « Tradition », « The Muslim World, Vol. XLI 1957 January, pp. 22-23 April, pp. 98-112 and July, pp. 166-180.

« **جيمس روبسون** » ، « **الحديث** » ، العـــالم الاسلامى ، المجلد الواحد والأربعون ١٩٥٧ ، يناير ، صص ٢٢ ــ ٢٣ ، أبريل ، صص ٩٨ــ ١١٢ ويوليو ، صص ١٦٦ ــ ١٨٠ ٠

(١١٥) J Schacht, **The Origins of Muhammadan Jurisprudence** (Oxford, 1959).

« **شاخت** » « أصول الفقــه الاسلامى » (أوكسفورد ، ١٩٥٩) ٠
وقد ظهرت مؤخرا كتابات عديدة بلغة الأردو بقلم علماء مسلمين ، لاسيما فى الهند وباكستان ، للرد على نقد علماء الغرب ، وعلى « شاخت » بصفة خاصة ٠ وقد قام « فؤاد سيزجين » « Fuad Sezgin » كذلك بعمل قيم فى هذا المجال ومما يؤسف له أن معظم هذه الأعمـــال لم تترجم لا الى العربية ولا الى الانجليزية ٠

(١١٦) « **جولدزيهر** » « دراسات اسلامية » ، المجـــلد الثـــانى ، ص ٢٢٧ ٠

(١١٧) « **روبسون** » « العالم الاسلامى » المجلد الواحد والأربعون ، ص ٣٢ ٠

(١١٨) « **مونتجمري واط** » «محمد في مكة» (أوكسفورد ، ١٩٦٨)، ص ١٣ ٠

(١١٩) Alfred Guillaume, **The Tradition of Islam : An Introduction to the Study of the Hadith Literature** (Oxford, 1924). pp. 30-32.

« **الفريد غليوم** » « السنة في الاسلام » : مقدمة لدراسة مادة الحديث (أوكسفورد) ١٩٢٤ ، صص ٣٠ـ٣٢ ٠

(١٢٠) « **غليوم** » ص ٣٤ ٠

(١٢١) المرجع نفسه ، ص ٣٤ ٠

(١٢٢) نشر في القاهرة في أربعة أجزاء في سنة ١٩٥٥ ٠

(١٢٣) انظر لمزيد من التفاصيل ، **حاجي خليفة** ، **كشف الظنون** ،

Brockelmann, **Geschichte Der Arabischen Literatue,** Vol. G. II, 173.

وبروكلمان ، « تاريخ الأدب العربي » ، المجلد « II » « الثاني » ، ص ١٧٣ ، ومقدمة الناشر لطبعة « وفاء الوفا » سنة ١٩٥٥ المذكورة سابقا ٠

(١٢٤) Francesco Gabrierli, **Muhammad and the Conquests of Islam,** trans. by Virginia Luling and Rosamund Linell, (London, 1968), p. 73.

« **فرانشيسكو جابريللي** » « محمد والفتوح الاسلامية » ، ترجمة « فرجينيا لولنج » « وروزاموند لينيل » ، (لندن ١٩٦٨) ، ص ٧٣ ٠

(١٢٥) Deuteronomy 20, 13-14 Quoted By Muhammad Ali, **Muhammad The Prophet** (Lahor, 1924), p. 163.

التثنية ٣٠ : ١٣ ـ ١٤ ، ذكره محمد علي « محمد النبي » (لاهور ١٩٢٤) ، ص ١٦٣ ٠

(١٢٦) 2 Samuel XII, 31, quoted by Syed Ameer Ali, **The Spirit of Islam**, (London, 1964), p. 82.

صمويل الثاني ، ثاني عشر ، ٣١ ، ذكره سيد أمير علي ، « روح الاسلام » (لندن ، ١٩٦٤) ، ص ٨٢ ٠

(١٢٧) المجلد الثاني والعشرون ، نوفمبر ١٩٤٥ ، صص ٢٢١ـ ٢٣٦ ٠

(١٢٨) للأمثلة انظر ، صص ٣٨ و ٣٩ من هذه الطبعـة ٠

(١٢٩) « جراتز » الجزء الثـالث ، ص ٨٥ ، « بارون » ، الجـزء الثالث ، ص ٨٩ ٠

(١٣٠) Samuel Usque, **A Consolation for The Tribulations of Israel — Third Dialogue**, translated by Gershon I. Gelbert (New York, 1964).

«صمويل آوسكوى» ، عزاء عن بلايا اسرائيل ــ الحوار الثالث ، ترجمة « جرشون ١٠ جلبارت » (نيويورك ، ١٩٦٤) ٠

(١٣١) المرجع نفسه ، ص ١٦ ٠



الفصل الأول

يهود الجزيرة العربية عشية الهجرة

« نزعت عدة قبائل عربية بالتسلل
البطىء الى المدينة وما يجاورها ،
واستقبلهم المزارعون اليهود
بترحيب • وانتهي الأمر بهؤلاء
الوافدين الجدد ، الذين تزايدت
أعدادهم بصفة مستمرة بوافدين من
الجنوب والذين توحدوا تحت قيادة
زعيم قدير هو مالك بن عجلان ، أن
أصبحت لهم الغلبة على مضيفيهم
بحلول القرن السادس • ومع ذلك
فان القبائل اليهودية التى وجدها
محمد داخل ذلك المركز الواقع فى
شمال الجزيرة العربية وحوله كانت
لا تزال قوية ، ومن المحتمل انها كانت
تشكل اغلبية السكان المقيمين » •

« سالو ويتماير بارون »

ان تاريخ نشوء المستوطنات اليهودية فى الجزيرة العربية كما يقول « جراتز » : « تاريخ يغشاه ضباب الأساطير »(١)، وليست هناك شواهد تاريخية يمكن الاعتماد عليها لتحديد تاريخ تقريبى لوصولهم • كانت مدينة تيماء معروفة للأنبياء اليهود ، ومن الجائز أنها كانت أول مدينة فى الجزيرة العربية وجد فيها شىء يشبه المجتمع اليهودى فى الأزمان الغابرة التى ورد ذكرها فى الكتاب المقدس (٢) • والظاهر أن نفرا من بحارة بنى اسرائيل ومن اليهود الفارين من تنكيل نبختنصر ثم من تنكيل الرومان أقاموا لأنفسهم

مستوطنا في شبه الجزيرة العربيه - وفي جنوب الجزيرة (اليمن) كان اليهود شيعا « لا يجمع بينهم وفاق اجتماعي او سياسي » (٣) • على انهم في حوالى بداية القرن الخامس استقروا في الارض بفضل دأبهم ومهارتهم في ضروب الكسب والربح • وقد بلغ من نفوذهم على قبائل اليمن العربية أن ذا نواس أحد ملوك حمير اعتنق اليهودية واتخذ لنفسه اسم يوسف (٤) •

وترجع الأساطير العربية تاريخ اقامة أول مجموعة من اليهود في الحجاز الى زمن موسى عليه السلام الذى أمر بعض تابعيه بمقاتلة العماليق وهو شعب من أصل ادومي يوصف في كتب أحبار اليهود بأنه «أكبر عدو دائم لبني اسرائيل»(٥) ويقول أبو الفرج الأصبهاني (٢٨٤/٨٩٧ ـ ٣٥٦/٩٦٧) ان هؤلاء اليهود أرسلوا للقضاء على العماليق في الحجاز ولكنهم لم ينفذوا الأمر الصادر اليهم بقتلهم أجمعين وأخذتهم الشفقة بابن لمليكهم كان غلاما جميلا وغادوا به حيا بدلا من أن يقتلوه • وقد عوقب هؤلاء اليهود على فعلتهم بالنفى فأقاموا في يثرب التى كان قد سبق لهم الاستيلاء عليها • وكان من اليهود الذين استقروا في الحجاز بنو قريظة وبنو النضير وبنو قينقاع (٦) • وبالرغم من عدم وجود عيب أساسي في هذه الأسطورة فان الشواهد التاريخية لا ترجع بنا الا الى القرن الأول الميلادى • والكتابات التى خطت على شاهد قبر شخص من الشبيت اسمه « يهوديا » نصب في الحجر سنة ٤٢ ميلادية (أو ٤٥ قبل الميلاد) وتلك الخاصة بشخص آخر اسمه «سيمون» في سنة ٣٠٧ (وهذه ، بالمناسبة ، هى آخر كتابة معروفة للنبطيين اكتشفت حتى الآن) هى بعض المخلفات القليلة الموجودة عن حياة اليهود ـ العرب في الجزيرة العربية قبل الاسلام • ويعتبر « ورنر كاسكيل » بمناسبة هاتين الكتابتين أن اليهود كانوا أهم ممثلي ثقافة النبطيين في الحجاز بعد عام ٣٠٠ الميلادى ، وهو يقول في

ذلك : «هذه هي بدايات السكان اليهود الذين احتلوا فيما بعد جميع الواحات الواقعة فى الشمال الغربي بما فى ذلك المدينة » (٧) ·

وكانت يثرب ، الواقعة على طريق القوافل التى تسير من الشمال الى الجنوب ، واحة غنية بموارد المياه الجوفيه والينابيع والمياه المنبثقة ، وقد وجد فيها اليهود ارضا يستغلونها بخبرتهم فى مجال الزراعة وزرعوا فيها النخيل واشجار الفاكهة والأرز · « ويبدو أنهم كانوا من الرواد فاستحدثوا طرقا متقدمة للرى ونظم تعهد التربة ، وأدخلوا كذلك فنونا وحرفا جديدة فى صناعة المعادن والصباغة وصنع المصوغات الدقيقة ، وعلموا القبائل التى كانت تجاورهم طرقا متقدمة فى تبادل السلع والنقود » (٨) ·

ورغم أن دين هؤلاء اليهود كان يميزهم عن سائر العرب الا أنهم استعربوا الى درجة جعلت قبائلهم تتخذ لنفسها أسماء عربية · ويبدو أن بنى زاعورا كانوا الاستثناء الوحيد على ذلك · « وكانت الأسماء اليهودية مثل عاديا والسموأل وسارا نادرة نسبيا بينهم » (٩) · ومن الصعب تحديد نسبة امتزاج العنصر العربى باليهود ، لكن من غير المستبعد أن تكون بعض القبائل العربية القح قد اعتنقت اليهودية(١٠)· ويقول « جراتز » فى هذا الشأن :

« وكان من أثر التزاوج بين الأمتين أن زاد تشابه طباعهما · وقد اشتغل يهود جنوب الجزيرة العربية بوجه خاص ـ شأن الحميريين ـ بالتجارة فيما بين الهند والامبراطورية البيزنطية وبلاد فارس · أما يهود شمال الجزيرة فقد عاشوا على العكس من ذلك معيشة البدو واشتغلوا بالزراعة وتربية المواشى ونقل تجارة القوافل من السلاح ، ومن المحتمل أن يكون بعضهم قد احترف اللصوصية » (١١) ·

ويبدو أن ما يقوله « جراتز » من ان يهود شمال الجزيرة لم يشتغلوا بالتجارة يستند الى سكوت المصادر اليهودية عن هذا الموضوع . على أن يثرب كانت تقع على طريق تجارة القوافل ومن غير المحتمل الا يكون أثرياء اليهود فى المنطقة، بمنتجاتهم الزراعية وصناعة المصوغات والأسلحة التى كان لهم فيها باع طويل ، وكذلك ــ وقبل كل شىء ــ برؤوس أموالهم ، قد اشتغلوا بالتجارة مع الشام . وقد أشار « ولفنسون » الى احتمال وجود اتصالات تجارية واسعة النطاق بين يهود يثرب وقبائل غسان المسيحية التى كانت من أعوان الامبراطورية البيزنطية فى الشام (١٢) . ويوافق م.أ شعبان على هذا الرأى حيث يقول :

« ان لنا ، نظرا للعلاقات الوثيقة التى كانت قائمة بين يهود المدينة وغيرهم من المجتمعات اليهودية فى الجزيرة العربية ، أن نتصور وجود شبكة تجارية يهودية فى تلك الجزيرة فى ذلك الوقت (١٣) .

وهو يضيف الى ذلك قوله : « وقد امتدت هذه العلاقات شمالا حتى أذرعات فى سوريا ، كما امتدت جنوبا على الأقل حتى نجران » (١٤) .

وكان يهود الجزيرة العربية يتمتعون ، كما يلاحظ « جراتز » ، بحرية كاملة وكانوا يعقدون الأحلاف الهجومية والدفاعية ، وكانت تنشب بينهم أحيانا خصومات دامية . ولم يكونوا ممنوعين من مسالك الشرف ولا محرومين من الامتيازات بل كان مسموحا لهم ، بغير قيود ، بزيادة قوتهم وسط شعب حر بسيط وموهوب، لاظهار شجاعتهم ورجولتهم، وللتنافس على عطايا الشهرة وبمبارزة خصومهم بيد مدربة على استخدام السلاح . ولم يخضع اليهود لنير غيرهم ولم يكن من النادر أن يكون زعماء القبائل العربية من اليهود(١٥).

ولم يكن يهود الحجاز ، بخلاف الحال فى المجتمعات اليهودية الأخرى ، يهتمون فيما يبدو بالعلم والأدب . وقد

شكك « مارجوليوث » وغيره في صحة ما نسب اليهم من أشعار (١٦) ولم يكن السموأل سوى أسطورة ، وكان كعب ابن الأشرف ابنا لعربي ولو أنه كان « يتصرف وكأنه ينتمي لقبيلة بني النضير، قبيلة أمه»(١٧)· ويسلم «بارون» بأن :

« الصورة الفكرية لليهود العرب لم تتجاوز بعض صفحات القانون الموسوي وبعض كتب الصلاة العبرية وبعض مستلزمات العبادة والدراسة الأخرى ، ومن المشكوك فيه جدا أن تكون ترجمات الكتاب المقدس العربية التي كانت موجودة في ذلك الوقت أكثر من ترجمة جزئية » (١٨) ·

ومعرفة الكتاب المقدس التي كان يملكها اليهود العرب ، حسب راى « جراتز » ، « لم تكن معرفة كبيرة · ولم تتأت لهم تلك المعرفة الا من خلال التفسير الأجادى(★) الذى أصبح مألوفا لهم في الأسفار التي كانوا يقومون بها ، أو الذى جاءهم به بعض من هاجروا اليهم · وكان تاريخ الماضي المجيد بالنسبة اليهم مختلطا بالاضافات الأجادية بدرجة جعلتهم عاجزين عن تمييز الذهب من الغثاء » (١٩) ·

وكانت لليهود العرب علاقات تجارية بيهود الشام (٢٠)، كما كانت لهم روابط دينية ببابل (٢١) « ولكن صلاتهم الفكرية بمراكز حياة اليهود في هذين البلدين كانت قليلة » (٢٢) ·ومن الصعب ، نظرا لانعدام الشواهد التاريخية ، الموافقة على الرأى الرومانطيقي الذى يقول به « بارون » بأنه : « خلال الأجيال القليلة التي كانت الكلمة العليا فيها لليهود ارتقت المناطق الشمالية المهمة الى مستوى من الحضارة يكاد يماثل ذلك الذى بلغته الحضارة في الجنوب وهو المستوى الذى جعل حمير وما حولها تستحق منذ زمن طويل الوصف الذى وصفها به الرومان حين أسموها بالبلد العربي السعيد » (٢٣) ·

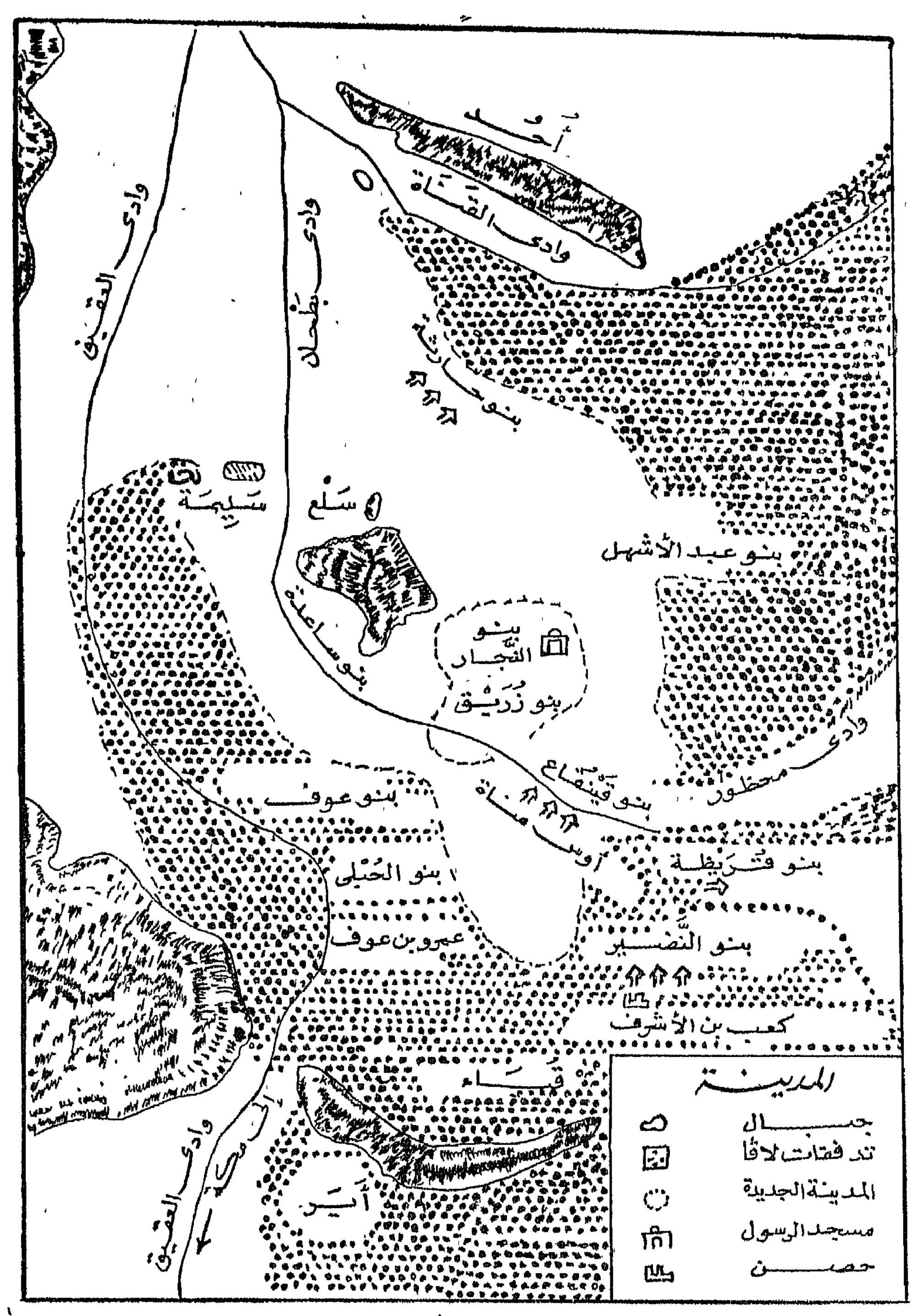
(★) التفسير الاجادى تفسير قديم للتوراة ، استعان فيه واضعوه بالنوادر والأساطير لتقريب احكام الشريعة الموسوية الى افهام عامة الشعب ·

وواقع الأمر ان يهود الجزيرة العربية « لم يسهموا بشيء أو اسهموا بالنزر اليسير في نهضة اليهود الدينية والثقافية بعد فترة الكتاب المقدس » (٢٤) ٠

وفي هذا يقول « مارجوليوث » انه « لم يظهر بينهم ـ فيما يبدو ـ رجل واحد يستحق أن يحفظ اسمه » (٢٥)٠

لقد أقام في المدينة أكثر من عشرين قبيلة من القبائل اليهودية (٢٦) ٠ وكانت أعلى هذه القبائل قوما قبائل بني قريظة وبني النضير وبني قينقاع وبني ثعلبة وبني هدل ٠ وكانت قبيلتا بني النضير وبني قريظة تزعمان أنهما من أسلاف كهنة يهود ، وكلمة كاهن العربية تقابل كلمة كوهين العبرية ٠ على آن اليعقوبي يقول ، دون أن يذكر مصدر معلوماته ، ان بني النضير كانوا بطنا من بطون بني جذام الذين اعتنقوا اليهودية ، وان بني قريظة كانوا اخوة لبني النضير ، يقال انهم اعتنقوا اليهودية في أيام عادية ابن السموأل (٢٧) ويستفاد مما قاله اليعقوبي أن بني النضير وبني قريظة تسميا باسم التلال التي حلوا بها أول مرة ٠ و « مارجوليوث » لا يعتبرهم يهودا ، وهو يميل « الى اعتبار آن وصف اليهود الذي توصف به هذه القبائل المدنية يشير الى شكل من أشكال التوحيد » (٢٨) ٠ و « ريسنر » بدوره لا يعتبرهم يهودا ٠ وهو يقول في ذلك :

« كان التلمود قد اكتمل في بابل قبل مولد محمد باقل من مائة عام ٠ وكان هناك في ذلك الوقت في داخل المجال اليهودي وخارجه اتفاق تام على تحديد من هو اليهودي وعلى ما يعتبر جوهر الديانة اليهودية ٠ فاليهودي هو من اتبع القانون الموسوي كما يفسره مدرسو القانون وفقا للمبادىء التي أرساها التلمود ٠٠ ومن لم يلتزم بهذا ٠٠ كان يسقط من الحساب ٠ واذا كان اسرائيليا بالميلاد فلا يمكن حرمانه من حق المولد ، أي من حقه في أن يدعى ابنا لاسرائيل ، كما في الجزيرة العربية ٠٠ » (٢٩) ٠



المدينة فى السنة الأولى من الهجرة

« وفريدلاندر » لا يذهب مذهب « جراتز » و « ريسنر »
وقد أثبت استنادا الى وثائق جاعونية اتصال اليهود العرب بأكاديمية بابل الجاعونية · وهو يلاحظ : « أن من سمات الوضع المركزى الذى كانت تتمتع به الأكاديمية الجاعونية فى حياة اليهود أنها كانت ، حتى فى شخص آخر ممثليها ، قادرة على ممارسة نفوذها على اليهود شبه الخرافيين الذين كانوا يعيشون بعيدين فى الجزيرة العربية الحرة وعلى تشكيل حياتهم المهنية والمدنية · ويتضح من هذا الوضع فى الوقت ذاته أن اليهود العرب ، مهما بلغ من بعدهم عن مركز التعليم اليهودى ، كانوا يعترفون بسلطان التلمود وكانوا بريئين من المشاعر المعادية للتلمود التى ينحو « جراتز » الى اسنادها لأسلافهم » (٣٠) ·

لقد كان بنو قريظة وبنو النضير يسمون أنفسهم بالكهنة · لذلك فمن المرجح أنهم كانوا يدعون الانتماء الى بيت هارون (٣١) · وكان بنو قينقاع ـ الذين اتخذوا لأنفسهم صناعات كصياغة الذهب ـ يصنعون الأسلحة ويديرون سوقا تجارية ، ومن المحتمل أنهم كانوا « عربا شماليين أو أدوميين أو شيئا من هذا القبيل » (٣٢) ·

ولم يكن بنو قينقاع يملكون أراضى زراعية ولئن كانت لهم مستوطنة كثيفة فى ضواحى المدينة (٣٣) · وكان بنو قريظة وبنو النضير يملكون أراضى تعتبر من أجود الاراضى الزراعية الى الجنوب من المدينة وتقع على هضبة مرتفعة · وكانت القبائل اليهودية الأخرى متناثرة متفرقة · وكانت القبائل اليهودية فى المدينة تملك فى المجموع ما يقرب من ستين أطما (٣٤) · وهذه الآطام ، التى كانت من معالم يثرب البارزة ، كانت فى واقع الأمر حصونا تخزن فيها المؤن ويتوافر فيها الماء · وكانت منيعة منعة تسمح لها بصد الهجمات العسكرية ، كما كانت كبيرة بدرجة تسمح لها بمقاومة الحصار الطويل · وكانت فيها مدارس ومعابد وقاعات للمجالس ·

وكانت خيبر من حيث الاهمية ثاني مستوطنات اليهود في الجزيرة العربية • وهي تبعد بمسافة تسعين ميلا تقريبا عن يثرب ، وتقع على هضبة جبلية شديدة الارتفاع تتكون كلها من رواسب اللافا وتغطيها مستنقعات تعيث فيها الملاريا • وكانت الوديان التي تتخللها ، رغم كونها غير مأهولة ، في غاية الخصوبة • وكان اليهود يزرعون الكروم والخضر والغلال ويربون الأغنام والماشية والابل والخيل والحمير • وكانت لديهم كذلك حدائق من نخيل • وكانوا يتجرون مع بلاد الشام ويستفيدون من تجارة القوافل بين الجزيرة العربية والشام والعراق • كذلك كانوا يصنعون المعدات المعدنية كالآلات التي تستخدم لدك أسوار المدن المحاصرة والمنجنيق (٣٥) • وكانوا يملكون مجموعات من الحصون كان العديد منها مشيدا على قمم التلال في مواقع منيعة • ويقول اليعقوبي ان هذه الحصون كان يعيش فيها عشرون ألف مقاتل (٣٦) • وكانت هناك معاقل يهودية ثلاثة أخرى في فدك ووادي القرى وتيماء •

على أن ما يذهب اليه « توري » من أنه كان في مكة يهود في زمن الرسول ﷺ قول لا أساس له (٣٧) • ان الأزرقي لا يشير الى وجود أي مستوطن لليهود في مكة وان كان يشير الى توقيرهم للكعبة ، ويقول انهم كانوا يخلعون نعالهم حين يصلون الى حدود الحرم (٣٨) • ويلاحظ « لامانس » أن ارسال قريش وفدا الى المدينة للتشاور مع اليهود في شأن ما كان يقوله الرسول ﷺ دليل على أنه لم يكن في مكة يهود تتسنى استشارتهم (٣٩) •

وحين وصل بنو قيله الى يثرب من الجنوب سمح لهم اليهود ، فيما يبدو ، بالاقامة في الأراضي الواقعة في المدينة وما حولها التي لم تكن قد زرعت بعد • وقد قبل بنو قيله ، الذين كانوا ينقسمون الى أوس وخزرج ثم انقسموا الى بطون أخرى ، سيادة اليهود ودخلوا معهم في علاقات جوار أو حلف •

والحلف اتفاق ذو نطاق عام يعقد بين قبائل منفصلة تماما لاقامة حالة دائمة من السلم بينها • ولم يكن الحلف يمس استقلال القبائل ، لكنه كان يوحد بينها لأغراض الدفاع المشترك وللاسهام فى دفع الدية للغير ، وللأخذ بالثأر ، وللاشتراك فى استخدام المرعى (٤٠) •

وفى حوالى منتصف القرن السادس الميلادى تغير الوضع، وكان تغيره راجعا الى حد كبير الى ثورة مالك بن العجلان على الأمير اليهودى الفطيون من قبيلة زهرة « وكانت لا تهدى عروس بيثرب من الحيين ، الأوس والخزرج ، حتى تدخل عليه فيكون هو الذى يغتصبها قبل زوجها » • وكان مالك بن العجلان من الخزرج ، ولكن كلا من الأوس والخزرج كانا يخضعان لسيادته • وقد حصل مالك على استقلاله ، ومن المحتمل أن كل الخزرج ومعظم الأوس تحرروا معه من سيطرة اليهود (٤٢) • ويقول ابن خرداذبه (المتوفى سنة ٣٠٩/ ٩١١) ان مرزبان البادية عين عاملا على المدينة وكان يجبى الخراج • ويستطرد هذا المصدر قائلا ان بنى قريظة وبنى النضير كانوا ملوكا عينوا لجمع هذا الخراج من الأوس والخزرج (٤٣) • كذلك يقول ياقوت (المتوفى سنة ١٢٢٩/٦٢٦) ان قريظة والنضير كانوا ملوكا فى المدينة حتى أخرجهم منها الأوس والخزرج الذين كانوا فى السابق يؤدون خراجا لليهود (٤٤) • ويعتبر « التهايم وستيل » أن ما ذكره خرداذبه معقول وهما يلاحظان أن مثل هذا الوضع كان من الممكن أن يستمر طالما كانت القبائل اليهودية تسيطر على الأوس والخزرج حتى منتصف القرن السادس (٤٥) • ولعل الأقرب الى الصواب أن نفترض أن يهود المدينة فقدوا مركزهم كمجموعة مسيطرة قبل ميلاد الرسول بفترة •

وقد حدثت بعد منتصف القرن السادس تطورات تضعضعت على اثرها قوة المجتمع اليهودى فى يثرب • ويستدل من حقيقة أن بنى النضير وبنى قريظة قد أعطوا قبل معركة

بعاث رهائن للخزرج رغم أنهم كانـوا عـلى علم تام بمدى ضعفهم ، لكن كلتا القبيلتين ساعدتا الأوس فى غزوة بعاث ضد الخزرج رغم انه ترتب على ذلك قتل بعض رهائنهما • وقد مكنت هذه المساعدة الأوس من الظفر بالخزرج فى معركة بعاث التى وقعت قبل الهجرة بسنوات قليلة (٤٦) •

وبحلول الربع الاول من القرن السـابع الميـلادى كان بنو قيله ، أغلب الظن ، فى طريقهم الى ان يصبحوا مجموعه مسيطرة فى يثرب • ولم تكن يثرب فى ذلك الوقت مدينـه بمعنى الكلمة ، بل كانت مجموعة غـير منظمـة من الاحياء والدور ، والمزارع والأكواخ المحصنة موزعة فى أنحاء واحة غنية بموارد المياه الجوفية والينابيع والمياه المنبثقة • وعلى الرغم مما بدا من أن الاوس كانتلهم اليد العليا فان العلاقات بين مختلف المجموعات كانت قد ساءت كثيرا • وكانت هـذه المجموعات منشقة على نفسها وكانت بعض المشاحنات التافهة فيما بينها تتخذ أحيانا أبعادا خطرة • وكان التوازن الذى أسفرت عنه غزوة بعاث هشا ، وكان هناك خطر كبير فى أن تنشب الحرب بين القبيلتين من جديد • وكان هذا الجو الذى تسوده الفوضى والريبة وانعدام حكم القانون هو الذى جعل الأوس والخزرج يحاولون جمع صفوفهم تحت زعامة عبد الله ابن أبى بن سلول العوفى من بنى الحبلى (٤٧) •

عـلى أن يثرب أضحت بالنسبة لليهـود مركزا لمنطقـة يسميها « بالوطن الصغير » يحـكمها قانون التلمود (٤٨) • وكانت مجتمعات يهـودية متماسكة ومزدهرة تحتـل فدك ووادى القرى وتيماء وخيبر •

ويتضـح من دراسـة المصـادر العربية ونتائج البحث الحديث أن يهود الجزيرة العربية لم يكونوا شعبا يعيش فى عزلة • ويعتبر عرفان شاهد ـ وهو آخر الدارسين الذين توفروا على بحث هذه الفترة ـ أن العلاقات بين يهود يثرب ويوسـف ذى نـواس « كانت بالضرورة عـلاقات وثيقـة

للغـــاية » (٤٩) • وقد دفـــع اليهــود ذا نواس الى محـــاربة نجران (٥٠) • وكانت هناك كتيبة من اليهود في جيش المنذر الثالث (٥٠٥ ــ ٥٥٣) حاكم الحيرة الذى تزوج ابنه ، المنذر الرابع ، (٥٨٠ ــ ٥٨٣) يهودية هي سلمى بنت الصائغ ام النعمان الثالث (٥١) (٥٩٢ ــ ٦٠٤) الشهير ، الذى كان آخر اللخميين •

كانت هذه هي الأوضاع السائدة حين أتى الاسلام لابناء بني قيلة المتناحرين بأمل في نهج جديد للحياة • وكان ستة رجال من الخزرج أول من دخل الاسلام بصـــورة نهائيـــة • وكانوا قد ذهبوا الى مكة ، عـــلى الأرجح ، في ســـنة ٦٢٠ • وبعد ذلك بسنة عاد خمسة منهم مع أربعة آخرين من الخزرج وثلاثة من الأوس وبايعوا الرسول ﷺ • وفي يونية ٦٢٢ ذهب ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان الى مكة للحج وبايعوا الرسول ﷺ في هذه المناسبة سرا تحت جنح الظلام وتعهدوا ليس فقط بطاعة الرسول ، بل بالحـــرب من أجله ووصف كعب بن مالك ، الذى كان حاضرا في هذه المناسبة ، مغزى هذه البيعة في كلمات بسيطة قال فيها :

« فتكلم رسول الله ﷺ ، فتلا القرآن ، ودعا الى الله ، ورغب في الاسلام ، ثم قال : أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبنـــاءكم • فأخـــذ البراء بن معرور بيده ، ثم قال : نعم ، والذى بعثك بالحق ، لنمنعك مما نمنع منه أزرنا ، فبايعنا يا رسول الله ، فنحن والله أبناء الحروب، وأهل الحلقة ، ورثناها كابرا عن كابر • فاعترض القول ، والبراء يكلم رســـول الله ﷺ ، أبـــو الهيثم التيهان فقال : يا رسول الله ، ان بيننا وبين الرجال حبالا ، وانا قاطعوها ــ يعني اليهود ــ فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا ؟ فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال : بل الدم الدم ، والهدم الهدم ، أنا منكم وأنتم مني ، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم » (٥٢) •

وليس من الواضــح ماذا كانت بالضبط طبيعة اتفاق الرسول ﷺ مع مسلمي المدينة قبل رحيله عن مكه • على ان هناك شيئين يبــدو انهما مؤكدان ، أولهمــا أنه كان هناك قطعا تعهد بالقتال ، والثاني هو أن يهود المدينـــة لم يكونوا طرفا في اى اتفاق قبل الهجرة • وليس من المعروف عـــلى وجه الدقة ماذا كانت شروط تلك البيعة • وقبل أن يرتحل الرسول ﷺ عن المدينة لملاقاة قريش فى بدر طلب المشــورة وقال : « أشيروا على أيها الناس » • ويقول ابن اسحاق انه انما كان يريد الأنصار • وذلك لأنهم كانوا الأغلبية ، وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا : يا رسول الله انا براء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا ، فاذا وصلت الينا فأنت فى ذمتنا ، نمنعك مما نمنع منه آباءنا ونساءنا • فكان رسول الله ﷺ يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصره الا ممن دهمــه بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يســير الى عــدو من بلادهم • فلما قال ذلك رسول الله ﷺ قال له سعد بن معاذ : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال أجل ، قال : فقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا ، على الســمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت ، فنحن معك » (٥٣) •

وقد وقعت غزوة بدر فى حوالى الجزء الأخير من السنة الثانية من الهجرة لذلك فمن المهم أن نلاحظ أنه لا الرسول ولا سعد بن معاذ أشارا حتى بصورة جانبية الى الوثيقة التى أسميت بالصحيفة • ولو أن هذه الصحيفة كانت قد وقعت بعد وصول الرسول الى المدينة مباشرة أو حتى خلال السنتين الأوليين من اقامته فيها لما أشير للاتفاق السابق عليها الذى تم فى العقبة والذى كان من شأن الصحيفة أن تجبه وتلغيه •

وفيما يتعلق باليهــود فان مصادرنا يشــوبها التناقض والغموض • وليس من الواضح البتة ما اذا كان قد تم اتفاق رسمي بين النبى واليهود على الاطلاق • وابن اسحاق يقــول

ان الرسول ﷺ حين ذكر اليهود بما اخذ عليهم له من ميثاق قال اليهود ـ أى بنو النضير على ماهو محتمل : « والله ما عهد الينا فى محمد عهد وما أخذ له علينا من ميثاق » (٥٤) . وقد وردت هذه الواقعة قبل أن يشجر الخلاف بين بنى قينقاع والمسلمين . ونظرا لعدم وجود معلومات نهائية بشأن أى اتفاق تم مع اليهود فان العلاقة بينهم وبين المسلمين فى المدينة ظلت تخضع لقاعدة أشبه بقاعدة بقاء كل شىء على حاله أو بالأحرى بدا كما لو أن هناك هدنة غير حاسمة بين الطرفين وأن هذه الهدنة ظلت قائمة الى أن وقعت الصحيفة .

وللمؤرخين الذين كتبوا عن أحلاف القبائل فى الجاهلية أن يتساءلوا بحق عما اذا كان يهود المدينة لم يصبحوا ، دون ارادة منهم ، ضحية للغيرة بين القبائل أو لتعقيد الأحلاف بينها . ودراستنا لهذه الأحداث تفيد أن الأحلاف المذكورة لم يكن لها أى دور فى النزاع بين اليهود والمسلمين ، وأن ثقة اليهود فى المنافقين كان لها فيما أصابهم من نكبات دور أكبر بكثير من دور الأحلاف (٥٥) . وقد حرص الرسول منذ حالات الاعدام الأولى ، أى اعدام أبى عفك من بنى عمرو بن عوف وعصماء بنت مروان من بنى أمية بن زيد ، على تأكيد أن الاسلام قد نسخ ما كان قائما بين القبائل من أحلاف . وليس من الصواب أن نخلص من هذا الى أن الانتماء القبلى لم يكن له دور مهم فى تعامل العرب مع الرسول ﷺ ولكن هذا الانتماء لم يكن له دور ـ أو أى دور مهم ـ فى تضاؤل النفوذ اليهودى فى الحجاز خلال السنوات العشر التالية للقائهم مع الاسلام .

مراجع الفصل الأول

(١) « جراتز » الجزء الثالث ، ص ٥٤ ·

(٢) اشعياء ٢١ : ٢٤ ، أرمياء ٢٥ : ٢٣ ، وأيوب ٦ : ١٩ ·

(٣) « جراتز » ، الجزء الثالث ، ص ٥٦ ·

(٤) Irfan Shahid, **The Martyrs of Najran : New Documents.** (Bruxelles 1971), pp. 260-68.

عرفان شاهد ، شهداء نجران : وثائق جديدة (بروكسل ، ١٩٧١) ، صص ٢٦٠ـ٦٨ للوقوف على خلفيته و « التعدد المحير فى الأسماء التى اختارها لنفسه » ·

(٥) « Amalek », **The Encyclopaedia of the Jewish Religion,** 1956, pp. 27-8.

« العماليق » ، دائرة معارف الديانة اليهودية ، ١٩٦٥ ، صص ٢٧ـ٨ ·

(٦) **أبو الفرج الاصبهانى** ، كتاب الأغانى (القاهرة) وزارة الثقافة والارشاد ، بدون تاريخ ، الجزء الثالث ، ص ١١٦ · المرجع السابق ، (بيروت ١٩٦٠) الجزء الثانى والعشرون ، صص ٩٧ـ١٠٧ · السمهودى، الجزء الأول ، صص ١٥٤ ـ ١٦٥ ·

(٧) Werner Caskel, « **The Bedouinization of Arabia** », Studies **in Islamic Cultural History,** G. E. Von Grunebaum, ed. (Wisconsin, 1954) p. 43.

ورنر كاسكيل ، « بدونة الجزيرة العربية » ، دراسات فى تاريخ الثقافة الاسلامية ، أعده للطبع « ج٠أ· فون جرونباوم » (وسكونسن ، ١٩٥٤) ، ص ٤٣ ·

(٨) « **بارون** » الجزء الثالث ، ص ٧٠ ·

(٩) **هوروفتز** ، « الثقافة الاسلامية » ، الجزء الثالث (١٩٢٩) ، ص ١٨٧ ·

(١٠) Ibn Wadih al-Yaqubi, Tarikh, ed. by M. Th. Houtsma (Leiden, 1883), Vol. I, pp. 49-52.

ابن واضح اليعقوبي ، تاريخ ، تحقيق « م.ت. هوتسما » (ليدن ، ١٨٨٣) الجزء الأول ، صص ٤٩ـ٥٢ .

(١١) « جراتز » ، الجزء الثالث ، ص ٥٧ :

(١٢) « ولفنسون » ، « تاريخ اليهود في بلاد العرب » ، ص ٦٠ :

(١٣) M. A. Shaban, Islamic History A.D. 600-750 (A. H. 132) : A New Interpretation (Cambridge, 1971), p. 10.

م. ا. شعبان ، « التاريخ الاسلامي من سنة ٦٠٠ـ٧٥٠ ميلادية ، (١٣٢) هجرية : تفسير جديد (كامبريدج ، ١٩٧١) ، ص ١٠ .

(١٤) المرجع نفسه :

(١٥) « جراتز » ، الجزء الثالث ، ص ٥٣ :

(١٦) انظر :

D.S. Margoliouth, The Relations between Arabs and Israelites Prior to the Rise of Islam (London, 1924) and Horovitz, Islamic Culture, III pp. 188-90.

« د.س. مارجوليوث » العلاقات بين العرب واليهود قبل ظهور الإسلام » (لندن ، ١٩٢٤) و « هوروفتز » الثقافة الاسلامية ، الجزء الثالث ، صص ١٨٨ـ٩٠ .

(١٧) Watt, Muhammad at Medina, p. 210

« واط » محمد في المدينة » ، ص ٢١٠ :

(١٨) « بارون » ، الجزء الثالث ، ص ٢٦١ :

(١٩) « جراتز » الجزء الثالث ، ص ٥٩ .

(٢٠) المرجع نفسه صص ٥٨ـ٥٩ ، وانظر « الفصل الأول » من هذه الطبعة ، ص ٦٢ :

(٢١) انظر ص ٦٥ من هذه الطبعة :

(٢٢) « بارون » ، الجزء الثالث ، ص ٧٢ .

(٢٣) « بارون » ، الجزء الثالث ، ص ٧١ .

(٢٤) « فرانشسكو جابريللي » ، « محمد » ، ص ٤٢ :

(٢٥) « مارجوليوث » ، العلاقات ، ص ٧١ :

(٢٦) السمهودي ، ص ١٦٥ :

(٢٧) اليعقوبي ، صص ٤٩ـ٥٢ :

(٢٨) « مارجوليوث » ، « العلاقات » ص ٧١ :

(٢٩) H. G. Reissner, « The Ummi Prophet and the Banu Israil » The Muslim World, Vol. xxxix (1949), p. 278, cf. S.D. Goitein, « Banu Isra'il ». Encyclopaedia of Islam (2), Vol. I. Para. 2 of p. 1022.

هـ.ج. ريسلر « النبى الامى وبنو اسرائيل » ، العالم الاسلامى المجلد التاسع والثلاثون (١٩٤٩) ، ص ٢٧٨ ، cf « س.د. جويتاين » « بنو اسرائيل » دائرة معارف الاسلام (٢) ، الجزء الأول ، الفقرة ٢ من ص ١٠٢٢ .

(٣٠) Israel Friedlaender, « **The Jews of Arabia and the Gaonate** », The Jewish Quarterly Review, Vol. I, 1910-11, p. 252

اسرائيل فريدلاندر ، « يهود الجزيرة العربية والجاعونية » المجلة اليهودية ربع السنوية ، المجلد الأول ، ١٩١٠-١١ ، ص ٢٥٢ .

(٣١) De Lacy O'Leary, **Arabia Before Muhammad** (London, 1927), p. 173.

« دى لاسى اوليرى » ، الجـزيرة العربية قبل محمد » ، (لندن) ١٩٢٧ ، ص ١٧٣ . وانظر اشارة الرسول (ص) الى ان أصل زوجته صفية يعود الى النبى هارون // الترمذى (لاهور ، ١٩٦٣) ، الجـزء الثانى ، ص ٧٢٧ ، وانظر ما ذكره اليعقوبى ص ٦١ من هذه الطبعة .

(٣٢) « اوليرى » ص ١٧٣ .

(٣٣) Saleh Ahmad Al-Ali, « Studies in the Topography of Medina », Islamic Culture, Vol. xxxv, No 2, April 1961, pp. 71-72.

صالح احمد العلى ، « دراسات فى طبوغرافية المدينة » ، « الثقافة الاسلامية » المجلد الخامس والثلاثون ، رقم ٢ ، ابريل ١٩٦١ ، ص ص ٧١ - ٧٢ .

(٣٤) السمهودى ، الجزء الأول ، ص ١١٦ .

(٣٥) Joseph Braslavi, « Khaibar », Encyclopaedia Judaica Vol. X, column 942.

« جوزيف براسلافى » « خيبر » دائرة معارف جودايكا ، الجـزء العاشر ، العامود ٩٤٢ .

(٣٦) اليعقوبى (بيروت ، ١٩٦٠) ، الجز الثانى ، ص ٥٦ .

(٣٧) Charles Cutler Torrey, **The Jewish Foundation of Islam** second and third lectures, pp. 28-104.

تشارلز كتلر توری « الأساس اليهودى للاسلام » المحاضرتان الثانية والثالثة ص ص ٢٨-١٠٤ .

(٣٨) محمد بن عبد الله بن احمد الأزرقى ، اخبار مكة (مكة ، ١٩٦٥) : الجزء الثانى ، ص ١٣١ .

(٣٩) H. Lammens, **L'Arabie Occidentale avant l'Hégire** (Beyrouth, 1928), p. 51.

« هـ. لامانس » ، عرب الجزيرة العربية قبل الهجرة (بيروت ، ١٩٢٨) ، ص ٥١ .

(٤٠) W. Robertson Smith, **Kinship and Marriage in Early Arabia** (First published in 1903, Boston; n.d.), pp. 53-57, E Tyan "Hilf", Encyclopaedia of Islam (2), Vol III, pp. 388-89.

« و. روبرتسون سميث » ، القرابة والزواج فى الجزيرة العربية القديمة » (نشر لأول مرة فى ١٩٠٣ ، بوسطون ؛ بدون تاريخ) ص ص ٥٣ ــ ٥٧ « إ. تيان « حلف » ، دائرة معارف الاسلام (٢) ، الجزء الثالث صص ٣٨٨ــ٨٩ .

(٤١) كان **السمهودى** ، الجزء الرابع ، ص ١٧٨ و « ف. كرنكوف » F. Krenkow (دائرة معارف الاسلام (١) ، الجزء الثانى ص ٩٣٨ ، يقرأ اسم الأمير اليهودى على أنه القيطون ، وكان يعتبره وهميا اذ أنه يونانى فى الأصل . على أن السمهودى قرر بوضوح أن الإسم يبدأ بـ « ف » . كذلك يقول « واط » فى كتابه « محمد فى المدينة » ص ١٩٣ ، دون ذكر المصدر ، ان اسمه فطيون وأنه كان من بنى ثعلبة .

(٤٢) **السمهودى** ، الجزء الأول صص ١٧٧ــ٩٨ . انظر أيضا « واط » : « محمد فى المدينة » صص ١٩٢ ــ ١٩٥ .

(٤٣) Ibn Khurradadhabih, **Kitab al-Masalik Wa al-Mamalik**, ed. by de Goeje (Leiden, 1889), 128.

ابن خرداذبه ، كتاب المسالك والممالك ، تحقيق « جوييج » (ليدن ، ١٨٨٩ ، ص ١٢٨ .

(٤٤) Yaqut, **Mujam al-Buldan** ed. by F. Wüstenfeld (6 vols., Leipzig 1866-1873), vol. IV p. 460.

ياقوت « معجم البلدان تحقيق « ف. وستنفيلد » ليبزج ، ١٨٦٦ ــ ١٨٢٣) . الجزء الرابع ، ص ٤٦٠ .

(٤٥) F. Altheim and R. Stiehl, **Finanzgeschichte der Spatantike** (Frankfurt am Main, 1957), p. 149, n. 63.

ف التهايم و ر. ستيهل ، التاريخ المالى للعصر القديم المتأخر (فرانكورت ام مين ١٩٥٧) ، ص ١٤٩ ؛ رقم ٦٣ .

(٤٦) **ابن هشام** ، صص ٣٧٢ــ٧٣ ، الأغانى ، الجزء السابع عشر ، صص ٦٨ ــ ٧٥ .

(٤٧) **ابن هشام** ، ص ٤١١ .

(٤٨) « **هـ. لامانس** » ص ٥٣ .

(٤٩) **عرفان شاهد** « شهداء نجران ، ص ٢٦٨ .

(٥٠) **حمزة الأصفهانى** « تاريخ ، ص ١١٣ ، ذكره عرفان شاهد ص ٢٦٨ ٠

(٥١) **الجاحظ** ، كتاب الحيوان الجزء الرابع ، ص ٣٧٧ ، ذكره عرفان شاهد ، ص ٢٧٢ ٠

(٥٢) **ابن هشام** ، صص ٢٩٦ـ٩٧ ٠

(٥٣) المرجع نفسه ، صص ٤٣٤ ـ ٣٥ ٠

(٥٤) المرجع نفسه ، ص ٣٧٩ ٠

(٥٥) انظر أدناه ، الفصل الثالث ، وكان بنو النضير على استعداد لقبول الشروط التى عرضها عليهم الرسول (ص) ولكن عبد الله بن أبى وآخرين حثوهم على مقاومة الرسول (ص) ٠



الفصل الثاني

أهل الصحيفة

« ... كان من الحتمي أن يخضع مفهوم الامه باعتبارها اتحادا سياسيا بين القبائل والعشائر ، بما في ذلك القبائل والعشائر غير المسلمة ، اليهودية ، لفهم محمد المبدئي لجماعة قد يكون أساسها عنصريا ولكن سبب وجودها تشكله الحكمة الالهية التي ترمي لانقاذ البشر . وكان اليهود مثل هذه الأمة ، وكانوا في المدينة أكثر من مجرد تصوير تاريخي وأدبي لمسألة دينية . كانوا حقيقة سياسية » .

ف. ا. بترز F. E. Peters

كانت يثرب لدى وصول الرسول اليها ، كما رأينا في الفصل السابق ، بلدة تعمها الفوضى السياسية . ورغم أن موقعة بعاث (نحو سنة ٦١٥ ميلادية) لم تعقبها حالة من السلم الرسمي فان القبائل المتحاربة وحلفاءها كان التعب والانهاك قد بلغا منهم مبلغا جعلهم عاجزين عن مواصلة الصراع الفعلي . وكان اليهود يتمتعون في هذه الحالة غير المستقرة التي خلفها الفراغ السياسي بنفوذ كبير . ولم يكن لعمرو بن النعمان ولا للحضير بن سماك اللذين قتلا في موقعة بعاث صفات الزعامة اللازمة لتوحيد الأمة في الظروف التي كانت قائمة في يثرب والتي أقل ما يقال فيها هو أنها كانت « لا تطاق » (١) . غير أن « الفرص كانت متاحة لرجل قوى للأخذ بزمام جزء كبير من المدينة أو حتى بزمام المدينة

كلها » (٢) • وكانت هناك امارات تشير الى أن عبد الله بن أبى وهو رجل واسع الرؤية ، ولولا أن الرسول وصل الى المدينة لكان ابن أبى هو الزعيم الذى كانت المدينة فى أشد الحاجة اليه •

وكان فى الموقف تحد للرسول ﷺ وكان على الرسول ان يختار بين عدة حلول ، فقد كان باستطاعته ان يعمل على تحقيق اندماج سياسى كامل على أساس الديانة ، الامر الذى كان يبدو وقتها أنه يتمشى مع روح العصر ، وكان هذا يعنى استبعاد اليهود وجعلهم في وضع أدنى لا يسمح لهم بالمشاركة فى حياة المجتمع الاسلامى ، كما كان باستطاعته أن يوحد الأنصار المهاجرين الذين اتخذوه زعيما دينيا لهم فى مجموعة سياسية واحدة • ولكن الظاهر أن الرسول قرر فى هذه المرحلة أن ينتهج نهجا آخر فسعى لانشاء مجتمع يقوم على الأمن ويضمن بصورة معقولة عدم تقاتل أعضائه فيما بينهم بالسلاح ويجعلهم يعمدون الى تسوية منازعاتهم بالطرق السلمية • وكانت آخر مرحلة لمحاولات الرسول ﷺ لانشاء هذا المجتمع هى كتابة الوثيقة التى تعرف بالصحيفة (٣) • ويتضح من بحث هذه الصحيفة التى وقعت فى يثرب بين مسلمى قريش ومختلف قبائل الأنصار واليهود أنها قامت على أساس فهم واسع لقاعدة القانون استنادا الى مبدأين بسيطين هما : مبدأ كفالة الحقوق الفردية عن طريق سلطة قضائية محايدة (٤) ، ومبدأ المساواة أمام القانون (٥) •

ان عرب الجاهلية لم يكن لديهم تقريبا شىء يمكن وصفه بالقانون الوضعى • ومن المعروف ــ والمسألة لا تحتاج لذلك الى دليل ــ أن العقوبة التى يفرضها القانون بمعناه الحديث أى الحبس والغرامة للمجرم لم يكن لها وجود بينهم • على أنه ليس هناك مجتمع يخلو تماما من القانون • وكانت القبائل العربية تقيم الأمن عن طريق تضامن المجموعة القبلية فاذا قتل عضو من أعضاء المجموعة هب باقى الأعضاء

للأخذ بثأره . واذا تعرض عضو من اعضاء المجموعة للخطر خف لنجدته أعضاء القبيلة الآخرون بغض النظر عن اعتبارات الخطأ والصواب في الخصومة . وكان هناك قصاص ولكن الدية عدلته وكانت تستخدم كبديل عنه . ولم يكن هذا النظام قابلا للتنفيذ الا بشرط تضامن مجموعة الأقرباء وقوتهم وسرعة وفاعلية الطريقة التى كانت تسوى بها المنازعات وتدفع بها الدية . وبهذا الشكل حد قانون القصاص من ظاهرة القتل العشوائى ، وأصبح من الملامح المهمة للمجتمع العربى الجاهلى . وقد حاولت الصحيفة أن تضع الأساس لقانون وضعى وكان الغرض منها محدودا بالرغبة فى حل المنازعات دون التجاء الى العنف . واتخذ المجتمع الذى أنشىء بوساطتها اسم الأمة . والأمة اصطلاح قرآنى صرف ، وقد ورد ذكره تسع مرات فى السور المكية وسبعا وأربعين مرة فى السور المدنية وهو يعنى مجموعة الافراد الذين يربطهم رباط بقطع النظر عن لونهم وأصلهم العرقى أو وضعهم الاجتماعى . وأساس الأمة فكرة الخضوع لاله واحد . ويعرف « مونتجمرى واط » تلك الأمة بأنها « مجتمع يتكون من أولئك الذين كانوا يقبلون الرسول ورسالته » (٦) . وتوصل « رودى بارت » الى نتيجة مشابهة وهو يقول ان الأمة « تشير دائما الى الجماعات التى تربطها رابطة الأخلاق أو اللغة أو الدين والتى هى موضوع خطة الهية لانقاذ البشر» (٧) وبينما يختلف المستشرقون فيما يتعلق بتطور معنى هذا اللفظ فى القرآن . يقرر بعض علماء المسلمين أن كلمة الأمة انما تصف جماعة المسلمين (٨) ، لكن هذا القول ليس صحيحا على اطلاقه . وهو انما يصف الأمر الواقع . ولم يكن استعمال لفظ الأمة خلال الجانب الأكبر من حياة الرسول ﷺ بعد البعثة قاصرا من الناحية النظرية على المسلمين وحدهم . والصعوبة الأساسية التى تعرض بصدد تاريخ الأفكار هى أن الألفاظ أطول عمرا من

تعريفاتها • وبينما تتغير المؤسسات باستمرار فان الكلمات التى تصفها تظل ثابتة فى صورتها الأولى • على أن بحثنا هذا لا يحتاج الى تعريف جامع مانع لكلمة « الأمة » ، ولهذا فاننا سنستخدمها فى اطار مناقشتنا هنا بالمعنى الذى استخدمت به الصحيفة أى « أهل الصحيفة » •

والصحيفة التى وقعت من المسلمين واليهود والتى وصفت خطأ بأنها « دستور المدينة » وثيقة على جانب كبير من الأهمية للوقوف على وضع غير المسلمين فى مجتمع يسيطر المسلمون على مقاليده • والعلماء من جميع المدارس الفكرية مثل « واط » و « سرجنت » وحميد الله (٩) على أن الوثيقة صحيحة بلا جدال (١٠) « وما كان يمكن لأى مزيف لاحق يكتب تحت خلافة الأمويين أو العباسيين ، أن يدرج غير المسلمين فى الأمة أو يستبقى المواد التى لا تتفق ومصلحة قريش ، أو يعطى لمحمد مكانا قليل الأهمية كالمكان الذى أعطته له هذه الوثيقة » (١١) •

ومعظم العلماء المحدثين ينازعون فى تاريخ هذه الوثيقه وفى وحدتها • وليس هناك بيان واضح يستدل منه على عدد الاتفاقات التى تتكون منها • وما من سبيل لتحديد تواريخ توقيع هذه الوثائق الا بعد ايجاد طريقة مقبولة للفصل بين الاتفاقات الفردية التى تنطوى عليها • على أن هناك مع ذلك اشارات واضحة عن تواريخها الممكنة وهى اشارات كبيرة الدلالة لتحديد طبيعة الأمة • ان ابن اسحاق يقول ان الصحيفة وقعت فى السنة الأولى من الهجرة • ولكن المقارنة النصية لمادة السيرة التاريخية تبين أن كتاب السيرة يختلفون فيما بينهم حتى فيما يتعلق بتاريخ الأحداث الكبرى (١٢) • بيد أن الصحيفة ذاتها تتضمن بيانات عن تاريخها التقريبى غفلت عنها فطنة المؤرخين بالرغم من وضوحها •

وأول ما يلاحظ هنا هو أنه لم يرد فى الصحيفة ذكر لبنى قينقاع أو لبنى النضير أو لبنى قريظة • واذا كان

معظم المؤرخين المسلمين لم يتنبهوا الى عدم ذكر هذه القبائل اليهودية المهمة الثلاث فى الصحيفة فان بعض المستشرقين حاولوا أن يفسروا هذا الاغفال بقولهم ان الرسول « كان يجمع اليهود وفقا للقبائل العربية التى كانوا يعيشون بين ظهرانيها » (١٣) . وهذا التفسير واضح التهافت . ان يهود بنى عوف وبنى النجار وبنى الحارث وبنى ساعدة وبنى جشم وبنى ثعلبة ، بل وبطن من بطون بنى ثعلبة هم جفنة ، كانوا جميعا حلفاء للخزرج وقد ذكروا فى الصحيفة بهذا الوصف . ولو أن هذه الصيغة كانت كافية لشمول بنى قينقاع الذين كانوا حلفاء للخزرج لذكر اسم مواليهم بنى الحبلى أو بنى سليم . وكما يلاحظ « ويلهاوزن » فانه ما لم يكن يهود بنى الأوس وثعلبة هم بنى النضير وبنى قريظة فان هاتين القبيلتين لم تدخلا فى أى اتفاق مع محمد فى البداية أى فى السنة الثانية من الهجرة (١٤) . غير أن بنى النضير وبنى قريظة لم يكونوا موالى للأوس . وكانت علاقتهم بهم هى علاقة الحليف لا علاقة المولى (١٥) . والتفسير البسيط لهذا الموضوع هو أن الوثيقة وقعت بعد اجلاء بنى قريظة . « ومونتجمرى واط » لا يوافق على هذا التفسير لأن الصحيفة تولى أهمية كبرى « للمسائل اليهودية فى وقت كان فيه اليهود فى المدينة قليلين » (١٦) غير أن هذا الافتراض لا تؤيده الوقائع ، فقد بقيت القبائل اليهودية التالية فى المدينة بعد اجلاء قبيلتى بنى النضير وبنى قريظة اليهوديتين منها :

١ ــ يهود بنى عوف .

٢ ــ يهود بنى النجار .

٣ ــ يهود بنى ساعدة .

٤ ــ يهود بنى جشم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٥ ــ يهود بنى الأوس ٠

٦ ــ يهود بنى ثعلبة ٠

٧ ــ يهود بنو الشطيبة ٠

٨ ــ يهود بنى زريق ٠

٩ ــ يهود بنى حارثة ٠

١٠ ــ بنو قينقاع ٠

لقد وردت أسماء القبائل اليهودية السبع الأولى فى الصحيفة ٠ أما اسما بنى زريق وبنى حارثة فقد ذكرهما ابن اسحاق فى قائمة أعداء الرسول من اليهود (١٨) ٠ ومصادرنا لا تشير الى أنه كانت هناك أية هجرة عامة لليهود فى حياة الرسول ﷺ ٠ ويستنتج « واط » بحق فى هذا الصدد أن « الوثيقة فى شكلها النهائى أريد لها أن تكون ميثاقا لليهود والباقين فى المدينة » (١٩) ٠ وبالرغم من أن اليهود الذين بقوا فى المدينة فقدوا « قيمتهم الاخبارية » بالنسبة للمؤرخ المسلم فهناك اشارات تنبىء بوجودهم فى المدينة بعد اجلاء بنى النضير وبنى قريظة ٠ فابن سعد يقول ان الرسول لما أمر أصحابه بالتهيؤ لغزوة خيبر « شق ذلك على من بقى بالمدينة من اليهود » (٢٠) ، بل ان يهود المدينة كان لهم نشاط سياسى واستمروا فى معارضة الرسول ٠ وحين أمر الرسول ﷺ بالاعداد لغزوة ضد البيزنطيين (٩/ ٦٣٠) فى تبوك اجتمع ناس من المنافقين فى بيت يهودى اسمه سويلم ووضعوا خططا لتثبيط الناس ٠ ولم يعاقب الرسول ﷺ سويلم شخصيا ولكنه أمر طلحة بن عبيد الله بحرق بيته (٢١) ٠

ان وجود اليهود فى المدينة بعد اجلاء قبائلهم الثلاث شىء يبدو أن القرآن يؤيده كذلك ٠ فهناك اتفاق عام على أن سورة المائدة هى آخر ما نزل على الرسول ﷺ من القرآن ٠

وقد جاء عن أسماء بنت يزيد ان هـذه السـورة كلها نزلت عليه جملة (٢٢) • وهنـاك أقوال أخـرى بنفس المعنى : « ونولدكة » وان كان يسلم بأنهـا آخـر ما نزل من القرآن ويعطيهـا رقم ١١٤ ، يرى أن بعض آياتهـا نزل بين عامى ٦٢٣/٢ و ٦٢٨/٧ • على أن « نولدكة » وضـع الآيات ٤٥ ـ ٥٥ بعد ما أسماه « بمذبحة بنى قريظة » وقبل الغزوة التى شنت عـلى يهود خيبر فى السـنة السـابعة من الهجرة و « هويرى » Wherry يوافق عـلى هذا الرأى (٢٣) • والآيتان ٤٢ و ٤٣ من سورة المائدة من قوله تعالى :

(•• فان جاءوك فاحـكم بينهم أو أعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شـيئا وان حـكمت فاحـكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين • وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حـكم الله ثم يتـولون من بعـد ذلك وما أولئك بالمؤمنين) •

وهذه الاشارة الى طلب من اليهود الى الرسول بالحكم فى نزاعاتهم لا يكون لها أى وجه لو أنه لم يكن فى المدينة يهود • ولمـا كانت الآيات قد نزلت قبـل غـزوة خيبر فلم يكن من المتصور أن يعرض يهـود خيبر وفدك والمنـاطق المجـاورة نزاعاتهم على الرسول •

اننا لا نملك بيانات سكانية عن عدد سـكان يثرب فى زمن الهجرة • وليس من المتيسر بالتالى أن نعطى أى أرقام دقيقة عن سكان المدينة من اليهود فى حياة الرسول • ومـع ذلك فقد زودنا ابن اسحاق وغيره من مؤرخى السيرة ببعض بيانات قطعية تعطى فكرة تقريبية عن عدد اليهود • لقد قدم بنو قينقاع ٧٠٠ رجل لحماية عبد الله بن أبى (٢٤) ، وقيل ان ٦٠٠ الى ٩٠٠ مقاتل من بنى قريظة قد أعدموا بعد غزوة الأحزاب (٢٥) وكان بنو النضير يحتلون مركزا مرموقا فى المدينة وكان بينهم وبين قريظة تنافس • واذا كانت المصادر

لم تذكر عددهم فقد ذكرت انهم حين رحلوا عن المدينة حملوا متاعهم على ٩٠٠ ناقة • وللمرء ان يستنتج بصورة معقولة من هذه البيانات أنهم لم يكونوا أقل عددا من بنى قينقاع ومن بنى قريظة • وهذا يعطينا تقديرا محافظا لعدد الذكور من القبائل الثلاث التى اصطدمت مع رسول الله يبلغ ثلاثة آلاف رجل • واذا كان بنو قينقاع قد قدموا ٧٠٠ رجل لحماية عبد الله بن أبى فالراجح أن هؤلاء لم يكونوا يمثلون كل ما عندهم من الرجال • واذا افترضنا أن عدد باقى القبائل اليهودية التسع كان يبلغ حتى نصف عدد القبائل الثلاث المذكورة ، مع أنه ليست هناك أية اشارة الى هذا فى المصادر التى رجعنا اليها ، لكان مجموع السكان المذكور من اليهود فى المدينة ستة آلاف • وكانت القبائل التى تنحدر من أصل واحد فى زمن الرسول كما يقول « سميث » Smith هى القبائل الوحيدة التى كان يتصور وجودها (٢٦) ، ولذلك فان اليهود ، بأسرهم المبنية على زواج الأقارب التى تتكون كل منها من ستة الى سبعة أعضاء معالين ، كانوا يشكلون عددا من السكان يتراوح بين ٣٦٠٠٠ر و ٤٢٠٠٠ر نسمة •

وقد رحل عن المدينة بعد اجلاء بنى النضير وما قيل من اعدام بنى قريظة عدد يتراوح بين ١٢٠٠٠ر و ١٤٠٠٠ر يهودى • وبهذا يكون عدد اليهود الذين بقوا فى المدينة عند توقيع الصحيفة بين ٢٤٠٠٠ر و ٢٨٠٠٠ر (٢٧) ، وهو عدد غير قليل كان يستوجب اهتمام النبى ﷺ •

والمؤشر الثانى الى التاريخ الاحتمالى للصحيفة هو اعلان أن يثرب حرم آمن • ويقول جيل Gil : « ان النص الخاص بهذا الاعلان هو نقطة من نقاط التعريف التى احتفظت بها الرواية الشفوية بشأن الوثيقة التى حفظت فى غمد ذى الفقار » (٢٨) • واعتبار اقليم من الأقاليم حرما يفترض اما وجود تقليد قوى وعرف مرعى باطراد ، كما

كان الحال بالنسبة لمكه ، او وجود قوه عسكرية قادرة على فرض وحماية قداسة الحرم من التهديد الخارجي والاضطرابات الداخلية • ولم يكن النبى والصحابة فى السنوات الأولى للهجرة ، لا سيما حتى غزوة الاحزاب (سنة ٥ هـ) ، يعيشون فى أمن كما لم يكونوا بالتأكيد واثقين من قدرتهم على حماية المدينة بنجاح • كذلك فان الامن فى داخل المدينة لم يكن ، كما سنرى ، مستتبا • وقد حاول بنو قينقاع مرة أو مرتين على الأقل أن يثيروا الشغب • وكان بنوالنضير على صلة بأهل مكة ، وكان موقف بنى قريظة خلال غزوة الأحزاب مصدرا لتخوف شديد للمدافعين عن المدينة •

ونشأ نزاع صريح بين المهاجرين والأنصار بعد أن تمكن الرسول بحكمة فائقة من تفادى غزوة بنى المصطلق ، وكانت هذه هى المناسبة التى قال فيها عبدالله بن أبى : « أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل » (٢٩) • وكان عدد من دخل بهم الرسول غزوة بدر (٢/٦٢٤) ، ٣١٣ مقاتلا • ولم تكن هذه قوة يمكن أن تفرض على قرابة ٣٦٫٠٠٠ من اليهود وعدد أكبر من المنافقين احترام الالتزامات التى يفرضها اعلان الحرم •

ولم يشأ الرسول ﷺ أن يتخذ قرارات متسرعة فى هذا الشأن خصوصا اذا كانت قرارات لا يقدر على تنفيذها • وكان أنسب الأمور هو الانتظار الى أن تستقر الأحوال • وبالرغم من أن غزوة الأحزاب كانت حربا دفاعية وأن الأرض التى انتصر فيها المسلمون كانت أرضهم الا أنهم لم يكونوا آمنين بدرجة تجيز لهم اطلاق صفة الحرم على يثرب • لذلك فمن المقبول أن نستنتج أن اعلان يثرب كحرم جاء بعد حادثة بنى قريظة التى لم تكن فى واقع الأمر سوى استمرار لغزوة الأحزاب •

وقد تأتي للرسول ﷺ في الوقت ذاته تقريبا أن يقلم أظافر المنافقين وكان من القوة بحيث يوجه اليهم تقريعا علنيا بعد حادثة بني المصطلق • وقد نزلت سورة المنافقون في سنة ٦/٦٢٧ (٣٠) • ويرى السمهودى ، الذى بحث موضوع تاريخ وحدود اقليم الحرم وما هو محظور اتيانه فيه بالتفصيل ، أن انشاء هذا الحرم ، وفقا للحديث ، جاء بعد عودة الرسول ﷺ من خيبر فى سنة ٧/٦٢٨ (٣١) • ويشير «سرجنت» الى ما قاله السمهودى ويعترف بأنه «يرجح أن اعلان الحرم تم في وقت ما بعد فشل أعداء الرسول فى الاستيلاء على المدينة في غزوة الخندق لا قبل ذلك ، وأنه لم يكن من الممكن أن تكون هناك مناسبة أفضل لاعلان المدينة حرما مقدسا من المناسبة التى أثبتت فيها هذه المدينة قدسيتها بصد الغزاة»(٣٢)• ومع ذلك يقول «سرجنت» انه «لأسباب قوية عديدة لا أستطيع أن أخوض فيها هنا » (٣٣) لا يملك الا أن يقر بوجهة نظر باقي المؤرخين • وفى الامكان تصور الأسباب التى بنى عليها « سرجنت » رأيه فى هذا الصدد ويبدو أن أحد هذه الأسباب هو صعوبة من نوع تلك التى واجهها « مونتجمرى واط » • وهو يستطرد قائلا : « ومن الغريب أن هذه الوثيقة ــ أى الصحيفة ــ تبدأ بكلمات يقال فيها ان اليهود يتفقون مع المسلمين » (٣٤) • ويبدو أن المؤرخين ، سواء من المسلمين أو من غير المسلمين ، قد افترضوا دون أى تمحيص أن المدينة قد خلت من سكانها اليهود بعد رحيل بني النضير وأيضا ، فيما هو محتمل ، بعد رحيل بني قريظة •

والواقع أن تدقيق النظر فى الصحيفة يبين أن العبارات المتعلقة باليهود أدخلت فيها بعد اجلاء بني النضير وبعض بني قريظة من المدينة جزاء على « اثمهم » • ولم يكن الرسول لدى وصوله الى يثرب يتوقع اثما من اليهود رغم انه لم يكن ينتظر كذلك من جانبهم تأييدا وعونا خالصين • واليهود كذلك لم يصدر منهم فى السنة الأولى من الهجرة ، وهى السنة

التى تعتبر عادة سنة توقيع الصحيفه ، شىء يثير لدى المسلمين خوفا من نفاقهم أو خديعتهم · ولم تكن صورة اليهود فى الجزيرة العربية زمن الجاهلية صورة سيئة وكانوا مشهورين بحذقهم المهنى واجادتهم لفن الكتابة وصبرهم على المكاره(٣٥) وكانوا معروفين قبل كل شىء بنبل أخلاقهم · ولا يحنثون بوعد ، وقد جرى وفاء السموأل لصديقه امرىء القيس مجرى الأمثال فى جميع أنحاء الجزيرة (٣٦) · صحيح أنه كان هناك يهود مثل قيس بن معديكرب آتوا أعمالا تدخل فى باب الاثم ، لكن هذا لم يكن جزءا من سمعة اليهود · وكان الشعراء يتغنون بوفاء السموأل وكرمه (٣٧)· واذا كان الأمر كذلك فمن الغريب أن تستخدم كلمة «الاثم»(٣٨) فى ثمان من مواد الصحيفة · وفيما عدا المادة ٤٠ فان جميع المواد السبع (٣٩) التى استخدمت فيها الكلمة تتعلق باليهود · والمحصلة المنطقية لهذا هى أن المسلمين أصبحوا فى الغالب أكثر حكمة بعد الاحداث التى وقعت وأنهم ، بعد أن عركوا الاثم من جانب بنى النضير وبنى قريظة ، أرادوا أن يسجلوا فى الصحيفة أن أية خيانة من جانب اليهود يترتب عليها تلقائيا الغاء جميع المواثيق والاتفاقات · ويبدو أن الرسول ﷺ أراد أيضا أن يوفر على نفسه غضاضة الرفض اذا تقدم اليه الأوس أو الخزرج بشفاعة لليهود المخالفين ·

ونحن وان كنا نتفق مع كل من « سرجنت » (٤٠) و « واط » (٤١) اللذين يريان أن أمورا كثيرة فى عبارات الصحيفة التى بين أيدينا ستظل لا محالة افتراضية وغامضة نرى أنه قد يكون أقرب الى الواقع أن يعاد بناء الصحيفة على النحو الآتى :

١ ــ المواد الثلاث والعشرون الأولى هى جزء من البيعة الأولى التى بايع بها الأنصار الرسول فى العقبة أو بعد الهجرة بقليل (٤٢) ·

٢ ـ كانت المواد الآخرى تضاف بين الحين والحين عند الاقتضاء (٤٣) .

٣ ـ المواد المتعلقة باليهود واعلان المدينة حرما آمنا أبرمت، بناء على ملاحظاتنا السابقة ، بعد سنة ٧/٦٢٨ .

نحن اذن نعتقد ، نزولا على حكم المنطق أن الأمة لم تتخذ شكلها الا فى حوالى الفترة الأخيرة من حياة الرسول ﷺ لا بعد وصوله الى يثرب مباشرة . وقد انتقل رسول الله ﷺ الى الرفيق الأعلى فى سنة ١١/٦٣٢ .

والصحيفة فى الواقع ليست دستور الدولة وانما هى وثيقة تضع المبادىء الرائدة لبناء أمة متعددة الثقافات ومتعددة الديانات يكون المسلمون فيها دائما الفئة الغالبة (٤٤) .

والصحيفة ، بعد أن وضعت الأساس لغلبة المسلمين ، قررت للفئة الغالبة ما يأتى من امتيازات :

١ ـ وظائف محكمة الاستئناف العليا يتولاها الرسول ﷺ (٤٥) .

٢ ـ مسألة الحرب والسلم امتياز ينفرد به الرسول ﷺ (٤٦) .

أما غير المسلمين الذين تضمهم الأمة فيتمتعون بالحقوق الآتية :

١ ـ ذمة الله واحدة بالنسبة للمجموعات كافة (٤٧) .

٢ ـ أعضاء الأمة من غير المسلمين يتمتعون بحقوق سياسية وثقافية على قدم المساواة مع المسلمين . وحرية الديانة مكفولة للجميع . وكل المجموعات تتمتع بالاستقلال الذاتى (٤٨) .

٣ ـ غير المسلمين والمسلمون ينتضون السلاح ضد عدو الأمة ويشتركون فى تحمل نفقات الحرب . والمسلمون وغير المسلمين أصدقاء صادقون بالبر دون الاثم (٤٩) .

٤ ــ لا التزام على غير المسلمين بالاشتراك فى حروب المسلمين الدينية (٥٠) ٠

وتتضمن الصحيفة بيانا واضحا بالخطوط التى كان الرسول يقيم عليها بناء الأمة ٠ فالأمة مجتمع متعدد الديانات اساسها ليس اقليميا أو قبليا ٠ والمادة ٢٠ من الصحيفة تفيد استبعاد المشركين من الأمة ٠ ولما كانت الصحيفة قد أدخلت يهود يثرب فى الأمة فالظاهر أن الشرط الأساسى الوحيد لعضوية الأمة كان الايمان بوحدانية الله ٠

ولم يكن فى المدينة نصارى ولذلك فانهم لم ينضموا الى الأمة ٠ ولكن حدث حين زار وفد من نصارى نجران برئاسة عبد المسيح العاقب والأيهم والأسقف أبو حارثة بن علقمة المدينة أن دعا الرسول ﷺ النصارى للانضمام اليه على أساس وحدانية الله (٥١) وتلا آية :

(قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ٠٠) (٥٢) ٠

ومن الأمور ذات الدلالة أن هذه الدعوة وجهت اليهم بعد أن رفضوا عرض الرسول ﷺ للدخول فى الاسلام (٥٣) ٠ والدعوة القرآنية فى عبارة « تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم » لا تمثل ، لهذا السبب ، أساسا لحلول وسط فى المسائل المتعلقة بالعقيدة ٠ ولم يحتفظ كاتبو سيرة الرسول ولا جامعو الحديث والفقهاء الذين كانوا يعيشون فى ظل الامبراطورية الاسلامية القوية بجواب نصارى نجران على هذا العرض ، ولكن هناك ما يفيد أنهم قبلوا الانضمام الى الأمة بالشروط الواردة فى الصحيفة بالقدر الذى كان يمكن به تطبيق هذه الشروط على منطقتهم ٠ لقد قبلوا دور المسلمين الغالب باعتبار أنهم مديرو شئون العدالة ، وقالوا للرسول ﷺ : «ابعث معنا رجلا من أصحابك ترضاه لنا يحكم

بيننا فى آشـياء اختلفنـا فيهـا من اموالنا » (٥٤) • وقد اجابهم الرسول الى طلبهم فعين أبا عبيدة بن الجراح قاضيا لنصـارى نجران (٥٥) •

على أن هذا المبدأ طبق بمرونة وكانت العبرة فيه هى الشهادة بالايمان باله واحد ، لا الممارسة • وبالرغم من آن القرآن الكريم اتهم اليهود باشراك عزير مع الله ، فان الاسلام يقبلهم كموحدين ، ويبدو أن هذا كان هـو الأسـاس الذى بنيت عليه الأمة • ان مفهوم وحدانية الله هو الذى يقود الى فكرة وحدانية الكون والى المفهوم العالمى للأمة الذى يشـدد على المساواة الأساسية فى الحقوق بين جميع الناس • ولم يكن مطلوبا آن يغير اليهود أو النصارى دينهم، وكان ايمانهم بوحدانية الله أساسا كافيا للتعاون مع المسلمين لا للاندماج فيهم • وكان هذا هو مفهوم المجتمع متعدد الديانات • كانت الأمة اذن مجتمعا متعددا يسمح بدخوله عـلى أساس وشائج اختيارية ليس للاختلافات العنصرية أو العرقية فيها مكان ، ولكن الايمان بوحدانية الله كان أساسيا لدخولها •

وعلى الرغم من أن الأمة كانت مجتمعا سـابقا عـلى السياسة فانها لم تكن مجتمعا غير سياسى فالسياسة بطبيعتها أمر لا غنى عنه فى أية عمليـة تتعلق ببنـاء أى مجتمع من المجتمعات ، وهى بطبيعتها جزء من أى عملية تتعلق ببنـاء المجتمع • ويقول «برنارد لويس» : «من الطريف أن نلاحظ أن هذا الدستور الأول للنبى العربى يكاد يقتصر على تنظيم العلاقات المدنية والسياسـية للمـواطنين فيما بينهم ومـع الخارج » (٥٦) •

وفى هذه الأمة السابقة على السياسة كان الرسول (ﷺ) يمارس سلطته بمقتضى تفويض الهى • واذا كانت قريش قد رفضت « صيغة محمد رسول الله » لدى التوقيع على صلح

الحديبية فالظاهر أن يهود المدينة ارتضوا صيغة معدلة لأغراض الصحيفة . ويقول أبو عبيد ان الكلمات التى استخدمت كانت « محمد النبى » (٥٧) . وهى لا تذكر نبى من . ويبدو أن الصياغة كانت غامضة قصدا لكى يقبلها اليهود . وبالرغم من أن ابن اسحاق ، وهو مصدر سابق ، يعطى الصيغة كاملة ، أى « محمد رسول الله » ، فاننا نميل الى قبول رواية أبى عبيد . ويبدو أنه لم يكن هناك باعث لذلك سوى التحرز من استخدام عبارة كانت بالقطع عبارة غير مألوفة وغير مناسبة . وبعد أن قبل يهود المدينة آلا يكون لهم مركز غالب فى الأمة فالمحتمل أنه لم يكن أمامهم الا أن يوافقوا على التسمية على اعتبار أنها تمثل ضمنا وجهة نظر المجموعة الغالبة . ولولا أن هذا الفهم كان فهمهم لما وصفوا باليهود على الاطلاق .

وليس من المجدى أن نستقصى الأساس النظرى الذى بنى عليه توزيع السلطة فى الأمة فقد كان الرسول ﷺ يمثل جميع السلطات التى كانت مطلوبة فى هذه الفترة التى كانت فترة التكوين فى حياة المجتمع .

لقد جاء فتح مكة بعد توقيع الصحيفة بقليل اذا وافقنا على التاريخ الذى حاولنا تحديده فيما سبق . وقد غير هذا الفتح طبيعة الموقف تغييرا كبيرا فقد فقد مشركو مكة سيطرتهم على الكعبة وحظر عليهم « أن يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا » (٥٨) .

وفى الآية التى تلتها أمر المسلمون بمقاتلة الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون (٥٩) .

ولم يكن مطلوبا من اليهود بمقتضى أحكام الصحيفة أن يدفعوا أية جزية ولم يكن هناك نص صريح يقرر خضوعهم

للمسلمين • وقد اتخذت هيمنة المسلمين التى قررتها هذه الايات شكلا رسميا ولكنها لم تضف أى قيد آخر • وليس فى هذه الأيات ولا فى أى من الآيات التى تلتها ما يغير من طبيعة الأمة متعددة الديانات (٦٠) • وقد يكون من الصواب أن نقول ان يهود المدينة ، بعد أن فشلوا فى الاحتفاظ بوضعهم الغالب فى المدينة ، لم يكونوا فى مركز يسمح لهم بالقيام بأى دور مهم • ويبدو أن كتاب المغازى فقدوا الاهتمام بيهود يثرب بعد هزيمة بنى قريظة وغيرهم من اليهود وبعد توقيع معاهدة السلام مع يهود خيبر • والتاريخ الاسلامى لهذه الفترة كما وصل الينا انما هو فى الواقع تاريخ للمغازى • ولأن سكان المدينة من اليهود خلال الفترة المتأخرة من حياة الرسول ﷺ لم يشتركوا فى أى حرب ولم يثيروا أى شغب كف كتاب المغازى عن الاهتمام بأمرهم • والرسول ﷺ لم يعش طويلا بعد فتح مكة ، ومن الصعب أن نتصور ماذا كان شكل الأمة لو أن العمر امتد به فترة أطول •

وبوفاة الرسول اختفت الصحيفة والأمة التى تمخضت عنها واليهود الذين كانوا طرفا فيها عن الأضواء ، واكتسب لفظ الأمة ، كما يحدث عادة فى جميع المؤسسات الحية ، تعريفا جديدا فى زمن خلفاء الرسول • « والشريعة التى حددت وضع الموحدين من غير المسلمين ، كما يقول « جوزيف شاخت » ، « لم تستمد مباشرة من القرآن بل نشأت عن ممارسات كثيرا ما كانت تختلف عن مقاصد القرآن بل عن صريح نصه » (٦١) • كذلك فانها ، كما يقول المؤلف ذاته ، لم تتطور « على صلة وثيقة بما كان معمولا به بل تطورت كتعبير عن مثل أعلى دينى » (٦٢) • وفقا لفهم منظرى وصانعى أيديولوجية المسلمين من الطبقة المسلمة الحاكمة ، الأمر الذى كان يتعارض فى الواقع مع ما جرى عليه العمل كما كان يتناقض تناقضا مباشرا مع النموذج الأصلى الذى وضعه الرسول ﷺ •

مراجع الفصل الثانى

(١) « واط » : « محمد فى المدينة » ، ص ١٧٣ ·

(٢) المرجع نفسه ·

(٣) انظر أدناه لمزيد من مناقشة الوثيقة ·

(٤) المادة ٢٣ من « الصحيفة » انظر أدناه ·

(٥) المواد ٢٦ ـ ٣٥ من « الصحيفة » انظر أدناه ·

(٦) W. Montgomery Watt, «**Ideal Factors in The Origin of Islam.** The Islamic Quarterly, II, No 3 (October 1955), pp. 161-174. See also his book, **Islamic Political Thought** (Edinburgh, 1968), pp. 9-14.

« و· مونتجمرى واط ، العوامل المثالية فى أصل الاسلام · المجلة الاسلامية ربع السنوية ، المجلد الثانى ، رقم ٣ (أكتوبر ١٩٥٥) ، صص ١٦١ـ١٧٤ وانظر كتابه « Islamic Political Thought » الفكر السياسى الاسلامى » (أدنبرة ، ١٩٦٨) ، صص ٩ـ١٤ ·

(٧) مادة « الأمة » « Ummah » فى دائرة معارف الاسلام ، الطبعة الأولى ·

(٨) Abul A. la Maududi, **Islamic Way of Life** (Delhi, 1967). p. 17.

أبو الأعلى مودودى ، « طريقة الحياة الاسلامية » ، (دلهى ، ١٩٦٧) ، ص ١٧ ·

(٩) Muhammad Hamidullah, **The First Written Constitution in the World,** (Lahore, 1968), pp. 38-40.

محمد حميد الله ، « أول دستور مكتوب فى العالم » ، (لاهور ، ١٩٦٨) ، صص ٣٨ـ٤٠ ·

(١٠) R. B. Serjeant, « **The Constitution of Medina** », The Islamic Quarterly VIII January-June 1964), p. 3.

« ر·ب· سرجنت » ، « دستور المدينة » المجلة الاسلامية ربع السنوية ، المجلد الثامن (يناير ـ يونيو ١٩٦٤) ، ص ٣ ·

(١١) « **واط** » ، « محمد فى المدينة ، ص ٢٢٥ ٠

(١٢) Caetani, Annali dell 'Islam, Vol. I, p. 466, J.M.B. Jones
The Chronology of the Maghazi — a Textual Survey, The Bulletin, of the School of Oriental and African Studies, Vol. XIX (1957), pp. 245-280.

« **كايتانى** » « حوليات الاسلام » ، الجـزء الأول ، ص ٤٦٦ ، ج٠م٠ب٠ جونز ، تسلسل تواريخ المغـازى – دراسـة للنصوص ، مجلة مدرسة الدراسات الشرقية والأمريقية ، المجلد التاسع (١٩٥٧) ، صص ٢٤٥ – ٢٨٠ ٠

(١٣) « **واط** » ، « محمد فى المدينة » ص ٢٦٦ ٠

(١٤) J. Wellhausen, Skizzen u. Vorarbeiten (Berlin, 1889) 4. Heft, p. 75.

« **ج٠ ولهاوزن** » « خطوط عريضة ومشروعات » (برلين ، ١٨٨٩) الكراسة ٤ ص ٧٥ ٠

(١٥) انظر الفصل الثالث ، ص ١١١ ٠

(١٦) « **واط** » ، محمد فى المدينة » ، ص ٢٢٧ ٠

(١٧) سنرى فى الفصل التالى أن الشواهد تشير فيما يبدو الى أن بنى قينقاع لم يجلوا عن المدينة فى حياة الرسول (ص) ٠

(١٨) **ابن هشام** ، ص ٣٥١ ٠

(١٩) « **واط** » ، « محمد فى المدينة » ، ص ٢٢٧ ٠

(٢٠) **ابن سعد** ، الجزء الثانى ، ص ١٠٦ ٠

(٢١) **ابن هشام** ، ص ٨٥٨ ٠

(٢٢) **ابن كثير** ، تفسير القرآن العظيم (القاهرة بدون تاريخ) ، الجزء الثانى ، ص ٢ ٠

(٢٣) W. Montgomery Watt, **Bell's Introduction to the Quran** (Edinburgh, 1970), p. 207, Rev. E. M. Wherry, A Comprehensive Commentary on the Quran. (London, 1896), vol. II, p. 119.

« **و٠ مونتجمرى واط** » ، « مقدمة بيل للقرآن » (ادنبرة ، ١٩٧٠) ص ٢٠٧ ، القس « ا٠م٠ هويرى » « تعليق شامل على القرآن (لندن ، ١٨٩٦) ، الجزء الثانى ، ص ١١٩ ٠

(٢٤) **ابن هشام** ، ص ٥٤٦ ٠

(٢٥) المرجع نفسه ، ص ٦٩٠ .

(٢٦) « **و٠ رويرتسون سميث** » ، القرابة والزواج فى الجـزيرة العربية القديمة ، ص ٤٠ ٠

(٢٧) دائرة معـــارف جودايكا ، الجزء الحادى عشر ، العامود ١٢١٢ تقدر عدد اليهود فى المدينة برقم يتراوح بين ٨٠٠٠ و ١٠٠٠٠ وهو تقدير منخفض لا تؤيده مصادرنا ٠

(٢٨) Moshe Gil, « **The constitution of Medina** : a reconsideration », Israel Oriental Studies (Tel Aviv, 1974), Vol. IV, p. 57.

« **موسى جيل** » « دســتور المدينــة » : اعادة نظــر « الدراســات الشرقية الاسرائيلية » ٠

(تل ابيب ، ١٩٧٤) ، المجلد الرابع ، ص ٥٧ ٠

(٢٩) **ابن هشام** ، ص ٧٢٦ ، القرآن ، سورة المنافقون ، ٨

(٣٠) **القس** « ا٠م٠ **هويرى** » « تعليق شامل على القرآن » ٠ **ابن كثير** ، التفسير ، الجزء الرابع ، ص ٣٦٩ ــ ٧٠ ٠

(٣١) « **سرجنت** » ، « دستور المدينة » ، ص ٩ ٠

(٣٢) المرجع نفسه ، ص ١٠ ٠

(٣٣) المرجع نفسه ٠

(٣٤) المرجع نفسه ٠

(٣٥) Ilse Lichtenstadter, « Some References to Jews in Pre-Islamic Arabic Literature », Proceedings of the American Academy for Jewish Research. Vol. X (1940), pp. 185-194.

« **ايلزيه ليشتنستادتر** » ، « بعض الاشــارات الى اليهود فى الأدب العربى الجاهلى » ، أعمال الأكاديمية الأمريكية للأبحاث اليهودية ، المجلد العــاشر (١٩٤٠) ، صص ١٨٥ــ١٩٤ ٠

(٣٦) الرأى المتشكك الذى قال به د٠ س٠ « مارجوليوث » فى كتابه :

The Relations between Arabs and Israelites Prior to the Rise of Islam.

« العلاقات بين العرب واليهود قبــل ظــهور الاســلام » ، صص ٧٦ــ٨١ ، فيما يتعلق بصحة اشــعار السموال لا يؤثر على شهرة هــذا الشاعر ٠

(٣٧) Ilse Lichtenstadter, pp. 185-194.

« **ايلزيه ليشتنستادتر** » « صص ١٨٥ ــ ١٩٤ ٠

(٣٨) « اثم » (بالعربية فى الأصل) ٠ وقد اخذنا فى ترقيم المواد بما ورد فى كتاب « واط » ، « محمد فى المدينة » ، صص ٢٢١ــ٢٢٥ ٠

(٣٩) المواد ٢٥ ، ٣١ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٦ ، ٤٧ .

(٤٠) « سرجنت » ، « دستور المدينة » ، ص ٤ .

(٤١) « واط » ، « محمد فى المدينة » ، ص ٢٢٨ .

(٤٢) ابن هشام ، ص ٣٤٢ ، « واط » ، « محمد فى المدينة » ، ص ٢٢٧ .

(٤٣) « واط » « محمد فى المدينة » ، ص ٢٢٧ .

(٤٤) محمد حميد الله ، « أول دستور مكتوب فى العالم » الطبعة الثانية (لاهور ١٩٦٨) ، و « ر.ب. سرجنت » ، « دستور المدينة » ، أساءا فهم الوثيقة .

(٤٥) « وانكم مهما اختلفتم فيه من شيء ، فان مرده الى الله عز وجل ، والى محمد (ص) » (المادة ٢٣) . وقد أورد ابن هشام نص الصحيفة ، ص (٣٤١ - ٣٤٤) . وقد قورن نص حميد الله (صص ٤١ - ٥٤) بنصوص ابن أبى خيثمة وابن كثير وأبى عبيد . انظر أيضا « واط » ، « محمد فى المدينة » (صص ٢٢١-٢٢٥) .

(٤٦) « وأنه لا يخرج منهم أحد الا باذن محمد (ص) ، وأنه لا ينحجز على ثأر جرح ، وانه من فتك فبنفسه (فتك) ، وأهل بيته الا من ظلم ، وان الله على أبر هذا » (المادة ٣٦) .

(٤٧) « وان ذمة الله واحدة ، يجير عليهم أدناهم ، وان المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس » (المادة ١٥) .

(٤٨) « وان يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ومواليهم وأنفسهم الا من ظلم وأثم ، فانه لا يوتغ الا نفسه وأهل بيته » (المادة ٢٥ ، والمواد ٢٦ الى ٣٥ مثلها) .

(٤٩) « وان على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، وان بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وان بينهم النصح والنصيحة والبر دون الاثم ، وأنه لم يأثم امرؤ بحليفه ، وان النصر للمظلوم ، (المادة ٣٧) .

(٥٠) « واذا دعوا (أى اليهود) الى صلح يصالحونه ويلبسونه ، فانهم يصالحونه ويلبسونه ، وانهم اذا دعوا الى مثل ذلك فانهم لهم على المؤمنين ، الا من حارب فى الدين » (المادة ٤٥) .

(٥١) ابن هشام صص ٤٠١-٤١١ .

(٥٢) القرآن ، سورة آل عمران ، ٦٤ .

(٥٣) ابن هشام ، ص ٤١١ .

(٥٤) ابن هشام ، صص ٤١٠-٤١١ ، ابن سعد ، ص ٤١٢ .

(٥٥) ابن سعد ، ص ٢١٢ ٠

(٥٦) Bernard Lewis., 'The Arabs in the History (London, 1950), p. 43, See also J. Obermann, « Early islam », the Idea of History in the Ancient Near East, ed. R.C. Denton (New Haven : Yale University Press 1966).

« برنارد لويس » « العرب فى التاريخ » (لندن ، ١٩٥٠) ص ٤٣ ٠ انظر أيضا « ج أوبرمان » ، « الاسلام الأول » ، « فكرة التاريخ فى الشرق الأدنى القديم » (نيوهافن ، ١٩٦٦) ص ٢٧٠ ٠

(٥٧) محمد النبى (بالعربية فى الأصل) أبو عبيد القاسم بن سلام ، كتاب الأموال (القاهرة ١٩٦٨) ، الفقرة ٥١٧ ٠

(٥٨) القرآن ، سورة التوبة ، ٢٨ ٠

(٥٩) المرجع نفسه ، سورة التوبة ، ٢٨ ٠

(٦٠) بالرغم من أن مفهوم الآية العصرى قد يتعارض مع وجود مستويين من العضوية ، فلا يبدو أن هذا كان يثير أية صعوبات فى القرن السابع ٠

(٦١) Joseph Schacht, « Pre-Islamic Background and Early Development of Jurisprudence », in law in the Middle East, ed. by Magid Khaddvri and Herbert J. Leibesny (Washington D.C., 1955), Vol. I, p. 41.

« جوزيف شاخت » ، « الخلفية الجاهلية وتطور الفقه فى الفترة الأولى » فى القانون فى الشرق الأدنى ، أعده للنشر « مجيد خدورى » وهربرت ج٠ ليبسنى (واشنطون د٠س ، ١٩٥٥) ، الجزء الأول ، ص ٤١ ٠

(٦٢) المرجع نفسه ، ص ٤٠ ٠



الفصل الثالث

تأييد اليهود للمعارضة في المدينة

« لقد أظهر أتباع محمد من جانبهم – علاوة على أخذهم بالأفكار الأساسية لليهودية وبتعاليم نوح – استعدادا كاملا لاتباع عدد من الطقوس اليهودية · لذلك لم يكن هناك نظريا سبب يحول دون تعايش المجتمعين فى سلام · غير أن القبائل اليهودية فى المدينة ، فيما هو محتمل، لم تعدل عن فكرة ممارسة نفوذ سياسى كبير فى الواحة ككل · وكان من الواضح جدا لديها ، ربما قبل مرور وقت طويل ، أن سلوك محمد وما كان بسبيل اكتسابه من أهمية قد يؤثران على هذا الهدف » ·

« مكسيم رودنسون »

ان الأمة (١) ، كما كان يراها الرسول ﷺ وكما جاء وصفها رسميا فى الصحيفة التى ناقشناها فى الفصل السابق ، ما كان يمكن أن تسير أمورها سيرا طبيعيا الا بالتعاون الصادق بين مختلف مكوناتها أى المهاجرين والأنصار واليهود · ويبدو أن السنوات الخمس الأولى من حياة الرسول ﷺ فى المدينة أنفقت فى محاولة تحقيق هذا التعاون · وقد نكل فريق من الأنصار أسموا بالمنافقين (٢) وثلاث قبائل من يهود المدينة هم بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة عن هذا التعاون الذى ما كان يمكن بدونه أن تنهض الأمة بأى

دور فعال • وكان رأس المنافقين هو عبدالله بن أبى بن سلول الذى كان زعيما بارزا من زعماء المدينة وكان يناوىء الرسول ﷺ • أما المعارضة اليهودية الآساسية فكان يمثلها زعماء بنى النضير (٣) • وسنتعرض لتلك المعارضة فى الفصلين التاليين •

لقد فر الرسول ﷺ من اضطهاد مكة الى امن يثرب فى شهر سبتمبر سنة ٦٢٢ ميلادية • وهذا التاريخ لا يعتبر بداية لعصر جديد فى التاريخ الاسلامى فحسب بل يعتبر كذلك المرحلة الثانية والأهم فى كفاح الاسلام من أجل البقاء • واذا كان من المعترف به كما يقول «مونتجمرى واط» أن « المعلومات المتعلقة بسياسات المدينة الداخلية » (٤) خلال السنوات الأولى من هجرة الرسول ﷺ نادرة ، فان المعارضة التى كان على المسلمين أن يواجهوها لم تقدر أبعاد ضراوتها ، فيما يبدو ، تقديرا كاملا • وقد عقد كتاب السيرة المسلمون بحديثهم المبالغ فيه عن جوانب الاعجاز فى غزوات الرسول من مهمة المؤرخ فى التعرف على القوة الحقيقية لمن كانوا يظاهرون الرسول ﷺ ومن كانوا يحاربونه حتى زمن صلح الحديبية (٦/٦٢٨) وصلح خيبر (٧/٦٢٨) • ومع التسليم باتجاه كتاب المغازى الى تضخيم قوة الخصوم والتقليل من قوة المسلمين فالذى لا مراء فيه هو أن قريشا فى مكة واليهود فى خيبر وقبائل الحجاز المشركة والمنافقين ويهود يثرب بوجه خاص كانت قوتهم الاجمالية خلال السنتين الأولى والثانية من الهجرة تفوق بشكل حاسم قوة المجتمع الاسلامى الجديد •

وكان المشركون واليهود ، على الرغم من اعتزازهم بقوتهم، لا يستهينون بالتقدم الذى كان الرسول ﷺ يحرزه • وقد استخدموا لايقاف تقدمه شتى وسائل الاتصال التى كانت معروفة فى ذلك الوقت ضد الرسول ﷺ ، فاتهم شعراؤهم المكلفون بالدعاية ، ممن وصفهم « رودنسون » « بصحفيى

ذلك الوقت» وصفهم «كارمايكل» «بمشعلي نار المعارك»(٥)، مسلمي المدينة بجلب العار على أنفسهم بتسليم قيادهم لأجنبي • وعير أبو عفك أبناء قيلة (أي الأوس والخزرج) لموقفهم بقصيدة قال فيها :

لقد عشت دهرا وما ان أرى — من الناس دارا ولا مجمعا
أبر عهودا وأوفى لمن — يعاقد فيهم اذا ما دعا
من أولاد قيلة فى جمعهم — يهد الجبال ولم يخضعا
فصدعهم راكب جاءهم — حلال حزام لشتى معا
فلو أن بالعز صدقتم — أو الملك تابعتم تبعا (٦) •

ويلاحظ أبو عفك فى هذه الأبيات أن أبناء قيلة قاوموا تبعا وقد كان ملكا عربيا ذا شهرة عظيمة ويتساءل عما جعلهم الآن يقبلون دعوى مهاجر مكى •

وكان هجاء عصماء بنت مروان أوقع وأنكى من ذلك (٧) ، فقد قالت :

باست بنى مالك والنبيت — وعوف، وباست بنى الخزرج
أطعتم أتاوى من غيركم — فلا من مراد ولا مذحج
ترجونه بعد قتل الرءوس — كما يرتجى مرق المنضج
ألا أنف يبتغى غرة — فيقطع من آمل المرتجى(٨) •

وفى الوقت الذى كانت فيه عصماء تعير عوفا والخزرج كان كعب بن الأشرف يشبب بشعر ماجن بزوجات الرسول(٩) ويقرض أشعارا مقذعة عن نساء المسلمين (١٠) • وقد احتفظ لنا ابن اسحاق ببعض أشعار كعب ، الشاعر الهاوى، وهى تعطينا فكرة عن أسلوبه • وشبب كعب فى الأبيات التالية بأم الفضل بنت الحارث ، فقال :

أراحل أنت لم تحلل بمنقبة
وتارك أنت أم الفضل بالحرم !

صفراء رادعة لو تعصر انعصرت
من ذى القوارير والحناء والكتم
يرتج ما بين كعبيها ومرفقها (١١)
اذا تأتت قياما ثم لم تقم
أشباه أم حكيم اذ تواصلنا
والحبل منها متين غير منجذم
احدى بنى عامر جن الفؤاد بها
ولو تشاء شفت كعبا من السقم
فرع النساء وفرع القوم والدها
أهل التحلة والايفاء بالذمم
لم أر شمسا بليل قبلها طلعت
حتى تجلت لنا فى ليلة الظلم (١٢) ٠

وبينما كانت هذه الحملة التى لحمتها السوقية وسداها التشنيع دائرة على لسان الشعراء أمر يهودى من بنى قينقاع اسمه شاس بن قيس فتى شابا من يهود بانشاد بعض الأشعار التى نظمت بمناسبة يوم بعاث لرهط من المسلمين فيه الأوس والخزرج ٠ وهاج هؤلاء وهؤلاء الى درجة جعلت كل فريق يتحدى الآخر وقال واحد من الفريق الأول لواحد من الفريق الثانى : « ان شئتم رددناها الآن جذعة » فغضب الفريقان وقالوا : « قد فعلنا ، موعدكم الظاهرة ، السلاح السلاح ! » (١٣) وما أن سمع الرسول ﷺ الخبر حتى هرع الى المكان مع نفر من المهاجرين وخاطب رجال الأوس والخزرج قائلا :

« يا معشر المسلمين ، الله الله ٠ أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للاسلام وأكرمكم به وقطع عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر ، وألف به بين قلوبكم ؟ » (١٤) ٠

ونزلت الآيات التاليه بهذه المناسبة (١٥) :

« يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين • وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم • يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون • واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا •• » (١٦) •

كان هذا هو جو البلبلة في المدينة الذى دارت وسطه موقعة بدر • وفى خلال ما يقل عن سنتين من الهجرة (رمضان ٢ هـ / مارس ٦٢٤م) هزم ثلاثمائة وأربعة عشر مسلما يقودهم رسول الله ﷺ جيشا مكيا قوامه ألف مقاتل من قريش فى بدر • وكان عدد القتلى المكيين يتراوح بين خمسين وسبعين ، بما فى ذلك أعدى أعداء الرسول ﷺ من قريش أبو الحكم عمرو بن هشام (أبو جهل) وعديد من الرؤساء الآخرين • وأسر منهم سبعون أو نحو ذلك • ولم يقتل من المسلمين سوى أربعة عشر ولم يؤسر منهم أحد • وكان هذا أول صدام كبير مع أهل مكة بعد هجرة الرسول ﷺ من هذه المدينة (١٧) •

وقد قوى هذا الانتصار الكبير كثيرا من ساعد المسلمين فى المدينة « التى يحتمل أن موقفهم فيها كان فى تدهور خلال الشهور القليلة السابقة حين بدا من غير المحتمل أن ينجح الرسول فى انجاز شىء » (١٨) • ويبدو أن المعارضة الناشئة فى المدينة ، التى استهانت فى البداية بأمر الرسول وأصحابه ، أصابها القلق والتوجس • وكان من الطبيعى أن يحس اليهود وحلفاؤهم ممن كانوا قد انضموا الى صفوف المسلمين ولكنهم ظلوا متربصين فى انتظار أن تتاح الفرصة لاجلاء المسلمين من المدينة (١٩) بالحرج والانزعاج • ويبدو

انهم كانوا يعدون العده لمواجهه في المدينة ، لكن الرسول ﷺ اراد ان يتفادى مثل هذة المواجهة بأى ثمن · ومن المحتمل ان حادثة وقعت خلال هذه الفترة في المدينة أدت الى اخذناك بين المسلمين وبنى قينقاع · ولم يذكر ابن اسحاق هذه الحادثة ، لكن ابن هشام مهذب سيرته أضافها في روايته قائلا ان إمرأة من الأنصار انكشفت سوءتها على يد صائغ يهودى في سوق بنى قينقاع فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله · وشدت اليهود على المسلم فقتلوه ، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود ، فغضب المسلمون ، فوقع الشر بينهم وبين بنى قينقاع (٢٠) · ورغم أن الواقدى ذكر بدورة هذه الحادثة (٢١) ، فان ابن سعد لم يضمنها فى روايته · كذلك فان الطبرى اتبع قصة ابن اسحاق الأولى ولم يشر الى الحادثة التى أضافها ابن هشام (٢٢) · واغلب الرآى أن هذة الواقعة دخلت مادة القص فى وقت لاحق ، أو لعل ابن اسحاق وجد أنها من التفاهة بحيث لا تستحق الذكر · على أن الوقائع وان كانت تافهة أو صغيرة قد تتخذ أبعادا خطيرة فى جو تضطرم فيه مشاعر الجانبين · ويلاحظ «كوبر» وهو يناقش موضوع التغير السياسى فى المجتمعات التعددية ما يأتى :

« ·· والنزاع قد ينقل بسرعة من قطاع الى آخر بصورة تبدو مخالفة لحكم العقل ولا يمكن التنبؤ بها · وبعض الأحداث قليلة الأهمية والمنعزلة قد يكون لها من ثم صدى عظيم ، وقد تثير نزاعا بين قطاعات المجتمع · كذلك فان المسائل المتنازع عليها قد تتفاقم وتضيف الى احتمالات زيادة العنف وتضاعف من شدتها » (٢٣) ·

وأيا كانت الحادثة التى كانت السبب المباشر فى النزاع ، فان العلاقات بين بنى قينقاع والمسلمين بلغت نقطة اضطر الرسول ﷺ فيها الى جمع بنى قينقاع فى سوقهم ليوجه اليهم انذارا وحذرهم بالكلمات التالية استنادا الى صفته كرسول لله :

« يا معشر يهود ، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة ، وأسلموا فانكم قد عرفتم أنى نبى مرسل تجدون ذلك فى كتابكم وعهد الله اليكم » (٢٤) ٠

ورد اليهود على دعوته بتحد فقالوا

« يا محمد ، انك ترى أنا قومك ! لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة ، انا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس » (٢٥) ٠

ولم يكن فى الامكان تسوية الأمر سلميا بعد مثل هذه الاجابة ٠ لقد اتخذ بنو قينقاع زمام المبادرة فى أنسب لحظة فلم يكن قد مر أكثر من سنتين على اقامة الرسول فى المدينة ٠ وكان بعض الأنصار من ذوى النفوذ مثل عبدالله بن أبى (٢٦) لا يزالون فى موقف المترصد ٠ وكان الأوس والخزرج لا تزال فى نفوسهم بقية من مشاعر التنافس التى كانت بينهم فى الجاهلية ٠ ولم يكن موقف اليهود فى المدينة قد تأثر بشكل ملموس بوصول الرسول ﷺ وأصحابه المهاجرين ٠ وكان سكان المدينة من اليهود فى ذلك الوقت كما لاحظنا من قبل يتراوح عددهم بين (٣٦٫٠٠٠) و (٤٢٫٠٠٠) وكانوا يشكلون أغلبية سكان المدينة (٢٧) ٠

ان غزوة بدر تعطى فكرة لا بأس بها عن قوة المسلمين فى ذلك الوقت ٠ لقد كان كل ما استطاعوا تعبئته فرسين وسبعين بعيرا وثلاثمائة وأربعة عشر رجلا (٢٨) ، كان عليهم أن يقاتلوا تسعمائة وخمسين من أهل مكة الذين كان لديهم ، بالاضافة الى عدد كبير من البعير مائتا فرس ٠ والأرجح أن بنى قينقاع أو أى مراقب اخر كانوا قد كونوا فكرة سيئة عن استراتيجية المكيين وقيادتهم وترتيبات نقلهم وتموينهم ٠ فى الوقت نفسه كان ضعف المسلمين فى الرجال والعتاد ظاهرا للعيان وظن بنو قينقاع أنهم ، حتى اذا لم يهب اليهود وحلفاؤهم المدنيون لنجدتهم ، قادرون على التصدى وحدهم للرسول ولأنصاره ٠ وكانت قوتهم تتكون

من سبعمائة رجل ، ثلاثمائة منهم دارعون (٢٩) مقابل نحو ثلاثمائة مسلم حاسرين . وكان لدى بنى قينقاع ميزة أخرى هى ميزة القتال فى حصون مجهزة . وكان بنو قينقاع أشجع اليهود (٣٠) ويسمون أنفسهم « أصحاب الحرب » (٣١) . لذلك قرروا أن يتخذوا زمام المبادرة وحاربوا الرسول (٣٢) ، ولاذوا بحصونهم . وذهب الرسول ﷺ الى تلك الحصون وعسكر مع رجاله خارجها . وكانت المعركة غير متكافئة كما كانت غزوة بدر غير متكافئة ، وكانت نتيجتها ، مثل نتيجة بدر ، تدعو الى العجب . فبعد حصار لم يزد عن خمسة عشر يوما استسلم بنو قينقاع . وقد أبدى « مارجوليوث » فى هذا الشأن ملاحظة طريفة عن صفات يهود المدينة القتالية فقال :

« ان من الغريب أن اليهود يظهرون فى سيرة الرسول كتجار للسلاح والدروع بنفس الصورة التى كانوا يظهرون بها فى انجلترا فى العصور الوسطى التى يصورها الروائى الاسكتلندى والتر سكوت . والظاهر أنهم لم يكونوا يستخدمون هذا السلاح بصفة فعلية » (٣٣) . وكان الواقدى وتلميذه ابن سعد هما اللذان نسبا لليهود قولهم انهم « أصحاب الحرب » و « أشجع اليهود » . على أن لغة ابن اسحاق أكثر حذرا . فهو لا يشير أية اشارة الى شجاعتهم .

ولم تهب أقوى القبائل اليهودية الأخرى ، أى بنى النضير وبنى قريظة ، لنجدة قينقاع . كذلك لم يتحرك عبدالله بن أبى بن سلول لتقديم أى عون لليهود المحاصرين رغم أن بنى قينقاع كانوا موالى له ، وحاربوا الى جانبه قبل الهجرة . ولم يتبن قضية اليهود الا بعد أن ألقوا السلاح ونزلوا على حكم الرسول ﷺ فذهب الى الرسول وقال له : « يا محمد ، أحسن فى موالى .. (وأدخل يده فى جيب درع رسول الله) ، فقال له الرسول ﷺ : « ويحك ، أرسلنى » . وقال ابن أبى : لا ، والله لا أرسلك حتى تحسن فى موالى ، أربع مئة حاسر

وثلاث مئة ذارع قد منعونى من الأحمر والأسود ، تحصدهم فى غداة واحــدة ؟ انى والله امرؤ أخشى الدوائر » فقال له الرسول : « هم لك » (٣٤) ٠

وقد جاء ذكر هذه الواقعة عند ابن اســحاق والواقدى وابن سعد ٠ ورواياتهم توحي بأن عبــد الله بن أبى كان له شيء من كرامة عند الرسول ﷺ ٠ على أن ألفاظ مناشــدة عبد الله بن أبى للرسول ﷺ فى ذاتها تحمل على الشــك فى طبيعتها ، فان ابن اسحاق لم يذكر قط أن الرسول ﷺ قال انه يعتزم الأمر باعدام بنى قينقاع ٠ والذى ذكر ذلك هــو الواقدى وكذا ابن سعد نقلا عن أستاذه ٠ ولم يكن الاعدام هو أسلوب الرسول كزعيم سياسى فى معــاملة خصــومه ٠ والرسول ﷺ ، ولو انه لم يكن يؤمن بعــــدم العنف وكان يخوض الحرب حين يقتضى الأمر ، كان يتفادى كمسألة مبدأ اراقة الدماء بغير ضرورة ٠ وأيا كان الأمر فانه لم يكن ، فى السنة الثانية من الهجرة ، حتى ان أراد ، فى وضع يتيح له فرض عقوبة صارمة ٠ وأقرب من ذلك الى العقل أن نقول انه أراد أن يكون الهجوم على بنى قينقاع درسا للمنافقين وعلى رأسهم عبد الله بن أبى الذى كان من الممكن أن يحقق له انتصار بنى قينقاع على المسلمين مصلحة مباشرة ٠

وبادر عبادة بن الصــامت أحد بنى عوف ، الذى كان حليفا لليهود ، بالتبرؤ من حلف بنى قينقـــاع (٣٥) ٠ وقد فضح مسعى عبد الله بن أبى أمره كما أضعف مركزه وعزله عن المسلمين ٠ ولقنه الرسول ﷺ درسا ولم تكن هناك حاجة الى اجراء آخر ٠

ان رواية ابن اسحاق لهــذه العملية كلها رواية تتســم بالاقتضاب والتحفظ ٠ وهو لم يشر الى الحــادثة التى وقعت فى سوق بنى قينقاع والذى أضافها هو ابن هشام ٠ وابن اسحاق يبدأ بنقل خطاب الرســول ﷺ الى بنى قينقاع فى سوقهم ٠ لكنه لا يقول ان الرسول أجلاهم ٠ بل يقول انه ﷺ

قال لعبد الله بن أبى : « هم لك » والواقدى هو الذى أضاف عبارة « وآمر بهم ان يجلوا من المدينة » (٣٦) .

وقد نقل ابن سعد عبارة أستاذه دون تمحيص (٣٧) . ويبدو إن الشواهد تؤيد موقف ابن اسحاق الذى لم يتحدث عن اجلاء بني قينقاع . ولم يورد البخارى ولا مسلم أى خبر عن نزاع قام بين الرسول ﷺ وبنى قينقاع ، علما بأن كلا منهما تحدث عن نزاع شجر بينه وبين بنى النضير وبنى قريظة ، وقد تحدث كل منهما عن اجلاء بنى قينقاع بصدد الحديث عن اجلاء اليهود عموما من المدينة (٣٨) . ولم تذكر أى تواريخ فى هاتين الروايتين ، لكن اسم بنى قينقاع جاء فيهما بعد اسمى بنى النضير وبنى قريظة ، ويبدو أن الروايتين تحيلان الى خلافة عمر .

وقد لاحظنا فيما سبق أن اليهود كانوا لا يزالون فى المدينة فى السنة التاسعة من الهجرة وسير الرسول لا تتحدث عن أى اجلاء عام لليهود من المدينة فى حياته ﷺ (٣٩) . وأبو يوسف (١١٣/٧٣١ ـ ١٨٢/٧٩٨) الذى تحدث فى مصنفه « كتاب الخراج » عن مشكلات فرض الخراج على الأرض ، وعن الوضع القانونى لغير المسلمين ، وما يتصل بذلك من مسائل ، ويسوق كلما أمكن سوابق ترجع الى زمن الرسول ﷺ لاستصدار تشريع يتفق وأحكام السنة ، لم يورد أية اشارة تفيد طرد بنى قينقاع وتوزيع أملاكهم .

ويقول يحيى بن آدم (١٤٠/٧٥٧ ـ ٢٠٣/٨١٨) الذى يقول « جوزيف شاخت » ان « النقاد يعتبرونه عادة من أهل الثقة .. وكان فى البداية من المحدثين ، كما كان من فقهاء المدرسة التقليدية » (٤٠) ان بنى النضير كانوا أول من أجلى عن يثرب (٤١) . ويذكر الامام الشافعى (١٥٠/٧٦٧ ـ ٢٠٤/٨٢٠) أن الرسول ﷺ كان يستعين بنفر من يهود بنى قينقاع ضد يهود خيبر (٧/٦٢٨) . (٤٢) وقد سرد ابن العماد (١٠٣٢/١٦٢٣ ـ ١٠٨٩/١٦٧٩) الذى كان

من الكتاب المتأخرين ولكنه ، كما يقول « ف روزنتال » « لا يزال مفيدا كمصدر أولى للمعلومات » (٤٣) فى كتابه « شذرات الذهب » أحداثا مهمة عن حياة الرسول ﷺ منذ زمن هجرته • وهو بدوره لا يتحدث عن اجلاء بنى قينقاع عن يثرب فى السنة الثانية من الهجرة أو فى حياة الرسول ﷺ • (٤٤) والقرآن الكريم يؤيد هذا الرأى ، فان سورة الحشر التى نزلت بعد غزوة أحد فى السنة الرابعة من الهجرة والتى تتحدث عن اجلاء بنى النضير من المدينة تصف اجلاءهم بأنه « أول الحشر » (٤٥) •

والقرآن الكريم وإن كان يتحدث عن اجلاء بنى النضير وعن عقاب بنى قريظة لا يشير الى اجلاء بنى قينقاع بالرغم من أنهم كانوا أول من شجر بينهم وبين المسلمين نزاع • ويقول الواقدى وابن سعد ان الآية التالية نزلت بشأن بنى قينقاع :

(واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين) (٤٦) •

والواقدى وابن سعد يضعان هذه الآية خارج سياقها الصحيح ، فان الاية رقم ٥٦ من السورة نفسها (٤٧) تستبعد بنى قينقاع صراحة اذ انها تشير الى « **الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون** » • ولم يكن بنو قينقاع هم الذين تكرر منهم نقض العهود فان الرسول ﷺ لم يكن قد أقام فى المدينة سوى عامين ، ولم تكن هناك مناسبات تكرر فيها نقض اليهود للعهد • وابن اسحاق يذكر ، استنادا الى ما رواه عاصم بن عمر بن قتادة ، أن بنى قينقاع كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ وحاربوا فيما بين بدر وأحد (٤٨) • كانوا أول من نقض العهد ولكنهم لم يكونوا من تكرر منه نقض العهد • ويرى مفسرو القرآن أن هاتين الآيتين كلتيهما تشيران الى بنى قريظة لا الى بنى قينقاع (٤٩) •

ولأن ابن اسحاق لا يتحدث عن اجلاء بنى قينقاع ، فهو بالتالى لا يشير الى تقسيم ممتلكاتهم . لقد كانوا يملكون أطمين وسوقا بالقرب من جسر بطحان وسوقا أخرى فى حباشة (٥٠) . وقد جمع « كستر » فى مقاله الثمين ـ على ايجازه ـ كل الأحاديث التى يتبين منها أن الرسول ﷺ أراد أن ينشىء سوقا فى المدينة (٥١) . وكان المهاجرون، ومعظمهم من التجار ، والمشتغلون بالتجارة بحاجة ماسة الى مثل هذه السوق . أما الأنصار فقد كانوا ، كما هو معروف يشتغلون بالزراعة . ولو أن بنى قينقاع قد أجلوا لكانت ممتلكاتهم ولكانت سوقهم بصفة خاصة أول ما يئول الى مهاجرى مكة ، لا ممتلكات بنى النضير التى كانت تتكون من المزارع وحدائق النخيل . وحاصل الأمر أنه ليس هناك ذكر لتقسيم هذه الممتلكات على المهاجرين ولا على الأنصار . وانه ليبدو من الغريب حقا أن يكون الرسول ﷺ قد انتظر أربع سنوات ليقسم ممتلكات على المهاجرين لدى اجلاء بنى النضير رغم أنه كان فى مقدوره أن يمنح المهاجرين ممتلكات أنسب لمهنتهم كتجار قبل ذلك بسنتين لدى ما يدعى من طرد بنى قينقاع . والواقدى نفسه لا يحدثنا عما آلت اليه سوق بنى قينقاع . ولما كان الثابت أن المسلمين كانوا يستخدمون سوقا أقيمت فى مقابر بنى ساعدة (٥٢) فمن الواضح أن سوق بنى قينقاع اما بقيت فى حيازتهم أو لم تكن تستخدم ، وهذا الفرض الثانى فرض لا يقبله العقل فان مثل هذه السوق فى المدينة لا يتصور التخلى عنها أو اضاعتها . والظاهر انه سمح لبنى قينقاع بالرغم من مصادرة أسلحتهم بالاستمرار فى حيازة جميع ممتلكاتهم .

هذا واذا كان بنو النضير وسائر اليهود لم يتحركوا لنصرة بنى قينقاع فانهم لم يقفوا مكتوفى الأيدى أمام ما أصابهم من بلاء ، فقد بكى كعب بن الأشرف ، الذى انتخب

كبيرا لليهود بدلا من مالك بن الصيف(٥٣) ، هزيمة قريش في بدر، وقدم مكة لاستنفار المكيين للثأر لهذه الهزيمة(٥٤) ٠ وأشاد في احدى مرثياته بنبل محتد من سقطوا صرعى في بدر وطالب بثأرهم ، فقال :

طحنت رحى بدر لمهلك أهله
ولمثل بدر تستهل وتدمع

قتلت سراة الناس حول حياضهم
لا تبعدوا ، ان الملوك تصرع

كم قد أصيب به من أبيض ماجد
ذى بهجة يأوى اليه الضيع

طلق اليدين اذا الكواكب أخلفت
حمال أثقال يسود ويربع

نبئت أن الحارث بن هشامهم
في الناس يبنى الصالحات ويجمع

ليزور يثرب بالجموع ، وانما
يحمى على الحسب الكريم الأروع(٥٥)

وقال في مرثية أخرى :

ألا فازجروا منكم سفيها لتسلموا
عن القول يأتي منه غير مقارب

أتشتمنى ان كنت أبكى بعبرة
لقوم أتانى ودهم غير كاذب

فانى لباك ما بقيت وذاكر
مآثر قوم مجدهم بالجباجب (٥٦) ٠

وفي خلال سنة من غزوة بدر كان أهل مكة على أهبة الاستعداد للنزول الى ساحة القتال من جديد ٠

وفي ٧ شوال سنة ٤ من الهجرة (٢٣ مارس سنة ٦٢٥) وقعت غزوة أحد التي كانت غزوة غير حاسمة • وخسر الرسول ﷺ المعركة • وقتل سبعون مسلما مقابل اثنين وعشرين من قريش • وعلى الرغم من أن المكيين لم يستغلوا هزيمة المسلمين استغلالا كاملا الا أن هيبة المسلمين هوت بهذه الهزيمة الى أدنى مستوياتها • وبعد غزوة أحد بقليل قتل في بئر معونة أربعون الى سبعون مسلما ، ولم ينج من المذبحة غير مسلم واحد هو عمرو بن أمية الضمرى • وقد التقى عمرو في طريق عودته برجلين من بنى عامر — ولم يكن يعرف أن بني عامر لم يكن لهم دور مباشر في المذبحة — فقتلهما وهما نائمان ثأرا لأصحابه • ولما كان الرسول ﷺ وقبيلة بنى النضير اليهودية ملزمين بناء على العهد المبرم مع بنى عامر بدفع الدية ، ذهب رسول الله ﷺ بصحبة عدد من كبار أصحابه الى مجلس بنى النضير يستعينهم فى دفع الدية • ووافق المجلس على الاسهام في دفعها وطلب من الرسول ﷺ وأصحابه الانتظار • وحين كان الرسول قاعدا جنب الدار لاحظ تحركات أرابته • فانه لم يحدث له قط أن كان قريبا الى هذا الحد من اليهود ، وها هو الآن في حيهم • وكان قتل عصماء بنت مروان وأبى عفك وكعب بن الأشرف بيد المسلمين في ظروف متشابهة مايزال عالقا بالأذهان • وغادر الرسول ﷺ المكان بهدوء وتبعه أصحابه • وأكدت الأنباء بعد ذلك أسوأ مخاوف الرسول ﷺ فقد كان اليهود قد دبروا مؤامرة لاغتياله (٥٧) • وكان قد سبق لرسول الله أن علم باتصال بنى النضير بقريش فى مكة • وقد حققت « نابيه أبوت » فى بحث بعنوان « دراسات للأدب العربى فى أوراق البردى » (٥٨) فقرة ورد فيها بيان الأسباب التى أفضت الى غزو الرسول ﷺ لبنى النضير ، وأعاد « كستر » بحث هذه الفقرة وأثبت بعد تحليل مستفيض أن مؤلفها هو ابن لهيعة الذى عاش فى مصر وتولى القضاء من سنة ١٥٥/٧٧١ الى سنة ١٦٤/٧٨٠ • ومؤدى الفقرة أن بنى النضير بعثت سرا

الى قريش حين نزلت بأحد لقتال محمد تحضها على قتال المسلمين وتدلها على مواطن ضعفهم (٥٩) .

وهذه الرواية التي تأتي من مصدر يكاد يكون معاصرا لابن اسحاق تلقى مزيدا من الضوء على الدور الذى لعبه بنو النضير (٦٠) . وفى مناسبة سابقة كان سلام بن مشكم سيد بنى النضير ، بعد نحو ثلاثة أشهر من غزوة بدر ، قد زود أبا سفيان بن حرب ومائتي راكب مكى بالطعام والميره ، كما زود أبا سفيان بمعلومات سرية عن المسلمين (٦١) . وقد أطلق على هذه المحاولة المكية الفاشلة للهجوم على المدينة ، كما يقول أبو الفرج ، اسم غزوة السويق نسبة الى الخمر التى قدمها سلام بن مشكم للمكيين بهذه المناسبة(٦٢) . والسويق شراب يصنع من القمح والشعير . وقال أبو سفيان فى مدح سلام على كرمه بهذه المناسبة شعرا ، منه هذان البيتان :

وانى تخيرت المدينة واحدا
لحلف فلم أندم ولم أتلوم

سقانى فروانى كميتا مدامة
على عجل منى سلام بن مشكم (٦٣) .

ويقول « رودنسون » بصدد المؤامرة التى حاكها بنو النضير ان « هذا فى مجموعه ليس افتراضا خاطئا ، وهو افتراض كان من المنتظر أن يتوقعه أى شخص أوتى أدنى حظ من الفراسة السياسية ولو كان أقل ذكاء من محمد»(٦٤)

لقد فقد المسلمون خلال أربعة أشهر أكثر من مائة رجل فى أحد وفى بئر معونة . وكانوا بحاجة الى السلم فى الداخل ، وكان يهمهم أن يأمنوا جانب جيرانهم فى المدينة . واتصل الرسول ﷺ ببنى قريظة وبنى النضير فى شأن تجديد الاتفاق الذى كان بينه وبينهم . وجدد بنو قريظة الاتفاق ، أما بنو النضير فقد رفضوه (٦٥) . ولم يكن المسلمون فى

مركز قوة ولكنهم قرروا استخدام الحزم في أخذ القرار ·
وارسل الرسول ﷺ محمد بن مسلمة وهو انصارى من قبيلة
متحالفة مع بنى النضير ليوجه اليهم انذارا ، وحدد لهم عشرة
أيام لمغادرة المدينة (٦٦) ·

وهم بنو النضير بقبول الانذار ، الا أن عبـد الله بن
أبى ، ووديعة ، ومالك بن أبى قوقل ، وسـويد ، وداعس
أشاروا عليهم بالمقاومة (٦٧) · وكانوا يتوقعون أن يخف
لنجدتهم ابن أبى فضلا عن بنى قريظة وبنى غطفان (٦٨) ·
وتحصن بنو النضير فى حصونهم وأوصدوا عليهم أبوابهـا
وانتظروا وصول المعونة ·

وتكررت معهم قصة بنى قينقاع · وذهب الرسول ﷺ
وجلس مع أصحابه حتى استسلموا ولم يتحرك أحـد للأخذ
بناصية بنى النضير · وقد ورد فى سورة الحشر التى نزلت
فى هذه المناسبة ذكر لهـذه الواقعة (٦٩) وجاء فى القرآن
الكريم بشأن ما صدر لبنى النضير من وعود بتقديم العون :

(ألم تر الى الذين نافقوا يقـولون لاخـوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم ··) (٧٠) ·

واستمر الحصار أسبوعين ثم استسلم بنو النضير · وقد
أمروا بالجلاء ولكن سـمح لهم بأخـذ ما حملت الابل من
أموالهم ما عدا السلاح « فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به
ستمائة من الابل ، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف(★)
بابه ، فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به» · وكان الخشب متاعا
ثمينا فقد كانوا بحاجة اليه لبناء بيوتهم فى مقرهم الجديد ·
وذهب فريق من بنى النضير الى خيبر وفريق آخر الى الشام ·
وكان سلام بن أبى الحقيق وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق

(★) النجاف (بوزن كتاب) : العتبة التى بأعلى الباب ·

وحيى بن أخطب ممن ساروا الى خيبر . ويقول ابن اسحاق ان القبيلة المهزومة شقت طريقها « بزهاء وفخر ما رئى مثله من حى من الناس فى زمانهم » (٧١) . ويضيف الواقدى ، الذى كان يعز عليه أن يتفوق عليه ابن اسحاق فى الوصف ، أن نساء بنى النضير كن يرتدين أبهى ثيابهن ويتقلدن حليهن وان أحدا لم ير نساء فى مثل جمالهن .. فى أيديهن أسورة الذهب والدر فى رقابهن ، وان منهم من بدت كأنها لؤلؤة غواص وأخرى كانت كالقمر فى تمامه (٧٢) . وقد أسقط ابن سعد بتحرزه المعتاد هذا القص التجميلى من روايته .

ان عددا كبيرا من العوامل قد تحالف ، فيما يبدو ، فى السنة الثانية من الهجرة ، على خلق ظروف لا يستبعد أن تكون قد جعلت من بنى قينقاع ضحية لمؤامرة لم تدر لهم بخلد من جانب المنافقين ولكن مثل هذا العذر لا يمكن أن يلتمس لبنى النضير . لقد كان بنو قينقاع فى الظاهر هم الذين أثاروا الخصومة مع الرسول ﷺ فى وقت كان بوسع المسلمين فيه أن يتصدوا لهم من موقف قوة وأن يعاملوهم بالتالى بكرم وسماحة . أما بنو النضير فقد اتخذوا موقفا عدائيا من المسلمين فى وقت كان الرسول ﷺ وأصحابه غارقين فيه فى مياه عميقة ، ولذلك فان معاملتهم بالرفق الذى عومل به بنو قينقاع كان من الممكن أن تؤول على أنها دليل على الضعف وأن تنال كثيرا من هيبة المسلمين .



مراجع الفصل الثالث

(١) الأمة فى سياق مناقشتنا ليهود المدينة لا تتجاوز ، حسب التعريف الذى عرفتها به « الصحيفة » ، « أهل الصحيفة » . وللاطلاع على مناقشة أكمل لمعناها انظر « مونتجمرى واط » العوامل المثالية فى أصل الاسلام ، المجلة الاسلامية ربع السنوية ، رقم ٣ (أكتوبر ١٩٩٥) ص ص ١٦١ـ٦٤ وكتابه بعنوان « الفكر السياسى فى الاسلام » ، ونبذة « رودى باريت » Rudi Parit فى دائرة معارف الاسلام (١) ، وأبو الأعلى المودودى « طريقة الحياة الاسلامية » المشار اليها فى الفصل السابق .

(٢) على الرغم من تعذر اعطاء تعريف دقيق وجامد للكلمة ، قد يكون من الأسلم أن نقول ان هذه الكلمة تصف سكان المدينة ، الذين قبلوا الاسلام قبولا ظاهريا ، والذين كانوا مع ذلك موضع ريبة لعدة أسباب . وكانوا من المعوقين الذين لا يمكن الاعتماد عليهم فى الملمات (القرآن سورة الأحزاب ، ١٢ـ٢٤) وكانوا يتكلمون عن المشاركة بأموالهم أو بأنفسهم فى الجهاد (القرآن ، سورة محمد ، ٢٠ و ٣١) بل وكانوا يتطلعون الى الوقت الذى يطرد فيه الرسول (ص) من المدينة (القرآن ، سورة المنافقون ، ٨) . انظر القرآن سورة المنافقون ، وابن هشام صص ٤١١ـ١٣ .

(٣) انظر ابن هشام صص ٣٥١ـ٤٠٠ ، للاطلاع على تفاصيل معارضة اليهود للرسول (ص) .

(٤) « واط » ، « محمد فى المدينة » ، ص ١٨٠ .

(٥) Maxime Rodinson, **Mohammed,** tr. Anne Carter (New York, 1971), p. 194.

مكسيم رودنسون ، « محمد » ، ترجمة آن كارتر (نيويورك ، ١٩٧١) ص ١٩٤ . وكما تقول « جويل كارمايكل » « Carmichael » : « لم يكن شاعر القبيلة بين البدو مجرد نظام للشعر ، بل كان يشعل نار المعارك » ، وكانت أشعاره « تعتبر بداية حقيقية للحرب الفعلية » .

(The Shaping of the Arabs, A Study in Ethnic Identity), New York, 1967, p. 38).

(تشكيل العرب ، دراسة للشخصية الاثنية ، نيويورك ، ١٩٦٧ ، ص ٣٨) .

(٦) **ابن هشام** ، ص ٦٦٥ ٠

(٧) لاحظ « **جويتاين** » كما لاحظ « **رودنسون** » « ان نساء الجزيرة العربية القديمة كن شهيرات ليس فقط بمراثيهن وشعر المديح ، بل أيضا وبصفة خاصة بهجائهن ، الذى كان يقوم الى حد كبير بالوظيفة التى تقوم بها صحافة اليوم » (اليهود والعرب ، ص ٣٠) ٠

(٨) **ابن هشـــام** ، صص ٩٩٥ــ٩٦ ٠

(٩) **محمد بن سلام الجمحى** ، طبقات الشعراء ، تحقيق « جوزيف هيل » Joseph Hell (لايدن ، ١٩١٦) ، ص ٧١ ٠

(١٠) **ابن هشام** ، ص ٥٥٠ ٠

(١١) ترجمة « **غليوم** » « حياة محمد » ، صص ٣٦٦ــ٦٧ ٠
ويتضح المجون فى هذا البيت حين يدرك المرء أنه يشير الى حركة ردفى أم الفضل حين تنحنى ٠

(١٢) **الطبرى** ، الجزء الثانى ، ص ٤٨٨ ، وقد حذف ابن هشـــام هذه الأبيات ٠

(١٣) **ابن هشام** ، ص ٣٨٦ ٠

(١٤) المرجع نفسه ٠

(١٥) المرجع نفسه ، ص ٣٨٧ ٠

(١٦) القرآن ، سورة آل عمران ، الآيات من ١٠٠ــ١٠٤ ٠

(١٧) **ابن هشام** ، صص ٤٢٧ــ٥٣٩ ، **الواقدى** ، الجزء الاول صص ٩ــ ١٧١ ، **ابن سعد** ، الجزء الثانى ، صص ١١ــ٢٧ ٠ ومن بين السرايا والغزوات السبع التى حدثت قبل بدر لم يقع لقـــاء أو قتال فى ست ٠ ولم يحدث قتال الا فى سرية نخلة التى قادها عبد الله بن جحش ، واشترك فيها ما بين سبعة أشخاص واثنى عشر شخصا ، وقتل فيها رجل واحد ٠

(١٨) « **واط** » ، محمد فى المدينة » ص ١٥ ٠

(١٩) القرآن ، سورة المنافقون ٨ ، **ابن هشام** ، ص ٥٥٩ ٠

(٢٠) **ابن هشام** ، ص ٥٦٨ ٠

(٢١) **الواقدى** ، الجزء الأول ، صص ١٧٦ــ٧٧ ٠

(٢٢) **الطبرى** ، تاريخ الرسل والملوك (القاهرة ١٩٦١) ، الجزء الثانى ، صص ٤٧٩ــ٨٣ ٠ ولما كان الطبرى قد استند الى سيرة ابن اسحاق وفقا لرواية سلامة بن فضل الأبرش الأنصارى (انظر « غليوم » ، ص ١٧ من المقدمة) ، فاننـــا لن نشير الى تـاريخه ٠ أى تـاريخ الطبرى الا متى اختلفت روايته عن سيرة ابن اسحاق ٠

(٢٣) Leo Kuper, « **Political Change in Plural Societies** : Problems in Racial Pluralism », International Social Science Journal, Vol. XXIII, No. 4 1971, p. 595.

ليو كوبر ، « التغير السياسى فى المجتمعات التعددية : مشكلات فى التعدد العنصرى » ، مجلة علم الاجتماع الدولية ، المجلد الثالث والعشرون ، رقم ٤ ، ١٩٧١ ، ص ٥٩٥ .

(٢٤) **ابن هشام** ، ص ٥٤٥ .

(٢٥) **ابن هشام** ، ص ٥٤٥ .

(٢٦) لم تحتفظ مصادرنا بأسماء غيره من المنافقين البارزين ، ولكن تكرر الاشارة اليهم فى القرآن الكريم يفيد أن عددهم لم يكن صغيرا .

(٢٧) انظر ص ١٠٧ .

(٢٨) لا يبدو أن هناك ما يدعو للشك فى هذه الأرقام . لقد كرم المسلمون المهاجرين والأنصار الذين اشتركوا فى غزوة بدر . وسجل ابن اسحاق وابن سعد أسماءهم ، وكانت ذريتهم مفضلة على ذرية غيرهم من صحابة رسول الله (ص) .

(٢٩) **ابن هشام** ، ص ٥٤٦ ، **الواقدى** ، الجزء الأول ص ١٧٧ .

(٣٠) **ابن سعد** ، الجزء الثانى ، ص ٢٩ .

(٣١) **الواقدى** ، الجزء الأول ، ص ١٧٦ .

(٣٢) **ابن هشام** ، ص ٥٤٥ .

(٣٣) « **د. س مارجوليوث** » ، تطورات الاسلام الأول (لندن ، ١٩٢٦) ، ص ١٠٩ .

(٣٤) **ابن هشام** ، ص ٥٤٦ .

(٣٥) **ابن هشام** ، ص ٥٤٦ .

(٣٦) **الواقدى** الجزء الأول ، ص ١٧٨ .

(٣٧) **ابن سعد** ، الجزء الثانى ، ص ٢٩ .

(٣٨) **البخارى** ، صحيح ، الجزء الخامس ، ص ١١٢ . صحيح مسلم ، الجزء الثانى ، الحديث رقم ٢٤٣ .

(٣٩) انظر الفصل الثانى ، ص ٨٥ .

(٤٠) « **جوزيف شاخت** » ، دائرة معارف الاسلام (١) ، الجزء الرابع ص ١١٥٠ .

(٤١) Yahya b. 'Adam, Kitab al-Kharaj (Leiden, 1896), p. 20.

يحيى بن آدم ، كتاب الخراج (ليدن ، ١٨٩٦) ، ص ٢٠ • ويقول « شاخت » ان هذا كتاب مهم عن تاريخ الضريبة على الأراضى فى الاسلام• وقد نشر أ• بن شمش A. Ben Shemesh ترجمة انجليزية للكتاب تحت عنوان :

Taxation in Islam, Vol. I (Leiden, 1958).

« الضريبة فى الاسلام » الجزء الأول (ليدن ١٩٥٨) •

(٤٢) **الشافعى** ، **كتاب الأم** (القاهرة ، ١٣٨١/١٩٦١) ، الجــزء الرابع ، ص ٢٦١ ، الجزء الثانى عشر ، ص ٣٤٢ •

(٤٣) « **روزنتال** » ، دائرة معارف الاسلام (٢) الجزء الثـالث ، ص ٨٠٧ •

(٤٤) **ابن العماد** ، عبد الحى بن أحمد الحنبلى ، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب (بيروت ، ١٩٦٦) الجزء الأول ، صص ٩ــ١٠ •

(٤٥) **الطبرى** ، جامع البيان (القاهرة ، ١٩٥٤) ، الجزء الثامن والعشرون ، صص ٢٧ــ٢٩ • **الزمخشرى** ، الكشاف (القاهرة ١٩٦٦) ، الجزء الرابع ، صص ٧٩ــ٨١ • **البيضـاوى** ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، أعده للنشر :

H. O. Fleischer (Osnabruck, 1968) Vol. II, p. 332.

« **هـ• أ• فليـشر** » (أوزنـا بروك ١٩٦٨) ، الجــز الثـــانى ، ص ٣٣٢ •

(٤٦) القرآن ، سورة الأنفـال ، ٥٨ •

(٤٧) السورة نفسها ، ٥٦ •

(٤٨) **ابن هشام** ، ص ٥٤٥ • انظر أيضا **الواقدى** ، الجزء الأول ، ص ١٧٧ •

(٤٩) **الطبرى** ، تفسير (القاهرة ١٩٥٨) ، الجزء الرابع عشر ، صص ٢١ــ٢٦ • **الزمخشرى** ، الكشاف ، الجزء الثانى ، صص ١٦٤ــ ٦٥ • **البيضاوى** ، الجزء الأول ، ص ٣٧١ •

(٥٠) **صلاح أحمد العلى** ، « دراسات فى طبوغرافية المدينة » ، الثقافة الاسلامية ، المجلد الخامس والثلاثون ، رقم ٢ ، أبريل ١٩٦١ ، صص ٧١ــ٧٢ •

(٥١) M. J. Kister, « **The Market of the Prophet** », The Journal of the Economic and Social History of the Orient, Vol. VIII, Part II (December 1965). pp. 272-276.

« **م• ج• كستر** » ، سوق الرسول » ، مجلة التاريخ الاقتصادى والاجتماعى للشرق ، المجلد الثـامن ، الجزء الثـانى (ديسمبر ١٩٦٥) صص ٢٧٢ــ٢٧٦ •

(٥٢) المرجع السابق . صص ٢٧٥–٢٧٦

(٥٣) **على بن برهان الدين الحلبى** ، انسان العيون : الجزء الثانى ، ص ١١٦ ، ذكره كستر ، مجلة التاريخ الاقتصادى والاجتماعى للشرق ، المجلد الثامن ، ص ٢٧٦ .

(٥٤) **ابن هشام** ، ص ٤٥٩ .

(٥٥) المرجع نفسه ، صص ٥٤٨–٤٩ .

(٥٦) المرجع نفسه ، ص ٥٥٠ .

(٥٧) صحيح **البخارى** ، (٩ أجزاء ، القاهرة : مطابع الشعب ، بدون تاريخ) الجزء الخامس ، ص ١١٢ ، **ابن هشام** ، صص ٦٥٢–٥٣ ، **الطبرى** ، الجزء الثانى ، ص ٥٥١ .

(٥٨) (Chicago, 1957) Document 5, « **Campaigns of Muhammad** » p. 67.

(شيكاغو ، ١٩٥٧) الوثيقة ٥ ، « غزوات محمد » ، ص ٦٧ .

(٥٩) M. J. Kister, « **Notes on the Papyrus Text About Muhammad's Cambaign Against thl B. al-Nadir** «, Archiv Orientalni, 32, 1964, p. 234.

« **م.ج.كستر** » ، « مذكرات عن نص البردى المتعلق بغزوة محمد لبنى النضير » ، ٣٢ ، ١٩٦٤ ، ص ٢٣٤ .

(٦٠) **ابن هشام** ، ص ٥٤٣ . **وللزرقانى** رواية مماثلة عن موسى ابن عقبة فى شرح المواهب اللدنية (القاهرة ، ١٣٢٥ هـ) ، الجزء الثانى ، ص ٨١ ؛ على أن النص الوارد فى ورق البردى يماثل الحديث الذى رواه عروة بن الزبير فى دلائل النبوة لأبى نعيم الأصفهانى (حيدر آباد ، ١٣٢٠) ، ص ١٧٦ .

(٦١) **ابن هشام** ، ص ٥٤٣ .

(٦٢) الأغانى ، الجزء السادس ، ص ٣٣٦ .

(٦٣) **ابن هشام** ، ص ٥٤٤ .

(٦٤) « **رودنسون** » ، صص ١٩١–٩٢ .

(٦٥) **أبو داود** ، الجزء الثالث ، ص ١١٦–١٧ .

(٦٦) **ابن سعد** ، الجزء الثانى ، ص ٥٧ ٠

(٦٧) **ابن هشام** ، ص ٦٥٣ ٠

(٦٨) **ابن سعد** ، الجزء الثانى ، ص ٥٧ ٠

(٦٩) **ابن هشام** ، ص ٦٥٤ ٠ **الطبرى** جامع البيـــان (القاهرة ، ١٩٥٤) ، الجزء الثامن والعشرون ، صص ٢٧ـ٤٠ ؛ **الزمخشرى** ، الكشاف ، الجزء الرابع ، صص ٧٩ـ٨٢ ٠ **البيضاوى** ، الجزء الثانى ، صص ٣٣٢ـ٣٣ ٠

(٧٠) القرآن ، سورة الحشر ، ١١ ٠

(٧١) **ابن هشام** ، صص ٦٥٣ـ٥٤ ٠

(٧٢) **الواقدى** ، الجزء الأول ، ص ٣٧٦ ٠

الفصل الرابع

فشل الأحزاب

« يبدو أن العناء والمشقة اللذين تقترن بهما محاولة نقد الآراء التى تساق بلهجة التأكيد وكأنها حقائق لا يتطرق اليها الشك يزعجان النفس الانسانية لدرجة تجعل الرجال والنساء على استعداد لقبول أفظع الاتهامات الموجهة الى آبائهم وأجدادهم لتلافى المهمة المضنية التى تتمثل فى الاضطلاع بأنفسهم بتمحيص الشواهد » ٠

ج٠ كتسون كلارك G. Kitson Clark

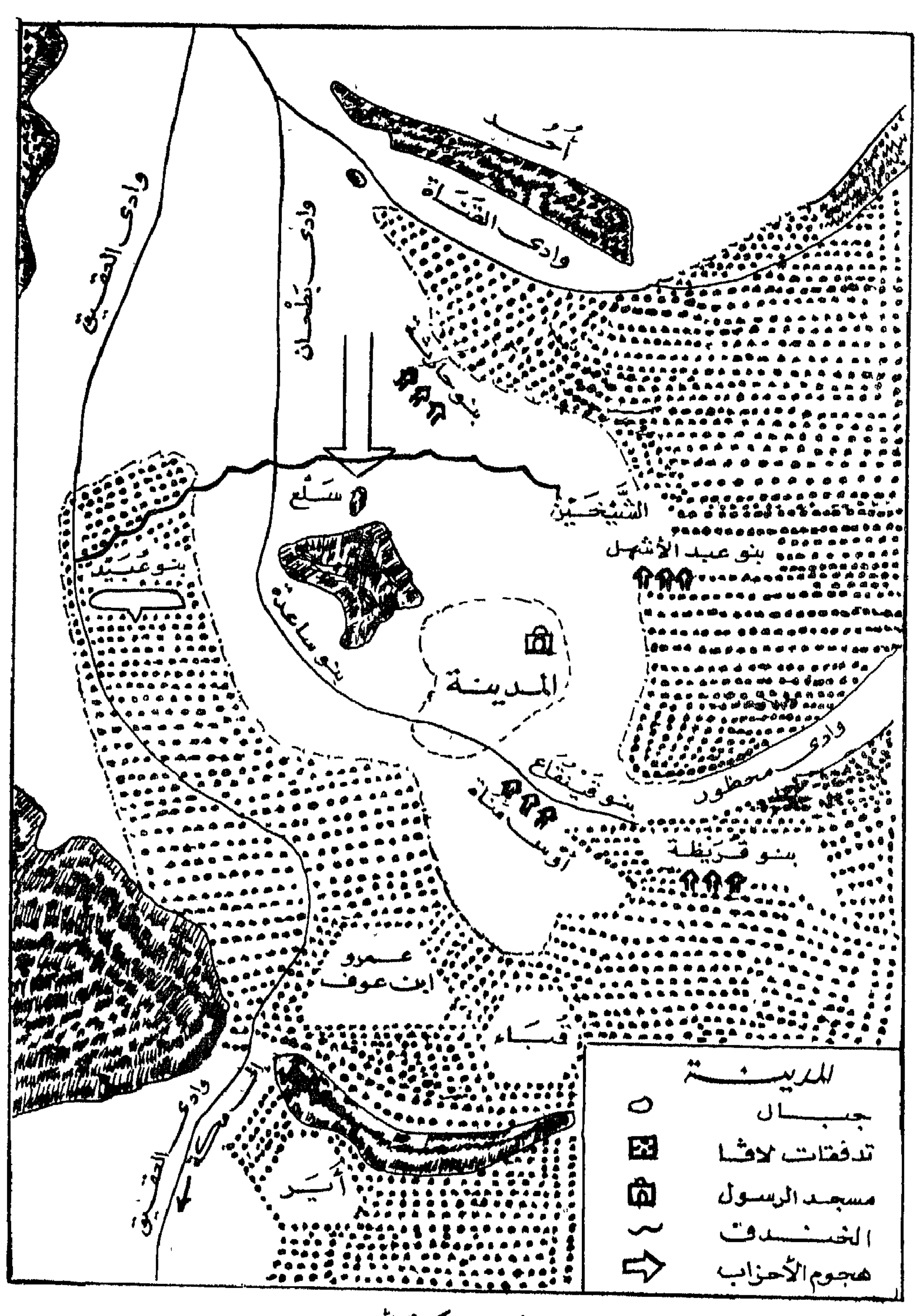
استقر بنو النضير ، الذين لم تخر قواهم رغم اجلائهم ولم تتضعضع معنوياتهم رغم هزيمتهم ، فى خيبر بعد فترة قصيرة نسبيا ٠ ولابد أن زعماءهم تدارسوا الموقف بأكمله فى سلم خيبر وهدوئها ٠ ان الدين الجديد لم يكن يهدد أهل مكة وحدهم ، بل كان يهدد اليهود كذلك ٠ ولو ترك الأمر للمسلمين لضربوا ضربة جديدة فى الوقت الذى يختارونه ٠

ولم يكن باستطاعة اليهود وحدهم ولا باستطاعة أهل مكة وحدهم أن يقضوا على هذه الجماعة التى تتكون من أشخاص ان كانوا فقراء الا أنهم ملتزمون ، يدينون بولاء لا يهن لزعيم له عليهم سلطان مطلق ٠ وقرر بنو النضير أن يبعثوا بوفد الى مكة يتكون من عشرين من كبارهم وكان فى

هذا الوفد من الشخصيات البارزة سلام بن أبى الحقيق وحيى ابن أخطب وكنانه بن أبي الحقيق · وانضم الى الوفد عدد من زعماء بني وائل ،وهم بطن من بطون الخزرج ، كانوا على صلة وثيقة باليهود · ووصل هذا الوفد الى مكة فى صيف سنة ٥/٦٢٦ ودعا قريشا الى الانضمام اليهم فى هجوم شامل على المدينة للقضاء على الرسول ﷺ نهائيا · ورحبت قريش بدعوتهم الى قتال الرسول ·

ومن مكة قصد هذا الوفد الى غطفان ووجه اليهم نفس الدعوة وأبلغهم أن قريشا قبلتها · وعرض الوفد عليهم من باب الترغيب نصف محصول خيبر من التمر مقابل انضمامهم الى قريش (١) · وفى وقت لاحق عرض الرسول ﷺ ، الذى يبدو أنه علم بأمر هذا الاتفاق بين بنى النضير وغطفان ، على غطفان عرضا مشابها خلال غزوة الأحزاب ووعدهم بثلث تمر المدينة إن هم رجعوا مع تابعيهم (٢) ، لكن الأنصار لم يقروه على ذلك · واتصل اليهود كذلك بحلفائهم بنى سعد ، وهم بطن آخر من بطون الخزرج ، كما اتصلوا ببنى أسد وبنى سليم الذين قبلوا بدورهم دعوتهم لقتال الرسول (٣) ·

وبدأت الاستعدادات لشن هجوم مشترك على المسلمين بعد ذلك بقليل ، وبدأت قوات القبائل تتخذ طريقها الى المدينة فى أوائل فبراير ٩/٦٢٧ · ووصلت غطفان ووصل بنو فزارة فى قوة تتكون من ٢٫٠٠٠ رجل و ١٫٠٠٠ بعير تحت قيادة عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر · وأرسل بنو سليم كتيبة تتكون من ٧٠٠ مقاتل وأرسل كل من أشجع وبنو مرة (٤٠٠) مقاتل · ووصل مقاتلون من بنى سعد لا يعرف عددهم تحت قيادة طلحة بن خويلد · وسارت قريش تحت قيادة أبى سفيان بن حرب بن أمية فى قوة قوامها ٤٫٠٠٠ رجل و ١٫٥٠٠ بعير و ٣٠٠ فرس · وكانت القوة الاجمالية لجيش الأحزاب تبلغ نحوا من ١٠٫٠٠٠ مقاتل وأسندت قيادة هذا الجيش لأبى سفيان (٤) ·



المدينة فى زمن معركة الأحزاب

وحفر المسلمون خندقا يمتد من منطقة الشيخين الى جبل بني عبيد • وضرب الرسول ﷺ ، عسكره على راس جبل سلع ، وكان جيش المسلمين يتكون من ٣٫٠٠٠ رجل • وردت النساء والأطفال عن الجبهة الأصلية • وكان بنو قريظة في المؤخرة التي كانت مكشوفة (انظر الخريطة في الصفحة الآتية) • ويلاحظ « واط » أن قريظة لو هجمت من الجنوب على مؤخرة المسلمين لقضت على محمد قضاء مبرما (٥) • والحاصل أنه لم تقع آية عمليات عسكرية كبرى خلال الحصار • كما أن بني قريظة لم تتح لهم أيه فرصة للقيام بهجوم • ولم يكن في المدينة مئونة كافية وبدأ المسلمون يشعرون بالمسغبة (٦) • ونفد الطعام كذلك في معسكر العدو فان أبا سفيان لم يكن قد أعد العدة لحصار طويل • كان المسلمون أقل عددا ، يتضورون من الجوع ، وكانت مؤخرتهم مكشوفة • كانوا باختصار في موقف لا يحسدون عليه • وقد لخص القرآن الكريم حالتهم في آيتين من قوله تعالى :

(•• واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا • هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا) (٧) •

وأراد أبو سفيان أن يحرك الموقف فأرسل حيي بن أخطب الى بني قريظة يدعوهم للانضمام الى الأحزاب (٨) • ووافق زعيم قريظة كعب بن أسد على ذلك بعد شيء من تردد • وبنو قريظة هم الذين كان يعنيهم القرآن بقوله :

(الذين ظاهروهم من أهل الكتاب) (٩) •

وجاءت الأنباء للرسول ﷺ باتصال حيي بن أخطب ببني قريظة فارسل سعد بن معاذ وآخرين لاستجلاء حقيقة الأمر ، وذهب هؤلاء وتحدثوا الى بني قريظة وأكدوا ما سمعه

الرسول ﷺ • وأرسلت قريظة كشافا للاستطلاع فى المنطقة التى كانت أسر المسلمين موجودة فيها فقتلته صفية عمة الرسول ﷺ (١٠) •

لقد كانت معركة الأحزاب بالفعل حصارا كبيرا هاجمت فيه ثلاثة جيوش هى جيوش « قريش وغطفان وبنى قريظة » (١١) المدينة هجوما وصفه القرآن الكريم فى قوله تعالى :

(•• اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم ••) (١٢)

ويذكر ابن اسحاق أن الذين جاءوا من أسفل منهم كانوا قريشا وغطفان (١٣) • وكان هذا خطأ كلفهم تكلفة باهظة • وكان للأحزاب أن تطمئن الى قدرتها على الاستيلاء على المدينة • لكن الذى حدث هو أن الحصار الذى استمر قرابة الشهر لم تحدث فيه الا عمليتان : احداهما مبارزة فردية قتل فيها على عمرو بن عبد ود بن أبى قيس (١٤) ، والثانية هى ما ذكرناه من قتل صفية لكشاف بنى قريظة •

ولم تتح لجيش من الجيوش الثلاثة المهاجمة فرصة للقتال فى معركة مفتوحة • واشتد زمهرير الشتاء وعصفت الريح ووجد أبو سفيان أنه لا قبل للجيش بمواجهة الموقف فقرر رفع الحصار والانسحاب • وتبعته غطفان التى انسحبت الى منازلها • أما بنو قريظة فلم يكن بوسعهم أن يذهبوا مع من ذهب •

عندها استدار لهم المسلمون • وتحصن بنو قريظة بحصونهم وأغلقوها على أنفسهم • وتكررت قصة بنى قينقاع وبنى النضير القديمة لا لشىء الا لأن اليهود لم يتعظوا ولم يعوا الدرس رغم أنه كان درسا بسيطا : أن المسلمين اتبعوا استراتيجية جديدة وأن التحصن بالآطام لا يحمى من بداخلها من أسلوب المسلمين الجديد فى الحرب • وذهب الرسول ﷺ مع رجاله ، وحاصرهم الى أن استسلموا •

هذه ، الى حد كبير ، هي الرواية المعتمدة للواقعة كما رواها ابن اسحاق(١٥) والواقدى(١٦) وابن سعد(١٧) مع اختلافات طفيفة بينهم فى التفاصيل • وهذه هى الحقائق التى أسفرت عنها المصادر الاسلامية • وليست هناك شواهد تؤيد هذه الرواية فى المصادر اليهودية ولا فى المصادر المسيحية •

غير أن الحكم الذى صدر على بنى قريظة بعد استسلامهم، بالصورة التى رواها ابن اسحاق وغيره من كتاب المغازى ، حكم لا يقبله عقل عاقل وهو يختلف عما ورد بهذا الشأن فى القرآن •

ولعل من المفيد ، قبل ان نحلل مختلف الروايات المتعلقة بنزاع المسلمين مع بنى قريظة ، أن ندقق النظر فى كيفية معالجة ابن اسحاق للأخبار الخاصة بهذه القبيلة فى زمن الجاهلية •

ان أول ذكر لبنى قريظة ورد فى سيرة ابن هشام هو ذلك الذى يتعلق بحبرين من هذه القبيلة أشارا على تبع (فى القرن الخامس الميلادى) بعدم تدمير يثرب لأنها « مهاجر نبى يخرج من هذا الحرم من قريش فى آخر الزمان، تكون داره وقراره»(١٨)، وهى قصة من الواضح أنها كتبت من منظور التاريخ اللاحق • والاشارة الثانية الى بنى قريظة جاءت حين أخبر الأحبار اليهود ، بما فى ذلك أحبار بنى قريظة ، مشركى قريش بعد مبعث الرسول ﷺ أن « دينكم خير من دينه ، وأنتم أهدى منه وممن تبعه»(١٩) • والاشارة الثالثة تتعلق بالتحكيم الذى أحاله بنو النضير وبنو قريظة الى الرسول ﷺ وكان بنو النضير قد جروا على دفع نصف الدية المقررة بدلا من المائة وسق المعتادة من التمر الى بنى قريظة ولكن رسول الله ﷺ « جعل الدية سواء » (٢٠) •

ومن المحتمل ، استنادا الى هذه الاشارات الثلاث التى تسبق الرواية الاصلية لأحداث قضية بنى قريظة ، أن يكون ابن اسحاق قد تأثر بالأفكار التى كانت سائدة في عصره بشأن اليهود ، أى أنهم ، أو على الأقل أحبارهم ، كانوا يعرفون قبل مولد الرسول ﷺ أن نبيا سيبعث بين العرب وأن أحبارهم أخبروا مشركى قريش ، بالرغم من ذلك ، أن دينهم أفضل من دين الرسول ﷺ الذى يؤمن مثلهم باله واحد ٠ وقد أعطى ابن هشام الرواية التالية عن الموضوع كله :

حاصر الرسول ﷺ بنى قريظة خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وأيقنوا أن الرسول ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم ٠ عرض عليهم كعب بن أسد فى هذه المرحلة (٢١) ثلاثة بدائل :

١ ــ تصديق محمد كنبى مرسل والنجاة بأنفسهم ٠

٢ ــ قتل أبنائهم ونسائهم ومحاربة محمد حتى يحكم الله بينهم وبينه ٠

٣ ــ « الليلة ليلة السبت فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة » ٠

ولم يقبل اليهود أيا من هذه المقترحات وطلبوا من الرسول ﷺ أن يبعث اليهم أبا لبابه لاستشارته فى أمرهم ٠ ونصحهم أبو لبابه بالاستسلام ، لكنه أشار بيده الى حلقه اشارة تعنى الذبح ٠

ولما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله ﷺ ٠ وقالت الأوس : « يا رسول الله ، انهم موالينا دون الخزرج ، وقد فعلت فى موالى اخواننا بالأمس ما قد علمت » ٠ وسألهم الرسول : « ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ » ووافقوا فعين الرسول ﷺ سعد بن معاذ (٢٢) ٠ وطلبت الأوس من سعد أن يحسن فى مواليه (بنى قريظة) فأجاب سعد : « لقد

أني لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم » . وسمع بعض الأوس هذا القول فرجعوا الى دار بني عبد الأشهل ونعوا لهم مصرع رجال بنى قريظة قبل أن يصل اليهم سعد لما سمعوه من قوله : وسأل سعد الأوس والرسول ﷺ عما اذا كانوا يقبلون حكمه فأجابوا بنعم .

وعندها أصدر سعد حكمه بقتل الرجال ، وتقسيم الأموال ، وسبي الذرارى والنساء . ثم استنزل بنو قريظة وحبسهم رسول الله ﷺ بالمدينة في دار امرأة ، وحفرت خنادق في سوق المدينة ، وسيقوا اليه أرسالا فضربت أعناقهم في تلك الخنادق . وسأل بنو قريظة وهم يساقون أرسالا كعبا عما سيصنع بهم فأجاب :

« هو القتل ، فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله ﷺ » . وكانوا ست مئة أو سبع مئة ، والمكثرلهم يقول : كانوا بين الثمان مئة والتسع مئة » . وقالت عائشة التى حضرت المشهد انه لم يقتل من نسائهم الا امرأة واحدة وكانت تجلس معها حين هتف هاتف باسمها وأخذت وضربت عنقها . وقد اعتادت عائشة أن تقول : « فوالله ما أنسى عجبا منها : طيب نفسها وكثرة ضحكها وقد عرفت أنها تقتل » (٢٣) .

هذه هى رواية ابن اسحاق فلننظر فيها الآن بالتفصيل :

ان ابن اسحاق يبدأ القصة بداية قوية فيقول : « حدثنى الزهرى » (٢٤) .

ولكن القصة تتحدث **(أولا)** (٢٥) عن ظهور جبريل للرسول ﷺ و **(ثانيا)** عن أمر الرسول ﷺ بألا يصلى أحد العصر الا ببنى قريظة . وقد صلى بعض المسلمين العصر بعد العشاء الآخرة « فما عابهم الله بذلك في كتابه ولا عنفهم به رسول الله ﷺ . حدثنى بهذا الحديث أبى اسحاق بن يسار ، عن معبد بن كعب بن مالك الأنصارى » (٢٦) . ان قول

الرأى الذى فحواه أن ما قاله معبد بن مالك الانصارى لا ينهى رواية الزهرى وأن باقى ما رواه ابن اسحاق هو ايضا باسناد الزهرى لم ينقل فحسب مقولة كعب بن أسد التى هى من نسج الخيال ، بل نقل أيضا أحداثا ينفى بعضها بعضا ، وهذا رأى يصعب قبوله لان الزهرى مشهور بأنه من الثقات (٢٧) · وأقرب من ذلك الى الصواب أن نعتبر أن ابن اسحاق وان كان قد استمد بعض معلوماته من الزهرى أضاف تفاصيل ليس لها اسناد كاف ومصادره فى مثل هذه المناسبات ، كما سبق أن ذكرنا ، « لم تكن دائما شديدة الوضوح » (٢٨) ·

ثم ان اسناد ما تلا المقدمة من سرد حتى صدور حكم سعد بن معاذ اسناد مشكوك فيه (٢٩) ·

ان ابن اسحاق يخبرنا (**ثالثا**) أن الرسول ﷺ حاصر بنى قريظة خمسا وعشرين ليلة (٣٠) · لكن ابن سعد يقول أن الحصار لم يستغرق الا خمسة عشر يوما(٣١) · و **(رابعا)** أن اليهود حين أيقنوا أن الرسول ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم خاطبهم كعب بن أسد بهذه الكلمات :

« يا معشر يهود ، قد نزل بكم من الأمر ما ترون ، وانى عارض عليكم خلالا ثلاثا ، فخذوا أيها شئتم ، قالوا : وما هى ؟ قال : (١) نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم أنه لنبى مرسل ، وأنه للذى تجدونه فى كتابكم ، فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم ، قالوا : لا نفارق كلمة التوراة أبدا ، ولا نستبدل به غيره · قال : فاذا أبيتم على هذه (٢) فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج الى محمد وأصحابه رجالا مصلتين السيوف ، لم نترك وراءنا ثقلا ، حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، فان نهلك نهلك ، ولم نترك وراءنا نسلا نخشى عليه وان نظهر فلعمرى لنجدن النساء والأبناء · قالوا : نقتل هؤلاء المساكين ! فما

خير العيش بعدهم ؟ قال : فان ابيتم على هذه (٣) فان الليلة ليلة السبت ؟ وانه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد آمنونا فيها ، فأنزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة . قالوا : تفسد سبتنا علينا ، ونحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا الا من قد علمت ، فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ ! قال : ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازما » (٣٢) .

والذى يتضح على الفور مما تقدم هو أن البديل الأول الذى عرضه كعب بن أسد انما هو صورة لقصة ابن اسحاق المشكوك فيها المتعلقة بأحبار بنى قريظة الذين أخبروا تبعا بمبعث الرسول ﷺ (٣٣) . والمستفاد من خطاب كعب طبقا لصيغة ابن اسحاق أن اليهود كانوا يعرفون أن النبى ﷺ على حق وانه كان رسول الله حقا وصدقا (٣٤) ، ومع ذلك رفضوا ، عشية مصرعهم ، أن يقبلوه . وما فى هذا البديل الأول واجابة اليهود عليه من سذاجة تبعث على الابتسام لا يحتاج الى دليل . انهم اذا كانوا على يقين من أن محمدا كان دجالا وأبدوا بناء على ذلك استعدادهم للموت لكانوا أبطالا . وقد تبين لهم « انه كان نبيا وأصروا رغم ذلك على رغبتهم فى الموت فهذا يعنى أن القبيلة بأكملها قد أصابها الجنون . والبدهى هنا هو أن نبوة محمد « لم تتبين لهم » وأن ابن اسحاق وضع فى فم كعب ابن أسد ما «تبين له» هو .

والبديل الثانى انما يظهر جهل ابن اسحاق بقانون اليهود وبتاريخهم . ان المقترح فيه وهو أن يحارب رجال بنى قريظة الذين يتراوح عددهم بين ٦٠٠ و ٩٠٠ جيشا قوامه ٣٫٠٠٠ مقاتل عادوا ظافرين من معركة الأحزاب .

وبالرغم من أن هذا البديل كان يبدو عملا جنونيا من اهلاك الذات ، الا أنه كان هناك أمل طفيف فى نجاحه ، فقد كان المسلمون المنتصرون فى حالة سيئة (٣٥) . ولكن الموقف العام فى اليهودية هو أن الانتحار محرم تحريما مشددا ،

فقد جاء في سفر التكوين « واطلب أنا دمكم لأنفسكم فقط » (٣١) والمقصود هو تحريم الانتحار • ومحافظة الانسان على حياته تعتبر عند اليهود مهمة بدرجة يحظر معها على اليهودى التضحية بذاته ولو كان ذلك لمراعاة الأوامر والنواهى التى تقضى بها التوراة ، مع استثناءات ثلاثة تتعلق بالخطايا الكبرى أى القتل والزنا وعبادة الأصنام •

« والواقع أن كثيرا من علماء الدين يرون ، فيما يتعلق بالأمور الثلاثة التى يجب على اليهودى أن يضحى فى سبيلها بحياته ، أن عليه أن يعرض نفسه للقتل ولا يقترفها ، ولكن من المحظور عليه أن يتعمد ايقاع نفسه فى التهلكة»(٣٧) •

وقد وردت على هذا المبدأ استثناءات(٣٨) ولكن القاعدة العامة هى أن المرء وان كان عليه أن يحارب حتى الموت فمن المحرم عليه أن يقتل نفسه أو أن يقتل غيره • ولو أن هذه القبيلة التى كان فيها أحبار يهود استطاعت أن تحارب المسلمين كما حارب المدافعون عن قلعة « ماسادة » الرومان (سنة ٧٠ ميلادية)(★) لكبدت قوات المسلمين الجوعى خسائر فادحة ، ولكن معنويات اليهود المحاصرين كانت من السوء بحيث توقعت نصيحة كعب الانتحار لا النصر •

ان اليهود ، فى تاريخ الأضطهاد الدينى ، هم على الأرجح فئة الأقلية الوحيدة التى مارست ديانات كان على اليهود أو على أسلافهم أن يعتنقوها انقاذا لحياتهم مع بقائهم على الايمان بديانتهم فى السر • و « المرانوس » فى أسبانيا و « الشويتاس » و « جديدو الاسلام » هى بعض الحالات

(★) فى سنة ٦٦ ميلادية ثار اليهود فى فلسطين على الاحتلال الرومانى ثورة تحولت الى حرب • وأرسلت روما أربعة فيالق لقمعها ، واستولت القوات الرومانية على أورشليم سنة ٧٠ ، ونهب المعبد اليهودى واشعلت فيه النار ، واصبحت يهودا ولاية امبريالية لروما ، وقتل فى هذه الحرب ، طبقا للمصادر اليهودية ، مليون من اليهود ، واستبعد منهم مئات الالاف ، وشتت الباقون • وحاصرت القوات الرومانية قلعة « ماساده » ولم تستسلم القلعة الا سنة ٧٣ •

المعروفة ليهود ظلوا على يهوديتهم سرا رغم اعتناق ديانات أخرى (٣٩) • غير أن أحدا من بني قريظة في رواية ابن اسحاق لم يحاول أن ينقذ حياته بقبول الاسلام • وليس هناك خطأ جوهرى فى قبول أن يكونوا قد ماتوا ميتة الشهداء، ولكن هذا يبدو تحميلا للأمور فوق ما تحتمل • وقصتهم هذه تحمل أصداء من قصة شهداء نجران • لقد أمر امبراطور بيزنطة فى سنة ٧٢٣ ميلادية يهود آسيا الصغرى باعتناق المسيحية والا تعرضوا لأشد العقاب وأطاع كثير من اليهود هذا الأمر • وكانوا « يرون أن العاصفة لن تلبث أن تهدأ وأنه سيسمح لهم بالعودة الى اليهودية » (٤٠) • وقبل ذلك ، فى سنة ٦٥٤ ، قبل يهود طليطلة اعتناق المسيحية فى ظروف مماثلة (٤١) • ولهذا فان البديل الثانى لم يكن يتفق مع شرعة اليهود ولا مع ممارساتهم وهو قبل كل شىء عار عن كل منطق •

والاجابة على البديل الثالث الذى اقترحه كعب بن أسد لا تتمشى بدورها مع القانون اليهودى • لقد قال بنو قريظة فى رفضهم للقتال عشية السبت طبقا لرواية ابن اسحاق : « نفسد سبتنا علينا ، ونحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا الا من قد علمت ، فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ(٤٢)! وهذه الاجابة ان كشفت عن شىء فعن سطحية الطريقة التى يعالج بها علماء المسلمين مسائل اليهودية عادة ، مما أثار شكوى « مارجوليوث » الذى يقول : « ان جامعى الحديث ومفسرى القرآن يظهرون جهلا ذريعا فيما يتعلق بالدور الذى لعبه اليهود » (٤٣) •

لقد أعلنت منذ ثورة المكابيين (١٥٧ ــ ١٣٥ق م) (★)

(★) هى ثورة مسلحة أعلنها اليهود على سياسة الاضطهاد والقمع التى اتبعها ملك سوريا اليونانى انتيوخوس الرابع الذى ألغى اعتراف سلفه بالأمة اليهودية وحول معبد أورشليم اليهودى الى معبد لكبير آلهة اليونان « زيوس » ، وسياسة محو الشخصية اليهودية واستبدال الشخصية اليونانية بها • وقد انتصرت الثورة اليهودية التى قادها ماتياس المكابى وأولاده ، واستعاد اليهود استقلالهم •

قاعدة مؤداها أن الحفاظ على الحياة أهم من مراعاة السبت » (٤٤) وأن من المسموح به خرق كل قوانين السبت أو حتى يوم الكفارة من أجل الواجب المقدس ، واجب الحفاظ على الحياة (٤٥) ·

والاشارة الى المسخ (كقردة) تنطوى ، كما هو واضح، على خطأ زمنى تأثر فيه ابن اسحاق بأقوال مفسرى القران فى عصره ، فقد استخدمت كلمة « القردة » فى القرآن استخداما مجازيا يفيد أنهم أصبحوا رجالا مذمومين مستذلين (٤٦) · وليس فى الكتابات اليهودية آية اشارة الى مسخ اليهود قردة لأنهم لم يحترموا قداسة يوم السبت · ومجاهد بن جبر (المتوفى سنة ١٠٢ / ٧٢٠) ، الذى يعتبر واحدا من أهم مفسرى القرآن ، وكان تابعيا ، لا يعتقد فى مسخ اليهود يدنيا الى قردة (٤٧) ·

ومن المعقول أن نعتبر أن خطاب كعب الى بنى قريظة عشية استسلامهم خطاب صنعه الخيال أساسا أو حرفته الروايات اللاحقة · وقد أعطانا الواقدى صيغة أطول أدخلت عليها تحسينات (٤٨) · ويبدو أن ابن سعد أدرك استحالة مثل هذا الخطاب فأسقط الواقعة برمتها من روايته ·

(**خامسا**) بعد هذا الحوار الخيالى بين كعب بن أسد وبنى قريظة طلب هؤلاء من الرسول ﷺ أن يبعث اليهم أبا لبابة بن عبد المنذر لاستشارته · وسأل بنو قريظة أبا لبابة ، فى رواية ابن اسحاق ، لدى وصوله عما اذا كان على اليهود ان ينزلوا على حكم الرسول ﷺ فقال : نعم ، واشار بيده الى حلقه بما يعنى الذبح · وقال أبو لبابة : «فوالله ، مازالت قدماى من مكانهما حتى عرفت أنى قد خنت الله ورسوله ﷺ » (٤٩) · وينقل ابن هشام (لا ابن اسحاق) آيتين من القرآن عن زلة لسان أبى لبابة (٥٠) · والاستشهاد بهاتين الآيتين استشهاد فى غير محله · فالآية الأولى التى تقول :

(يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون) (٥١) ٠

لم تنزل في زمن غزوة الأحزاب بل نزلت بعد غزوة بدر (٢/٦٢٤) (٥٢) ، والآية الثانية التى تقول :

(وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم) (٥٣) ٠

تتعلق فيما يقول ابن هشام بتوبة الله على أبى لبابة وواقع الأمر أن هذه الآية نزلت بعد غزوة تبوك (٩/٦٣٠) وهى تشير الى المؤمنين صادقى الايمان الذين تخلفوا دون اذن (٥٤) ٠

(سادسا) يقول ابن اسحاق انه فى صبيحة اليوم الذى نزل فيه بنو قريظة على حكم الرسول ﷺ تواثبت الأوس وقالوا : « يارسول الله ، انهم موالينا دون الخزرج، وقد فعلت فى موالى اخواننا بالأمس ما قد علمت » ٠ فلما كلمته الأوس بهذه الكلمات قال رسول الله ﷺ : « ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ » وحين وافقوا قال الرسول ﷺ : فذاك الى سعد بن معاذ » (٥٥) ٠

والواقدى (٥٦) وابن سعد (٥٧) يتحدثان آيضا عن نزول بنى قريظة على حكم الرسول ﷺ وعن تعيين سعد حكما ، غير ان ابن سعد يذكر رواية آخرى تقول انهم نزلوا على حكم سعد (٥٨) ٠

ويعطى البخارى (٥٩) ومسلم (٦٠) روايتين متعارضتين ، فأحدهما يقول أن بنى قريظة نزلوا على حكم سعد ، بينما يقول الآخر انهم نزلوا على حكم الرسول ﷺ وان الرسول رد الحكم فيهم الى سعد ٠

(سابعا) حين عين الرسول ﷺ سعدا كحكم آتاه قومه وقالوا : « أحسن فى مواليك ، فان رسول الله ﷺ انما ولاك

ذلك لتحسن فيهم » . فلما اكثروا عليه قال : « لقد أني لسعد آن لا تأخذه فى الله لومة لائم » . وحين سمع بعض الأوس هذا الكلام الواضح ذهبوا الى دار بنى عبد الأشهل (بطن الأوس التى ينتمى اليها سعد) وأعلنوا لهم موت بنى قريظة (٦١) ورواية الواقدى فى هذا الشأن شبيهة برواية ابن اسحاق (٦٢) . وقد أسقط ابن سعد قصة شفاعة الأوس عن بنى قريظة اسقاطا تاما ، غير أنه أشار الى دعاء سعد الى الله بألا يميته حتى يشفى صدره من بنى قريظة (٦٣) .

(**ثامنا**) وبعد هذا الاعلان عن مصرع بنى قريظة الوشيك لبنى عبد الأشهل ودعاء سعد بأن يشفى صدره من بنى قريظة ، وصل الحكم الى المكان وسأل الأنصار ، على ما يقول ابن اسحاق ، « عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ، أن الحكم فيها لما حكمت ؟ » فقالوا : « نعم » . قال : « وعلى من ها هنا ؟ » ونظر فى الناحية التى فيها رسول الله ﷺ وهو معرض عن رسول الله ﷺ اجلالا له ، فقال رسول الله ﷺ : « نعم » (٦٤) . والواقدى (٦٥) يروى رواية مماثلة ولكن ابن سعد يسقطها .

(**تاسعا**) حكم سعد بأن « تقتل الرجال (٦٦) وتقسم الأموال وتسبى الذرارى والنساء » (٦٧) .

(**عاشرا**) بعد أن صدر الحكم ، يقول ابن اسحاق ان عاصم بن عمر بن قتادة حدثه أن رسول الله ﷺ قال لسعد : «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة»(★)(٦٨) .

(**أحد عشر**) خرج رسول الله ﷺ الى سوق المدينة فخندق بها خنادق ثم بعث اليهم ، فضرب أعناقهم فى تلك الخنادق ، وكان عددهم بين ٦٠٠ و ٩٠٠ (٦٩) .

(★) الارقعة : السماوات ، الواحدة رقيع ـ (المترجم) .

ان التناقض الداخلي في الرواية السابقة تناقض لا يمكن توفيقه • وملخص رواية إبن اسحاق هو أن الرسول ﷺ كان قد اتخذ من قبل قرارا بشأن بني قريظة • وأن ابا لبابة كان على علم بهذا القرار وأنه لكونه كشف عنه فرض على نفسه عقوبة • وأن سعد بن معاذ تمنى أن يعيش حتى ينتقم من خيانة بنى قريظة ؛ وأنه حين اتصلت به الأوس قال انه لن تأخذه فى الله لومة لائم • وأنه كذلك هو نفسه الذى ذهب الى بنى قريظة قبل غزوة الأحزاب ، وحين أخبره اليهود أنه لا عهد بينهم وبين محمد ولا عقد « شاتمهم وشاتموه ، وكان رجلا فيه حدة ، فقال له سعد بن عبادة : دع عنك مشاتمتهم ، فما بيننا وبينهم أربى (★) من المشاتمة » (٧٠) • والحديث الذى رواه أبو سعيد الخدرى ، والذى أورده البخارى ومسلم حديث من الصعب جدا قبوله ، وهو يعنى أن بنى قريظة استسلموا بشرط أن يمين الرجل الذى شاتمهم مؤخرا وكان يدعو الله للانتقام منهم كحكم ، أى أنهم بعبارة أخرى كانوا يدعونه للحكم عليهم بالاعدام • ومن الملاحظ أن أول من روى هذا الحديث هو أبو سعيد الخدرى وأبو أمامة وكانا من الأنصار وأكثر ما يهمهما هو الاشادة بمنزلة سعد •

وهذا الحديث حديث شاذ واجمالى • وعبثا حاول ابن حجر أن يوفق بين تناقضه الظاهر وما قالته عائشة بذكر رواية ابن اسحاق (٧١) • وحين وصل سعد ليحكم فى شأن بنى قريظة كانت الأنباء عن اعتزامه الحكم عليهم بالاعدام قد وصلت الى دار بنى عبد الأشهل • ومع ذلك فانه يسير فى الاجراءات ويسأل الأوس عما اذا كانوا يقبلون حكمه •

والذى حدث هو أن هؤلاء القوم ذاتهم ، الذين سألوه أن يحسن الى بنى قريظة ، قالوا : نعم • ولم يتهموه

(★) أربى . أعظم — (المترجم)

بالظلم وبأنه لا يصلح كقاض محايد • وهو بعد ذلك يوجه السؤال نفسه الى الرسول ﷺ والرسول ، الذى كانت نيته معروفة لأبى لبابة الذى كشف عنها بدوره لبنى قريظة ، يقول نعم ، ان ما رواه ابن اسحاق لو كان صحيحا لتعين على المرء أن يستنتج أن حكم سعد كان معدا من قبل ، نعوذ بالله من ذلك • وكان « كايتانى » محقا حين تشكك فى كل الرواية المتعلقة باختيار بنى قريظة لسعد كحكم (٧٢) • والشواهد فى هذه القصة متناقضة بعضها ينفى البعض الآخر •

وليس مما يدخل فى مهمة المؤرخ أن يبدى رأيا بشأن قول محمد انه نبى مرسل • ولكن ايمان الأوس وسعد بن معاذ بنبوته حقيقة تاريخية ثابتة • والأوس ، فى رواية ابن اسحاق ، وكذلك جميع مسلمى المدينة الذين يدعى أنهم رأوا أبا لبابة مرتبطا فى المسجد الى عمود من عمده لأنه « خان الله ورسوله » (٧٣) وسمعوا سعدا يدعو الله للانتقام • شاهدوا هذه «العدالة الصورية»(★) ، ومع ذلك لا يبدو من رواية ابن اسحق أن أحدا منهم داخله شك فى أمرها •

ان الرواية التى رواها ابن اسحاق دون جمله التحفظية المعتادة مثل « زعم » أو « ذكر لى » أو ملاحظاته الختامية مثل « والله تعالى أعلم » شىء أقل ما يقال فيه أنه غير معتاد وهو لا يتفق مع معايير الحرص والاحتياط التى أخذ بها نفسه •

والواقعة المتعلقة بالعقوبة التى وقعها أبو لبابة على نفسه لا تناسب السياق كما رأينا ومن الواجب رفضها • ويقول « واط » بحق : « ان القصة كما بلغتنا لابد أن يكون قد حدث فيها تلاعب » (٧٤) • واختيار بنى قريظة لسعد كحكم شىء يأباه العقل • ان سعدا لم يكن عبد الله بن أبى ، وليست هناك حادثة واحدة فى حياته يتضح منها أن بنى

(★) نعوذ بالله من ذلك •

قريظة كان يمكن أن يعتمدوا عليه بالصورة التي كان بنو قينقاع يعتمدون بها على عبد الله بن ابي ، فضلا على ان ولاءه للرسول ﷺ ولقضية الاسلام كان لا يرقى اليه شك • ومقولة ابن اسحاق بأن الرسول ﷺ عين سعدا لحكم لا يؤيدها الواقدى وحده بل يؤيدها ابن سعد كذلك ، وهى مقولة لها ، قبل كل شىء ، حجية حديث البخارى الثانى وهو حديث مرفوع أخبرت به عائشة التي كانت شاهدة عيان للعملية كلها • ويبدو أنه أكثر اتفاقا مع ما ألف عن الرسول ﷺ • ونظرا الى عدم وجود قانون وضعى فى الفترة الأولى من اقامة الرسول ﷺ فى المدينة فقد اتبع صلوات الله عليه سياسة معاقبة المجرم بوساطة أقاربه وكانت هذه السياسة تستند الى مبدأين سليمين ، فهى تسمح أولا بتفادى حروب الثأر بين القبائل ، وهى تبين ثانيا أن الاسلام أهدر جميع الوشائج القبلية •

لقد كان سلكان بن سلامة بن وقش الذى تآمر مع محمد ابن مسلمة فى قتل كعب بن الأشرف آخا بالرضاعة لكعب(٧٥) • وقد قتلت عصماء بنت مروان التي كانت تحت رجل من بنى خطمة بيد عمير بن عدى الخطمى (٧٦) ، كما كان الذى قتل أبا عفك ، أحد بنى عمرو بن عوف ثم من بنى عبيدة ، هو سالم بن عمير أخو بنى عمرو بن عوف(٧٧) • قتل هؤلاء الثلاثة بيد أقاربهم بموافقة الرسول ﷺ لأنهم حاولوا احداث الوقيعة بين المسلمين والمشركين واذكاء الكراهية ضد الرسول ﷺ • وكان من الطبيعى ، والأمر كذلك ، اذا أريد محاكمة بنى قريظة ، أن يتولى محاكمتهم رجل من الأوس •

وقد أسقط ابن سعد بحذره المعتاد ما رواه ابن اسحاق والواقدى عن قول سعد : «لقد آنى لسعد أن لا تأخذه فى الله لومة لائم » كما أسقط طلب سعد الشكلى لعهد وميثاق من الأوس ومن الرسول ﷺ لقبوله حكمه ، وقصة شفاعة الأوس

لدى سعد عن بنى قريظه . وظاهر ان هذه الامور تحسينات أضيفت لرواية راو ولكن هذه التحسينات نزعت من هـذه الرواية صفتها كرواية تاريخية يعتد بها .

ماذا اذن عن الحكم الحقيقي ؟ يقول ابن اسحاق ان سعدا قال : « فانى احكم فيهم ان تقتـل الرجال » (٧٨) . وفى رواية آخرى يقول ابن اسحاق : « كان رسول الله ﷺ قد امر أن يقتل من بنى قريظة كل من أنبت منهم » (٧٩) . واسناد هذه الرواية هو عطيـة القرظى الذى كان غلاما فى وقت استسلام بنى قريظة . وكلا هـذين الخبرين مشـكوك فى مصدره . وكلمات الواقدى فى هذا الصدد هى : «فانى أحكم فيهم أن يقتل من جرت عليه الموسى » (٨٠) أما ابن سعد فقد روى القصة بصيغتين اتبع فى احداهما ما ذكره الواقدى(٨١) وقال فى الأخرى :« فحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم » (٨٢) . وقد روى البخارى روايتين عن الحادث قيل فى كلتيهما ان سعد بن معاذ استخدم كلمة « المقاتل » (٨٣) (لا كلمة من « أنبت ») . وهو يقول فى الرواية الأولى :

« تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم » (٨٤) .

أما فى الرواية الثانية فهو يقول :

« أن تقتل المقاتلة وأن تسبى النساء والذرية»(٨٥) .

كذلك وردت روايتان فى صحيح مسلم استخدمت فيهما نفس كلمة « مقاتل » التى استخدمها البخارى (٨٦) .

ان رواية ابن اسحاق الثانية التى تتحدث عن قتل كل من أنبت رواية يتعين رفضها أولا . فهناك اتفاق عام عـلى أن الرسول ﷺ لم يصدر أى أمر فى قضية بنى قريظة . والأمر بقتل كل الرجال لا يتفق مع الأحاديث التى أوردها البخارى ومسلم ولا مع رواية ابن سعد الثانية . ورواية الواقدى وان كانت أزهى ألوانا الا أنهـا غـير صحيحة . ولأن الشـيوخ لا يجوز قتلهم (٨٧) كان القتل قاصرا على المقاتلين .

ان ابن اسحاق يقول ان ما بين ٦٠٠ و ٩٠٠ رجل من بنى قريظة ضربت أعناقهم • وليس من المعروف كم كان عدد مقاتلى بنى قريظة جميعا • ولو افترضنا أن كل أسرة فى هذه القبيلة كانت تتكون من ستة أشخاص ـ وهذا متوسط منخفض ـ لكان عدد من استسلموا من الرجال والنساء والأطفال يتراوح بين ٣٫٦٠٠ و ٥٫٤٠٠ • ويقول ابن اسحق انهم قد حبسوا جميعا فى دار بنت الحارث وهى امرأة من بنى النجار وانهم قيدوا بالحبال • ان حبس أربعة الى خمسة آلاف شخص عملية تثير مشكلات كثيرة حتى اذا كان ذلك فى مدينة كبيرة فى زمننا هذا ، زمن الجريمة والشرطة والسجون • واذا صدقنا ما يقوله ابن اسحاق فلابد أن يثرب كانت مدينة على مستوى عال من التنظيم يمكن فيها اتخاذ ترتيبات لحبس هذا العدد الضخم من السجناء • كم من الحبال استخدم فى تقييدهم؟ وفى أية جهة كانت تقع دار بنت الحارث ؟ وهل قدم طعام للسجناء ؟ وأى ترتيبات صحية اتخذت لكل هذا العدد من الناس فى بلدة ليس فيها مراحيض وكان الناس فيها ، بما فيهم النساء ، يخرجون فى ظلام الليل لقضاء الحاجة ؟ (٨٨) ولم يحاول أحد من هؤلاء المساجين الهرب • ويبدو أن المسلمين لم يلقوا أية صعوبة فى حبس هؤلاء المساجين الوديعين • ثم يعود ابن اسحاق فيقول دون اسناد واضح : « ثم خرج رسول الله ﷺ الى سوق المدينة •• فخندق بها خنادق » (٨٩) •

استخدم ابن اسحاق كلمات «فخندق بها خنادق»(٩٠) • ولكن الواقدى أسقط هذه الكلمات واستخدم بدلا منها عبارة « فأمر بخدود » (٩١) • واطلاق كلمة « خدود » على الخنادق شىء يحمل على الشك فى طبيعتها (٩٢) ، لكن الواقدى ، كما هو واضح ، استخدمها لأن بعض مفسرى القرآن الكلاسيكيين يعتبرون أن « أصحاب الأخدود » (٩٣) كانوا نصارى نجران الذين أعمل الملك اليهودى ذو نواس فيهم القتل • وأغلب

الظن أن الواقدى كان على علم بدور يهود يثرب فى حفز يوسف ذى نواس على قتال نجران (٩٤) ٠

وكان على والزبير هما منفذى حكم الاعدام ، وقد أحضر السجناء « رسلا رسلا » أى فى مجموعات (٩٥) ٠ ويقول ابن اسحاق : « وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يذهب بهم الى رسول الله ﷺ أرسالا : يا كعب ، ما تراه يصنع بنا ؟ قال : آفى كل موطن لا تعقلون ؟ ألا ترون الداعي لا ينزع ، وانه من ذهب به منكم لا يرجع ؟ هو والله القتل ! » (٩٦) ٠

هؤلاء هم الأشخاص الذين نزلوا على حكم سعد الذى حكم على جميع الرجال البالغين بالقتل ٠ ويبدو من رواية ابن اسحاق أنهم لم يكونوا يعرفون شيئا عن هذا الحكم ٠ وأما المرأة التى كانت تجلس مع عائشة « ورسول الله ﷺ يقتل رجالها » وكانت تضحك ظهرا وبطنا فكانت تعرف أنها ستقتل ٠ وحين نودى فجأة على اسمها صاحت عائشة : « ويلك ، مالك ! » فأجابت : «أقتل» ٠ ويستطرد ابن اسحاق قائلا : « وكانت عائشة تقول : « فوالله ما أنسى عجبا منها : طيب نفسها ، وكثرة ضحكها وقد عرفت أنها تقتل » (٩٧)٠

ومات حيى بن أخطب ميتة الشجعان ورفض الزبير بن باطا القرظى أن يستفيد من العفو الذى صدر له ولذويه ٠

ان الأشخاص الذين جعلهم جبنهم يرفضون أن يقاتلوا يوم السبت، والذين طارت أنفسهم شعاعا بالرغم من شعورهم بالأمن فى حصونهم هم هم الأشخاص الذين واجهوا الموت بشجاعة الأبطال ٠ ولم يتخاذل واحد من الرجال التسعمائة ولا قبل الاسلام حتى فى ساعة الموت !

والمشاهد أن كل الملامح المألوفة فى قصص المذابح الدينية قد اجتمعت فى هذه القصة ولو أن الذى يحكى تفاصيلها هم فريق مرتكبى المذبحة ٠

١ ــ لقد كان عدد الضحايا فيها أقل كثيرا من عدد خصومهم (نجران ومسادة) ٠

٢ ــ وهم قد خسروا الحرب نتيجه لخيانة .

٣ ــ وهناك أشخاص يبرزون كأبطال (حيى بن أخطب والزبير بن باطا) .

٤ ــ وليس هناك من تخاذل ولا أشخاص دخلوا الدين الجديد مضطرين .

٥ ــ ولم يبق من الضحايا الا قلة ليحكوا تفاصيل ما ارتكب من فظائع .

وقصتنا ، مثل معظم قصص المذابح ، لا تسجل ما وقع كما وقع .

ان الجزء الأول من رواية ابن اسحاق يعطينا صورة لقوم ارتعدت فرائصهم يحاولون تفادى القتال بأى ثمن . أما الجزء الثانى منها فيرسم لنا صورة لأبطال ارتضوا ملاقاة الموت من أجل دينهم . ثم هذا حيى بن أخطب يقول للرسول ﷺ وهو يمشى وعليه حلة موشاة شقها عليه من كل ناحية لئلا يأخذها أحد كغنيمة : « أما والله ما لمت نفسى فى عداوتك ، ولكنه من يخذل الله يخذل » .

والتضارب في رواية ابن اسحاق لا يقف عند هذا الحد . لقد كان بنو قريظة يعيشون على مسافة تبعد ست أو سبع ساعات على الأقدام من المدينة (٩٨) . وقد استنزلوا بعد استسلامهم الى المدينة وحبسوا فى بيت من البيوت . وفى اليوم التالى حفرت خنادق فى السوق لدفن من ينفذ فيهم حكم الاعدام . ومن المستغرب على قائد حربى له ما للرسول ﷺ من خبرة ذكية بالاستراتيجية والخدمات (اللوجستية) ، ان يحضر قرابة خمسة آلاف أسير منهم تسعمائة لاعدامهم ــ طوال المسافة من مساكنهم الى المدينة وأن يدفن من نفذ فيهم حكم الاعدام فى قلب المدينة . لقد كان أفضل من ذلك بكثير وأكثر فاعلية وكفالة للأمن أن يتخلص منهم خارج حصونهم ، وألا تستنزل الى المدينة سوى النساء والذرارى ، وبهذا كان

يمكن حل مشكلة الأمن الذى يهدده وجود السجناء والحالة الصحية التى يخلقها وجودهم فى المدينة • واذا لم يكن هناك بد من احضار الأسرى الى المدينة سيرا على الأقدام فقد كان هناك خندق جاهز لدفن الموتى تم حفره خارج المدينة قبلها بأقل من شهر ، ولم يكن هذا الخندق بعيدا •

ونظرا الى أن الأسرى كان منهم النساء والأطفال والمسنون والمرضى فالمفروض أن سرعتهم فى السير الى المدينة كانت أبطأ بكثير من السرعة العادية وأن مسيرتهم استغرقت عشر ساعات الى احدى عشرة ساعة • ولم يحدث أى حادث يستحق أن يروى خلال هذه المسيرة الطويلة ولا خلال أسرهم فى دار بنت الحارث • ولم يحاول أحد منهم أن يهرب باستثناء عمرو بن سعدى القرظى ولم يقبل أحد الاسلام انقاذا لحياته باستثناء رفاعة بن سموأل القرظى • كان الجمع اذن جمعا وديعا ولكنه كان شجاعا فى الوقت ذاته ، وان صحت هذه القصة فان الشهداء الذين سقطوا تحت « بار كشبة » (سنة ١٣٢ م) أمام عدو يفوقهم عددا بكثير لم يكونوا شيئا اذا قورنوا بشهداء بنى قريظة •

ويبدو أن التصرف فى جثث القتلى البالغ عددها(٩٠٠) جثة لم يثر أية مشكلات وأن الخنادق التى حفرت بعناية امتلأت فى نفس الليلة •

ويبدو أن المسلمين الذين شهدوا مصارع القوم كانوا مجردين من كل شعور • ولابد أنها كانت تجربة مدمرة للكثيرين وحدثا لا ينسى حتى بالنسبة لمن كانوا يعتبرون أن ما وقع كان له تماما ما يبرره • ولابد أن أحداثا يتمزق لها نياط القلب قد حدثت خلال اليوم • ولابد أن بعض من صدر عليهم حكم الاعدام قد حاولوا المقاومة وأطلقوا سيقانهم للريح ، وأن آخرين قد صدرت منهم كلمات حسرة وتوبة • ولابد أنه كان هناك كثيرون لم يقتلوا من الضربة الأولى أو ماتوا من الرعب حتى قبل أن ينزل على رقابهم سيف الجلاد •

ولابد أن أسيافا انثلمت او انكسرت من ضرب الرقاب . ولابد أن عليا والزبير اللذين قاما بوظيفة الجلاد واجها مشكلات عديدة وشهدا جوانب عديدة للطبيعة الانسانية فى ذلك اليوم . ولكن لا على ولا الزبير ولا أى شخص فى الواقع ذكر شيئاً عن مشاعره ازاء عملية القتل هذه فى أى وقت من الأوقات .

ان التمحيص التفصيلى يثبت أن قصة هذه المذبحة بأكملها قصة لا تقف على قدميها . وكما لاحظ ابن خلدون «فالقانون فى تمييز الحق من الباطل فى الاخبار بالامكان والاستحالة» (٩٩) . وقد سبق أن ذكرنا أن المدينة فى زمن الرسول ﷺ لم يكن فيها مكان يسع أربعة الى خمسة آلاف شخص ، وأنها لم تكن مزودة بوسائل تسمح بتنفيذ حكم الاعدام فى (٦٠٠) أو (٩٠٠) شخص فى يوم واحد . وقد أثار قتل مثل هذا العدد الكبير من الناس والتصرف فى جثثهم مشاكل حتى فى ألمانيا النازية التى كانت مادة « سيانيد الهيدروجين » تستخدم فيها كعقار قاتل فعال (١٠٠) . والمذبحة التى تتم فى قلب مدينة مأهولة تختلف كثيرا عن تلك التى تتم فى مدينة عاث فيها فسادا جيش غاز يسير من مدينةالى مدينة مخلفا وراءه جثثا تجعلها غير قابلة للسكنى .

ويكاد يكون من المستحيل فى مثل هذه الظروف أن ينجو أهل المدينة من التيفود أو التيفوس ، وكلاهما مرض وباتى متوطن ، ومن الانفلونزا والاسهال وكذلك ، وقبل كل شيء ، من الكوليرا . وفيما يتعلق بجثث الموتى فان عدوى الامراض تنقلها الحيوانات والطيور التى تنهش بقايا الجثث ، لكن حتى اذا لم يكن هناك سوى الذباب ومع افتراض آن جميع الأشخاص الذين آلقيت جثثهم فى الخندق كانوا اصحاء فان انتشار الجراثيم ، لا سيما الجراثيم البكتيرية بعد الموت ، كان يشكل خطرا على الصحة فان الأصحاء قد يكونون حملة لأمراض خطرة مثل الالتهاب السحائى .

لقد لاحظ « واط » بصدد مناقشة عملية القتل الجماعى لبني قريظة ، تحت عنوان « القصور الأخلاقى المزعوم » الذى ينسب للرسول ﷺ :

« قد يبدو هذا شيئا يتعذر على الشخص الأوروبي تصديقه ، ولكن هذا فى حد ذاته يوضح البون الشاسع فى الأخلاقيات بين الجزيرة العربية فى العصور القديمة وبيننا » (١٠١) ٠

بيد أن آثر مثل هذا القتل الجماعي على المشاهدين وعلى الجلادين لا يتعلق بالقيم الأخلاقية قديمة كانت أو حديثة ٠ والضمير الانساني ، كما هو معروف لدارسى علم النفس ، قد لا تكون له آية صلة بالشعور بالواجب أو بالالتزامات السياسية والدينية ٠ ان الجلادين وحفارى القبور ومتعهدى الجنازات يتعاملون مع الموت فى المجرى العادى لحياتهم ويعتبرون أن مهنتهم مهنة شريفة وأخلاقية ، ومع ذلك فان معايشتهم المستمرة للموت تخلق عندهم معاناة ورعبا يسمى «بذنب الدماء»(١٠٢)٠ وليس فى مقدور أحد كائنا من كان أن يخرج من مذبحة أزهقت فيها أرواح ٦٠٠ الى ٩٠٠ شخص بأعصاب هادئة فى يوم واحد دون أن تهتز شخصيته ٠ وما كان يمكن لارث مذبحة لقى فيها كل هذا العدد مصرعهم أن يترك عليا أو الزبير يعيشون فى سلام٠ ورغم أن حياة الزبير ليست معروفة لنا بالكامل ، الا أننا نعلم الكثير عن حياة خليفة الاسلام الرابع ، وليس فى خطب على كرم الله وجهه ولا فى رسائله وأحاديثه السياسية وحكمه التى جمعت فى « نهج البلاغة » ما يستشف منه أنه مر بتجربة كتجربة القتل الجماعى المزعوم ٠ ولا يمكن ، كما يقول «ل٠ فيشيا فالرى» تجاهل تحرج على كرم الله وجهه من المعاملة بالمثل ، بين أوجه شخصيته الأخرى ، لفهم سيكولوجيته (١٠٣) ٠ لقد حاول على بعد انتصاره فى معركة الجمل أن يخفف من شعور المهزومين بمرارة الهزيمة ، فمنع سبى نسائهم وذراريهم

بالرغم من معارضة بعض اتباعه . وكان ، بعد أن تنتهي المعارك ، يظهر حزنه ويبكي الموتى ، بل ويصلي على أعدائه (١٠٤) . كان علي جنديا شجاعا ولكنه لم يكن جلادا متحجر القلب . وكان رفيقه في تنفيذ حكم الاعدام ، الزبير ابن العوام ، بدوره ، رجلا مشهودا له بالشهامة وقد اشترك في جميع المعارك والغزوات الكبرى في حياة الرسول ﷺ . ومجرد التفكير في ألا يكون قد ظهر على من يدعى أنهما نفذا هذه المذبحة المزعومة ، قبل الحدث أو بعده ، عرض من أعراض الشخصية التي فقدت انسانيتها أمر غير مقبول من وجهة النظر السيكولوجية .

ان كاتب التاريخ لابد أن يحسن العد (١٠٥) . وابن اسحاق والواقدي وابن سعد لم يكونوا قادرين على العد فحسب ، بل كانوا حريصين ، كلما كان ذلك ممكنا ، على مراجعة معلوماتهم . ولكنهم كانوا يكتبون بعد زهاء قرنين من الحدث ولم تكن تحت يدهم وسيلة تسمح بالتأكد من عدد من نفذ فيهم حكم الاعدام . والعدد الذي ذكره ابن اسحاق أي ما بين (٦٠٠) و (٩٠٠) عدد مهول بلا كسور .

ولم تكن هناك في ذلك الوقت طريقة لاحصاء أفراد القبائل ، ولم تستخدم لهذا الغرض شواهد غير مباشرة مثل أرقام الضرائب أي الخراج والجزية وسجل من كانت تدفع لهم معاشات من صحابة رسول الله ﷺ الا في عهد عمر .

وقد لاحظت « نابيه آبوت » (١٠٦) بصدد مناقشة عدد شهداء المسلمين في بئر معونة (٤/ ٦٢٥) أن ابن اسحاق قدر عدد الأشخاص الذين أرسلهم الرسول ﷺ الى بئر معونة بأربعين (١٠٧) . لكن ابن حنبل (١٠٨) والبخاري (١٠٩) قدرا هذا العدد بسبعين وهو العدد المقبول حاليا . غير أن ابن حبيب (١١٠) يقول ان من أرسلوا كانوا ثلاثين .

وحيث ان أفراد الجماعة كلهم قتلوا ولم يبق منهم على قيد الحياة سوى صحابي واحد فان عدد من قتلوا من الصحابة

فى بئر معونة ، وفقا لابن حنبل والبخارى ، تسعة وستين • على أن الواقدى لم يذكر الا ستة عشر •

ولم يعط ابن سعد أية قائمة بالأسماء ولكن حساب جميع العناصر التى وردت فى كتابه توصلنا الى عدد من القتلى لا يجاوز العشرين • أى أن هناك فرقا بين التقديرات يبلغ ٤٩ • وحتى اذا أخذنا فى الاعتبار الرقم المحافظ الذى ذكره ابن اسحاق فهناك مبالغة قدرها خمسون فى المائة •

وقد توصل « كيستر » ، الذى جمع كل ما هو موجود من روايات عن الحادث وحلله الى نتيجة مؤداها أن الرسول ﷺ قد أرسل مجموعة تتكون من أربعة عشر من أصحابه وأن أربعة رجال آخرين انضموا اليها فيما بعد (١١١) •

ويجد المرء نفس هذا الميل الى المبالغة بصدد اضطهاد اليهود لنصارى نجران الذين يحتمل أنهم عوقبوا على ما يدعى من خيانتهم خلال الغزو الحبشى الأول لمملكة اليمن اليهودية (١١٢) • لقد كان عدد الشهداء النصارى وفقا « لسيميون من بيت أرشم » الذى بلغه النبأ من « أولئك الذين أتوا من نجران » يبلغ ألفين (١١٣) • ويرى « بيل » أن عدد القتلى لو قدر بمائتين ، وهو « تقدير معتدل » ، لكان ذلك أقرب الى الصحة (١١٤) • ويعتبر « بارون » من المحتمل أن ما حدث فى نجران كان اضطهادا محليا صغيرا بولغ فى وصفه (١١٥) • ويقول « جراتز » ان ضخامة العنصر الأسطورى فى القصة كلها تجعل من المستحيل اكتشاف أية حقيقة تاريخية بشأنها (١١٦) • وتقول « نابيه آبوت » : « لعل الاجابة البسيطة هى رفض القصة باعتبارها مثلا آخر للظاهرة المعروفة التى تجعل الأعدادالتى يتناقلها الناس جيلا بعد جيل تتجه الى الزيادة وتتضاعف بمرور الوقت » (١١٧) •

ومن الأمور ذات الدلالة أنه لا البخارى ولا مسلم رويا أى حديث عن تنفيذ حكم سعد بصفة فعلية • ولأنهما لم

ينقلا خبرا عن كيفية هذا التنقيد فانهما لم يذكرا شيئا عن عدد من قتلوا أو أسروا ٠

ورواية ابن اسحاق التى تقول ان سبايا بنى قريظة من النساء والذرارى أرسلوا الى نجد لكي يبتاع بهم خيل وسلاح رواية تجافي العرف الذى كان متبعا (١١٨) ٠ لقد كان اليهود يشترون دائما سباياهم من العرب بعد كل اشتباك مسلح (١١٩) ٠ وكان يهود خيبر ، ويهود بني النضير ، ووادى القرى ، وتيماء ، بل يهود المدينة ذاتها قادرين على شراء هذه السبايا ، وقد شروهم بالفعل كما يقول الواقدى (١٢٠) ٠ والمسلمون ، اذا كان المال يهمهم على الاطلاق ، فانما كان يهمهم لشراء الخيل والسلاح ٠ ولم يكن هناك فرق عندهم بين بيع السبايا فى نجد أو فى خيبر ، بل ان بيعهم في الحجاز كان أيسر عليهم كثيرا من الرحيل بمثل هذا العدد الكبير من السبايا الى نجد ٠

وأخيرا يقول ابن اسحاق ان الرسول ﷺ قسم أموال بنى قريظة بين المسلمين « وأعلم فى ذلك اليوم سهمان الخيل وسهمان الرجال ، وأخرج منها الخمس ، فكان للفارس ثلاثة أسهم : للفرس سهمان ولفارسه سهم ، وللراجل — من ليس له فرس — سهم ٠٠ وكان أول فيء وقعت فيه السهمان ، وأخرج منها الخمس ، فعلى سنتها وما مضى من رسول الله ﷺ وقعت المقاسم ، ومضت السنة فى المغازى » (١٢١) ٠ وبالنظر الى الخلاف الكبير الذى ثار (فى عصر لاحق) بشأن حصة الفارس فى الغنائم فلرواية ابن اسحاق هنا أهمية كبرى لأنها تقرر سابقتين بشأن غنائم الحرب : حصة الفارس واجراء القرعة (السهمان) على الغنيمة ، أو اخراج الخمس ٠ وأبو حنيفة يعطى حصة للفارس وحصة للفرس ٠

أما الأوزاعى (المتوفى سنة ١٥٧/٧٧٤) فيعطى حصة للفارس وحصتين للفرس ٠ وقد بحث الامام الشافعى (١٥٠/٧٦٧ — ٢٠٤/٨٢٠) هذا الموضوع وذكر أكثر من

اسناد بشأنه دون ان يشير اليه اشارة الى رواية ابن اسحاق (١٢٢) • كذلك فان أبا يوسف (١٢٣) (المتوفى سنة ١٨٢/٧٩٨) ، وهو أحد مؤسسى مذهب الحنفية ، لا يذكر بدوره فى مصنفه « كتاب الخراج » المشهور عن المالية العامة والضرائب وما يتصل بها من مسائل ، حصة الفارس التى يقول ابن اسحاق انها حددت بعد هزيمة بنى قريظة •

أما فيما يتعلق بالخمس فأبو يوسف يقطع بأنه لم يخرج من أموال بنى قريظة (١٢٤) كذلك فان يحيى بن آدم(١٢٥)، حين كتب مصنفه « كتاب الخراج » بعد قرابة عشرين سنة من كتاب أبى يوسف ، لا يذكر بخصوص الموضوع نفسه شيئا على الاطلاق عن بنى قريظة •

والامام الشافعى وأبو يوسف ويحيى بن آدم ، الذين كانوا يجمعون الأحكام القضائية ، التى استند فيها الى السنة الصحيحة والسوابق المستقرة ، لم يكونوا يعتدون بما رواه ابن اسحاق أو بما جاء فى مادة القصص الشائعة فى يومهم (١٢٦) •

ان رواية ابن اسحاق للجزاء الموقع على بنى قريظة هى كم من الأقوال التى يناقض بعضها بعضا • ويصدق القول ذاته على ما يورده الواقدى وابن سعد • والقصة كما يرويها قصة لا يوثق بها لا فى الجوهر ولا فى التفاصيل • ومن حسن الحظ أن ابن اسحاق ترك بعض اشارات متفرقة تساعدنا على اعادة بناء الحدث وفقا للمعلومات التى وردت فى القرآن الكريم عن الموضوع •

ونظرا الى أن المؤلف المنحاز معرض أكثر من غيره لذكر الحقيقة عفوا فى اشاراته العابرة فلعلنا نستطيع أن نعتمد بصورة أكبر على الشواهد الواردة فى الشرح الآتى • ولما كانت « الثقافة العربية » فى الأساس ثقافة شفهية ، وكان

الشعر سجلها ووسيلتها لحفظ التراث (١٢٧) فيصح أن نلقي نظرة على الأبيات التي حفظها ابن اسحاق ولم يرفضها ابن هشام لشبهة أن تكون لغير من نسبت اليه ٠

ان أوار المعركة كان أغلب الظن مستعرا يوم قريظة الذى يبدو أن ابن اسحاق يعنى به آخر يوم من أيام حصارهم ٠ وقد قتل فى ذلك اليوم ثلاثة من المسلمين (١٢٨) ٠ وليس من المعروف كم من بنى قريظة لقوا مصرعهم فى المعركة ، ولابد أن القتال كان حامي الوطيس ، فقد قال حسان بن ثابت فيها :

لقد لقيت قريظة ماساءها
وما وجدت لذل من نصير
أصابهم بلاء كان فيه
سوى ما قد أصاب بنى النضير
غداة آتاهم يهوى اليهم
رسول الله كالقمر المنير
له خيل مجنبة تعادى
بفرسان عليها كالصقور
تركناهم وما ظفروا بشىء
دماؤهم عليهم كالغدير
فهم صرعى تحوم الطير فيهم
كذلك يدان ذى العند الفجور(١٢٩) ٠

وهزم المسلمون اليهود ونزل اليهود على حكم الرسول ﷺ ٠ وأسر فريق(١٣٠) منهم كان قد حارب ولكنه لم يقم بدور قيادى (١٣١) ٠ أما كبراء بنى قريظة فقد تركوا لحكم سعد بن معاذ ٠ وهناك اشارات تفيد أن الحكم على هؤلاء الكبراء تم فى ساعتها ٠ وقد ذكر السمهودى أن سعدا أحضر الى مسجد قريظة لا الى مسجد المدينة (١٣٢) ٠ ويستفاد من الحديث الذى أورده كل من البخارى ومسلم أن

سعدا ، الذى جرح جرحا مميتا فى المعركة ، ذهب الى مسجد وكانت خيمته قريبة من مسجد الرسول ﷺ فى المدينة فلم يحتج الأمر الى نقله اليه في حالته الخطرة تلك . وحكم سعد بقتل المقاتلة من بين الكبراء . ومن المحتمل أن كبار القوم كان منهم مسنون وأحبار لم يكونوا من المقاتلة .

ومن هنا جاءت كلمة « المقاتلة » . ولم يسق هذا الفريق الى المدينة ولكن ضربت أعناقهم (١٣٣) . وقد قتل الزعماء حيى بن أخطب ، وكعب بن أسد (١٣٤) ، ونباش بن قيس ، وغزال بن سموأل (١٣٥) بيد على والزبير (١٣٦) .

ووفقا للسياسة التى جرى عليها الرسول ﷺ بأن يتولى تنفيذ أحكام الاعدام عضو من القبيلة المتحالفة مع قبيلة الجانى ، سلم صغار الزعماء الى الأوس وسلم اثنان ممن صدر حكم عليهم الاعدام الى كل قبيلة أو بطن من قبائل الأوس أو بطونهم أى : (١) عبد الأشهل (٢) حارثة (٣) ظفر (٤) معاوية (٥) عمار بن عوف (٦) أمية بن زيد ، بحيث يتوزع دم بنى قريظة على القبائل والبطون (١٣٧) .

ان القيادة المسئولة لقبيلة تتكون من (٦٠٠) الى (٩٠٠) رجل ، لا سيما حين يكون بعض أعضائها قد قتلوا فى الميدان وتكون فئة منهم وقعت في الأسر لا يمكن أن تزيد فى الأحوال العادية عن ستة عشر أو سبعة عشر على نحو ما ذكرنا فى العرض السابق . وكان الذى اتخذ قرار مؤازرة الأحزاب بالتأكيد هم زعماء بني قريظة وكبارهم ، وما كان يمكن أن تؤخذ القبيلة كلها بجريرة زعمائها . وكان الرسول ﷺ نفسه ملتزما بمبدأ القصاص العادل الوارد فى القرآن الكريم والذى يقضى بأن « النفس بالنفس والعين بالعين » (١٣٨) . وكان هذا المبدأ كما أوضحنا من قبل (١٣٩) محل اتفاق بين المسلمين واليهود ، وقد ذكر في الصحيفة فى عبارة « لا يكسب كاسب الا على نفسه » وهى عبارة صريحة (١٤٠) .

والقرآن الكريم لا يذكر الا فريقين أنزل بهما العقاب : فريقا قتل وفريقا أسر · ومن سوء الحظ أن ابن اسحاق وغيره من كتاب المغازي لم يعنوا بتتبع أخبار بني قريظة ممن لم يوقع عليهم العقاب ، ومن الجائز أن بعضهم بقي وأن بعضهم الآخر ، كما ذكر جبل بن جوال الثعلبي ، «قد تحمل» أى هاجر :

ألا يا سعد بن معاذ
لما لقيت قريظة والنضير
لعمرك ان سعد بني معاذ
غداة تحملوا لهو الصبور (١٤١) ·

ان دور سعد بن معاذ في قصة بني قريظة بأكملها هو أهم دور · وقد أثارت مسألة تعيينه كحكم كما سبق القول أكبر قدر من الخلط والجدل · وكتاب السيرة عموما متفقون على أن الرسول ﷺ عينه حكما ارضاء للأوس · ومن روايتى البخارى ومسلم رواية تتفق مع ما قاله كتاب السيرة ، بينما تذهب الأخرى الى أن بنى قريظة نزلوا على حكم سعد بن معاذ · وما ذكر عن ظهور سعد بن معاذ على مسرح الأحداث كحكم يتعلق ، فيما يبدو ، بتفاصيل عن مركزه الشخصى ومنزلته · وحين دعا الرسول ﷺ معاذا ب « سيدكم » هل كان يعنى سيد الأنصار خاصة ، أم سيد المهاجرين كذلك ؟ وبأى وصف وصف الرسول ﷺ الحكم الذى نطق به سعد· هل شبه هذا الحكم بحكم الله سبحانه وتعالى أو بحكم ملاك أم بحكم ملك ؟ (١٤٢) اذا كان الجدل حول هذه الأسئلة يعطى فكرة عن الخلاف والاحتكاك اللذين حدثا بين المهاجرين والأنصار فمن المحتمل أن مغزى القصة كلها يكمن فى مكان آخر · ان النووى (المتوفى سنة ١٢٧٧/٦٧٦) يقول ما يأتي فى تعليقه على الرواية المتعلقة بحكم سعد فى صحيح مسلم : « قوله (نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ) فيه جواز التحكيم في أمور المسلمين وفي مهماتهم العظام ، وقد أجمع العلماء عليه ولم يخالف فيه الا الخوارج ·· واذا حكم

(الحكم) بشيء لزم حكمه ولا يجوز لهم الرجوع عنه ولهم الرجوع قبل الحكم » (١٤٣) ٠

وأبو يوسف هو الآخر يرى أن أهمية واقعة بنى قريظة انما تتحصل فى التحكيم وهو يوردها تحت اصول التحكيم (١٤٤) ٠ والمرة الوحيدة التى أصبح التحكيم فيها موضع خلاف بين المسلمين هي المرة التي عين فيها محكمون عن على وعن معاوية فى صفين ٠

وقد احتج الخوارج على التحكيم ولكن عليا لم يرفض اتفاق صفين ، وصدر التحكيم كما هو معروف لصالح معاوية ٠ ولا حاجة بنا هنا الى سرد الأحداث الرئيسية ولكن من الجائز أن الحديث المتعلق بحكم سعد على بنى قريظة قد دعم قضية الأمويين ٠ ولو أن هذه السابقة التى أريد تقريرها بحكم سعد كانت سابقة حقيقية لتحتم أن تظهر خلال النزاع الذى ثار بين على والخوارج ٠ وقد روى ابن عبد البر بالكامل مادار من مناقشة بين عبد الله بن عباس والخوارج بشأن موضوع التحكيم فى كتابه « جامع بيان العلم وفضله » (١٤٥) ، ولكن اشارة ما لم ترد عنده عن تعيين سعد كحكم فى تلك المناقشة فان القصة كما أوردها ابن اسحاق وآخرون لم تكن وقتها قد لفقت بعد ٠

ولنا أن نخلص مما تقدم الى أن حادثة صغيرة ذات أهمية ربما كان لسعد بن معاذ اصبع فيها بصدد التعامل مع بنى قريظة قد ضخمت تضخيما عظيما على يد جامعى الحديث من مؤيدى بنى أمية ٠ وبمرور الوقت ، حين أصبح الخلاف بشأن التحكيم مسألة عديمة الأهمية نظرا لثورة بنى العباس، جر النسيان ذيوله أيضا على الأسباب التى حدت الى استغلال هذه الحادثة الصغيرة كسابقة ذات شأن ٠

لقد حدثت واقعة بنى قريظة (١٤٦) قبل عقد صلح الحديبية وقبل اقرار السلام مع خيبر ٠ ومن المستحيل ـ لو أن ما روى بشأنها فيما بعد كان صحيحا ـ تصور أن تصمت

عنها ألسنة المشركين والمنافقين . لقد ندد الناس بخرق جحش للشهر الحرام واراقته الدماء فيه ، ونددوا بتحريق نخيل بني النضير ، ونددوا بتزوج الرسول ﷺ من زوجة ابنه بالتبني بعد طلاقها ، ودافع القرآن الكريم عن الرسول ﷺ في ذلك (١٤٧) . ومن المستبعد أن يكون اهتمام ناقدي الرسول ﷺ بأرواح قريظة ، اذا كانت قد أزهقت ، أقل من اهتمامهم بنخيل بني النضير .

واحتمال أن تكون أنباء هذه المذبحة المزعومة لم تصل الى الشام ، الذي كان يضم أورشليم وأذرعات اللتين كان يهود المدينة على صلة بهما ورئاسة الجالوت في العراق التي كانت تشملهم بسلطانها الديني ، احتمال ضعيف للغاية .

لقد وردت في الصحيفة أسماء سبع من القبائل اليهودية أصبحت جزءا من الأمة (١٤٨) . وابن اسحاق يعطينا اسمين آخرين(١٤٩) . ومن سوء الحظ أن كتاب المغازي والفقهاء وجامعي الحديث لم يسجلوا أية معلومات عن هؤلاء اليهود ولم يهتموا الا بالقبائل اليهودية الثلاث التي انضمت الى منافقي المدينة أو الى قريش مكة أو الى الفريقين معا في مناهضة الرسول ﷺ . وحتى هذا الاهتمام كان قاصرا على ما يتعلق بنزاعهم مع المسلمين . وما أن انتهى هذا النزاع حتى فقد هؤلاء الكتاب والفقهاء وجامعو الحديث اهتمامهم بالقبائل المذكورة هي الأخرى .

مراجع الفصل الرابع

(١) **الواقدى** ، الجزء الثانى ، ص ٤٤٣ ٠ **السمهودى** ، الجـزء الأول ، ص ٣٠١ (عبـارة الواقدى : « فجعلوا لهم تمر خيبر سـنة » وعبارة السمهودى : « على أن لهم نصف تمر خيبر » ـ (المترجم) ٠

(٢) **ابن هشام** ، ص ٦٧٦ ٠

(٣) **ابن هشام** ، ص ٦٩٩ ؛ **ابن سعد** ، الجزء الثانى ، صص ٦٥ـ٦٦ ٠

(٤) **ابن سعد** ، الجزء الثانى ، ص ٦٦ ٠

(٥) « **واط** » « محمد فى المدينة » ص ٣٩ ٠

(٦) **البخارى** ، صحيح ، باب غزوة الأحزاب ، الجزء الخامس ، صص ١٣٨ـ٣٩ ٠ **ابن هشام** ، قصتا التمر والشـاه ، صص ٦٧١ـ٧٢ ، وما قاله حذيفة عن الجوع ، ص ٦٨٣ ٠

(٧) القرآن سورة الأحزاب ، ١٠ـ١١ ٠ البخـارى ، ما قالته عائشة عن هذه السورة ، الجزء الخامس ، ص ١٣٨ ٠ ابن كثير ، تفسير القرآن الكريم ، الجزء الثالث ، صص ٤٦٩ـ٧٢ ٠

(٨) **ابن هشام** ، ص ٦٧٤ ٠

(٩) القرآن ، سـورة الأحزاب ، ٢٦ ٠ **ابن هشـام** ، ص ٦٩٣ ٠

(١٠) **ابن هشام** ، ص ٦٨٠ ٠

(١١) المرجع نفسه ، ص ٦٩٤ .

(١٢) القرآن ، سورة الأحزاب ، ١٠ ٠

(١٣) **ابن هشام** ، ص ٦٩٤ ٠

(١٤) **ابن هشام** ، ص ٦٧٨ ٠

(١٥) **ابن هشام** : صص ٦٦٩ـ٧١٣

(١٦) **الواقدى** ، الجزء الثانى ، صص ٤٩٦ـ٥٣١ ٠

(١٧) **ابن سعد** ، الجزء الثانى ، ص ٦٥ـ٧٨ ٠

(١٨) **ابن هشام** ، صص ١٣ـ١٥ ٠

(١٩) **ابن هشام** ، ص ٣٩١ ٠

(٢٠) **ابن هشام** ، ص ٣٩٦ ٠ ويقول ابن كثير ان بنى النضـير لم يكونوا يعاملون بنى قريظة كأنداد ، فاذا قتل رجل من بنى قريظة رجلا من بنى النضير فى نزاع كانت ديته (١٠٠) وسق من الحبوب ، أما اذا قتل رجل من بنى النضير رجلا من بنى قريظة فان ديته لم تكن تتجـاوز (٥٠) وسقا (الجزء الثانى ، ص ٦٠) ٠

(٢١) كان كعب بن أسد سيد بنى قريظة ٠

(٢٢) يضيف ابن هشام دون اسناد أن اليهود قالوا : « يا محمد ننزل على حكم سعد بن معاذ » ٠

(٢٣) الملخص المذكور يستند الى ما رواه ابن اسحاق ٠ **ابن هشام** ، صص ٨٤ـ٩٦ ٠

(٢٤) **ابن هشام** ، ص ٦٨٤ ٠

(٢٥) أعطينا لكل الوقائع فى قصة بنى قريظة أرقاما ٠

(٢٦) **ابن هشام** ، ص ٦٨٥ ٠

(٢٧) انظـر مقـال « ٠١ ٠١ » دورى « A. A. Duri » الزهيرى » ، الذى تنـاول هذا الموضـوع من جميع جوانبـه فى نشرة مدرسـة الدراسـات الشرقيـة والأفريقيـة ، BSOAS, Vol. IX, 1975, pp. 1-12 المجلد التاسع ، ١٩٥٧ ، صص ١ـ١٢ ٠

(٢٨) انظر المقدمة فى هذه الطبعة ، ص ٣٤ ٠

(٢٩) حادثة توبة الله على أبى لبابة استثنـاء أعطى ابن اسـحاق من أجله اسنادا وقد رويت عن يزيد بن عبد الله بن قسيط ٠

(٣٠) **ابن هشام** ، ص ٦٨٥ ٠

(٣١) **ابن سعد** ، الجزء الثانى ، ص ٧٤ ٠

(٣٢) **ابن هشام** ، صص ٦٨٥ـ٦٨٦ ٠

(٣٣) القصة كما رأينا من قبل فيها تجميل كتب من منظور التـاريخ الاسلامى اللاحق ٠

(٣٤) « ٠٠٠٠ فوالله لقد تبين لكم أنه لنبى مرسـل ، وأنه للذى تجدونه فى كتابكم ٠٠٠ » (من كلام كعب بن أسد) ٠

(٣٥) انظر أدناه ، الفصل السادس ٠

(٣٦) سفر التكوين ٩ : ٥ ٠

(٣٧) « الانتحار » دائرة معـــارف الديانة اليهوديـــة ، ١٩٦٥ ، ص ٣٦٧ ٠

(٣٨) **Roman siege of Masada, Josephus, The Jewish War,** Book VII Chapters 8-9.

حصار الرومان لماسادا « جوزيفوس » ، الحرب اليهودية ، الكتـاب السابع ، الفصلان ٨ـ٩ ٠ كذلك واقعة امرأة موسى ، انظر :

Abraham ibn Daud, Sefer ha-Qabbalah, **The Book of Tradition** tr. and ed. Gershon D. Cohen (Philadelphia, 1967), p. 64.

« **ابراهام بن داود** » ، صفر ها ـ قباله ، كتاب السنة ، ترجمـه وأعده للنشر جرشون د٠ كوهين (فلادلفيا ، ١٩٦٧) ، ص ٦٤ ٠

(٣٩) انـظر دائرة معـــارف جودايـكا تحت Crypto-Jews « اليهود المستترون » وكذلك تحت العناوين الفردية ٠

(٤٠) « **جراتز** » ، ص ١٢٣ ٠

(٤١) المرجع نفسه ، ص ١٠٣ ٠

(٤٢) **ابن هشام** ، ص ٦٨٦ ٠

(٤٣) « **مارجوليوث** » العلاقات بين العرب واليهود ٠٠٠ ، ص ٧١ ٠

(٤٤) « السبت » « Sabbath » ، دائرة معـارف الديانة اليهودية ، ص ٣٣٦ ٠

(٤٥) Berakhof 61 b, Mishnah Yoma 8-7.

« **براخوف** » ، مشناه يوما ٨ : ٧ ٠

(٤٦) (**ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنـا لهم كونوا قردة خاسئين**) القرآن ، سورة البقرة ، ٦٥ ٠

(٤٧) **ابن كثير** ، الجزء الأول ، ص ١٠٤ ٠

(٤٨) **الواقدى** ، الجزء الثانى ، صص ٥٠١ـ٣ ٠

(٤٩) **ابن هشام** ، ص ٦٨٦ ، **الواقدى** ، الجزء الثانى ، ص ٥٠٦ ، ابن سعد ، الجزء الثانى ، ص ٦٤ ٠

(٥٠) **ابن هشام** ، صص ٦٨٦ـ٨٧ ٠

(٥١) القرآن ، سـورة الأنفـال ، ٢٧

(٥٢) **ابن كثير** ، تفسير ، الجزء الثانى ، ص ٣٠١ ، وقد نزلت الآية بعد أن حاول حاطب بن أبى بلتعة أن يبعث رسالة الى قريش يخبرها فيها بما اعتزمه الرسول (ص) من الهجوم عليهم ٠ انظر أيضا **الطبرى** ، تفسير ، الجزء الثالث عشر ، ص ٤٨٠ ٠

(٥٣) القرآن ، سورة التوبة ، ١٠٢ ٠

(٥٤) كان أبو لبابة ، كما يقول ابن عباس ، أحد المؤمنين صادقى الايمان الذين تخلفوا عن غزوة تبوك باذن من الرسول (ص) ، وقد نزلت هذه الآية عن هؤلاء القوم ٠ **ابن كثير** ، الجزء الثانى ، ص ١٨٥ : **الطبرى** ، تفسير ، الجزء الرابع عشر ، صص ٤٤٧ـ٤٥٣ ٠

(٥٥) **ابن هشام** ، ص ٦٨٨ ٠

(٥٦) **الواقدى** ، الجزء الثانى ، صص ٥٠٩ـ١٠ ٠

(٥٧) **ابن سعد** ، الجزء الثانى ، صص ٧٤ـ٧٥ ٠

(٥٨) المرجع نفسه ، ص ٧٧ ٠

(٥٩) **البخارى** ، صحيح ، باب « مرجع النبى (ص) من الأحزاب » ، الجزء الخامس ، صص ١٤٣ـ٤٤ ٠

(٦٠) صحيح مسلم (لاهور ، بدون تاريخ) ، الحديث رقم ٢٤٥ ، والحديث رقم ٢٤٦ ، الجزء الثانى ، كتاب الجهاد ، صص ١١١٢ و ١١١٣ ٠

(٦١) **ابن هشام** ، صص ٦٨٨ـ٩ ٠

(٦٢) **الواقدى** ، الجزء الثانى ، ص ٥١٠ـ١١ ٠

(٦٣) **ابن سعد** ، الجزء الثانى ، ص ٧٧ ٠

(٦٤) **ابن هشام** ، ص ٦٨٩ ٠

(٦٥) **الواقدى** ، الجزء الثانى ، ص ٥١٢ ٠

(٦٦) فانى أحكم فيهم أن تقتل الرجال (بالعربية فى الأصل) ، **ابن هشام** ، ص ٦٨٩ ٠

(٦٧) **ابن هشام** ، ص ٦٨٩ ٠

(٦٨) **ابن هشام** ، ص ٦٨٩ ٠

(٦٩) المرجع نفسه ، صص ٦٨٩ـ٩٠ ٠

(٧٠) **ابن هشام** ، ص ٦٧٥ ٠

(٧١) انظر ص ١٣٧ من هذه الطبعة تحت الفقرة (سادسا) ٠

(٧٢) « **كايتانى** » « حوليات الاسلام » ، الجزء الأول ، ص ٦٣٢ ـ

(٧٣) **ابن هشام** ، ص ٦٨٦ ٠

(٧٤) « **واط** » ، « محمد فى المدينة » ، ص ١٨٨ ٠

(٧٥) **ابن هشام** ، ص ٥٥١ ٠

(٧٦) المرجع نفسه ، ٩٩٦ ٠

(٧٧) المرجع نفسه ، ٩٩٥ ٠

(٧٨) فانى أحكم فيهم أن تقتل الرجال (بالعربية فى الأصل) **ابن هشام** ، ص ٦٩٨ ٠

(٧٩) كان رسول الله (ص) قد أمر أن يقتل من بنى قريظة كل من انبت (بالعربية فى الأصل) المرجع نفسه ، ص ٦٩ ٠

(٨٠) فانى أحكم فيهم أن يقتل من جرت عليه الموسى (بالعربية فى الأصل) **الواقدى** ، الجزء الثانى ، ص ٥١٢ ٠

(٨١) **ابن سعد** ، الجزء الثانى ، ص ٧٥ ٠

(٨٢) المرجع نفسه ، ص ٧٧ فحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم (بالعربية فى الأصل) ٠

(٨٣) مقاتل (بالعربية فى الأصل) **راغب الأصفهانى** ، المفردات فى غريب القرآن (القاهرة ، بدون تاريخ) ، انظر تحت قتل (كلمة قتــل) بالعربية فى الأصل) ، صص ٥٩٣ـ٥٤ ؛ **ابن منظور** ، لســان العــرب ، (بيروت ، ١٩٥٦) ، الجزء الثانى ، ص ٥٤٧ـ٥٢ ٠

(٨٤) **البخارى** ، صحيح ، باب « مرجع النبى (ص) من الأحــزاب ومخرجه الى بنى قريظة ومحاصرته اياهم » ، الجــزء الخــامس ٠ ص ١٤٣ ٠

(٨٥) المرجع نفسه ، ص ١٤٤ ٠

(٨٦) صحيح مسلم ، الحديث رقم ٢٤٥ ، والحــديث رقم ٢٤٦ الجزء الثانى ، صص ١١١٢ و ١١١٣ ٠

(٨٧) لا تقتلوا الشيوخ والصبية والنســاء ، **أبو داود** ، كتــاب الجهاد ، الجزء الثانى ، ص ٣٤٢ ٠

(٨٨) تقول عائشة : « كنا لا نتخذ فى بيوتنا هذه الكنف التى تتخذها الأعاجم ، نعافها ونكرهها ، انما كنا نذهب فى فسح المدينــة » ٠ **ابن هشام** ، ص ٧٣٣ ٠ **والبخارى** بدوره يعطى رواية مماثلة عن عائشة ، باب « حديث الافك » الجزء الخامس ، ص ١٥٠ ٠

(٨٩) **ابن هشام** ، صص ٦٨٩ ٠

(٩٠) المرجع نفسه ، صص ٦٨٩ ـ ٩٠ ٠

(٩١) **الواقدى** ، الجزء الثانى ، ص ٥١٣ ٠

(٩٢) R. B. Serjeant, « Ukhdud », Bsoas, XXII (1959), p. 572.

ر٠ب٠سرجنت ، « أخدود » نشرة مدرســة الدراســات الشرقيــة والأفريقية ، المجلد الثانى والعشرون (١٩٥٩) ، ص ٥٧٢ ٠

(٩٣) **ابن كثير** ، الجزء الرابع ، صص ٤٩٤ـ٩٥ ٠

(٩٤) **عرفان شاهد** ، « شهداء نجران : وثائق جديدة » ، ص ٢٦٨ ٠

(٩٥) **الواقدى** ، الجزء الثانى ، ص ٥١٣ .

(٩٦) **ابن هشام** ، ص ٦٩٠ ٠

(٩٧) **ابن هشام** ، صص ٦٩٠ـ٩١ ٠ والواجب رفض القصة ، وهى قصة لم يقبلها لا البخارى ولا مسلم اللذان يخبران عن عائشة ٠

(٩٨) يقول ابن اسحاق ان المسلمين غادروا المدينة عند الظهر ووصلوا الى بنى قريظة بعد صلاة المغرب ٠ ابن هشام ، ص ٦٨٥ ٠

(٩٩) انظر : R. A. Nicholson, **A Literary History of The Arabs** (Repr. Cambridge, 1966), p. 438.

« ر٠ا٠ **نيكلسون** » تاريخ آداب العرب » أعيد طبعه فى كمبردج ، ١٩٦٦) ٠ ص ٤٣٨ ٠

(١٠٠) Raul Hilberg, ed. **Documents of Destruction : Germany and Jewry** 1933-1945 (Chicago, 1971), p. 219.

« **راول هيلبرج** » ، أعد للنشر « وثائق التدمير : المانيا واليهود ١٩٣٣ـ١٩٤٥ » ، « شيكاجو ، ١٩٧١) ص ٢١٩ ٠

(١٠١) « **واط** » ، « محمد فى المدينة » ، ص ٣٢٧ ٠

(١٠٢) Barbara Levy, **Legacy of Death** (Englewood Cliffs, N.J., 1974).

« **باربارا ليفى** » ، ميراث الموت ، (نيوجرسى ، ١٩٧٤) ٠

(١٠٣) L. Veccia Vaglieri, « **Ali B. Abi Talib** », Encyclopaedia of Islam (2) Vol. I, p. 835.

« **ل٠ فيكيا فاليرى** » ، « على بن أبى طالب » ، دائرة معارف الاسلام (٢) الجزء الأول ، ص ٣٨٥ ٠

(١٠٤) المرجع السابق ٠

(١٠٥) قول « جورج ليفيبر : « Georges Lefebvre » لكى ندرس التاريخ لابد أن نعرف كيف نعد ٠

Pour faire de l'histoire, il faut savoir compter, quoted by David Thompson **The Aims of History** (London, 1969), p. 84.

نقله دافيد تومسون ، « أهداف التاريخ » (لندن ، ١٩٦٩) ، ص ٨٤ ٠

(CF) عن ابن خلدون : « انها الرغبة العامة أو المشتركة لاحساس أو لادراك السهولة أو التحرر من التكلف ، ومعه يستطيع الانسان ذكر رقم أعلى والتغاضى أو اهمال المراجعين والنقاد ٠ » ، المقدمة ، ترجمة فرانز روزنتال (الطبعة المعدلة ، برنستون ١٩٧٠) ، ص ١٣ ٠

(١٠٦) Abbott, Nabia, Studies in Arabic Literary Papyri, I, I, pp. 76-77.

« **نابيه أبوت** » ، « دراسات للأدب العربى فى أوراق البردى » الجزء الأول صص ٧٦ـ٧٧ ٠

(١٠٧) ابن هشام ، صص ٦٤٨ـ٤٩ ٠

(١٠٨) **أحمد بن محمد بن حنبل** ، المسند (٦ أجزاء ، القاهرة ، ١٨٩٥) ، الجزء الثانى ، ص ١٩٦ ٠

(١٠٩) **البخارى** ، صحيح ، الجزء الثالث ، ص ٩١ ٠

(١١٠) Muhammad Ibn Habib, Kitab al-Muhabbar, (Hyderabad, 1942), p. 118.

محمد بن حبيب ، « كتاب المحبر » (حيدر أباد ، ١٩٤٢) ، ص ١١٨ ٠

(١١١) M.J. Kister, « **The Expedition of Bi'r Ma'unah** » Arabic and Islamic Studies in Honour of Hamilton A.R. Gibb. Ed. George Makdisi (Leiden, 1965), pp. 337-57.

« **م٠ج٠ كستر** » ، « غزوة بئر معونة » ، الدراسات العربية والاسلامية فى تكريم هاملتون أ٠ ر٠ جيب ، أعدها للنشر **جورج مقدسى** ، (ليدن ، ١٩٦٥) ، صص ٣٣٧ـ٥٧ ٠

(١١٢) تاريخ المذبحة غير متفق عليه ، انظر **عرفان شاهد** ، شهداء نجران ، صص ٢٣٥ـ٤٢ ٠

(١١٣) المرجع نفسه ، ص ٦٤ ٠

(١١٤) Richard Bell, **The Origin of Islam in its Christian Environment** (London ,1926) p. 38.

« **رتشارد بيل** » ، أصل الاسلام فى بيئة المسيحية » ، (لندن ، ١٩٢٦) ، ص ٣٨ ٠

(١١٥) « **بارون** » ، الجزء الثالث ، ص ٦٧ ٠

(١١٦) « **جراتز** » ، الجزء الثالث ، ص ٦٥ ٠

(١١٧) Abbott, Nabia, **Studies in Arabc Literary Papyri, I.** pp. 76-77.

« **أبوت** » ، دراسات للأدب العربى فى أوراق البردى ، الجزء الأول ، ص ٧٧ ٠

(١١٨) **ابن هشام** ، ص ٦٩٣ ·

(١١٩) المرجع نفسه ، ص ٢٥٣ ·

(١٢٠) **الواقدى** ، الجزء الثانى ، صص ٥٢٢ـ٢٤ ·

(١٢١) **ابن هشام** ، صص ٦٩٢ـ٩٣ · وقد روى الواقدى الخبر باستفاضة فى أكثر من أربع صفحات ، (الجزء الثانى ، صص ٥٢١ـ٢٢) · ولم يذكر ابن سعد شيئا عن أموال بنى قريظة ·

(١٢٢) الشافعى ، كتاب الأم ، الجزء السابع ، صص ٣٣٧ـ٣٤٢ ·

(١٢٣) **الخطيب البغدادى** ، تاريخ بغداد ، الجزء الرابع عشر ، صص ٢٤٢ وما بعدها · ابن خلكان ، رقم ٨٣٤ ·

(١٢٤) **أبو يوسف** ، كتاب الخراج ، (القاهرة ، ١٣٤٦ هـ) ، ص ٨١ ·

(١٢٥) أعلاه ، الفصل الثالث ·

(١٢٦) وفى هذا ما يؤيد الرأى السابق ابداؤه من أن الجانب الأكبر من رواية ابن اسحاق ليس مصدره الزهرى · وأبو يوسف كثيرا ما ينقل عن الزهرى فى هذا الكتاب ·

(١٢٧) A. A. Duri, « **The Iraqi School of History to The Ninth Century** -A Sketch « Historians of The Middle East. ED. by Bernard Lewis and P.M: Holt (London, 1962), p. 47.

« أ· ا· **دورى** ، » مدرسة التاريخ العراقية الى القرن التاسع ـ الخطوط العريضة » ، مؤرخو الشرق الأوسط ، أعده للنشر برنارد لويس ، و·ب·م· هولت (لندن ، ١٩٦٢) ، ص ٤٧ ·

(١٢٨) **ابن هشام** ، ص ٦٩٩ و ٧٠٠ ·

(١٢٩) **ابن هشام** ، ص ٧١٢ ، ترجمة « غليوم » ·

(١٣٠) **راغب** ، انظر تحت « فرق » « الجماعة المتفرقة عن آخرين » (بالعربية فى الأصل) ·

Edward William Lane, Arabic - English Lexicon (London 1863) Book I, Part 6, p. 2385, Fariq.

قاموس « ادوارد وليام لين » العربى ـ الانجليزى (لندن ، ١٨٦٣) الكتاب الأول ، الجزء ٦ ، ص ٢٣٨٥ « الفريق » : جماعة أزيد عدداً أو أكبر من « فرقة » ، أى جماعة ، قسم ، طائفة جزئية ، أو هيئة ، أو طبقة متميزة من النـاس ، ابن منظور ، الجـزء العاشر ، ص ٣٠٠ « الفرقة : طائفة من الناس والفريق أكثر منـه » ·

(١٣١) القرآن سورة الأحزاب ، ٢٦ (وتأسرون فريقا) ·

(١٣٢) **السمهودى** ، الجزء الثالث ، ص ٨٢٤ · بنى مسجد فى المكان الذى صلى الرسول (ص) فيه خلال الحصار ·

(١٣٣) القرآن ، سورة الأحزاب ، ٢٦ ، (فريقا تقتلون) ·

(١٣٤) **ابن هشام** ، ص ٦٩٠ ·

(١٣٥) **الواقدى** ، الجزء الثانى ، ص ٥١٦ ·

(١٣٦) **الواقدى** ، ص ٥١٣ ·

(١٣٧) **ابن هشام** ، ص ٥٥٤ ؛ **الواقدى** ، صص ٥١٥ـ١٦ ·

(١٣٨) القرآن ، سورة البقرة ، ١٧٨ (والصحيح المائدة ٤٥) ·

(١٣٩) أعلاه ، الفصل الثانى ·

(١٤٠) **ابن هشام** ، ص ٣٤٤ ·

(١٤١) **ابن هشام** ، ص ٧١٣ ، ترجمة « غليوم » ·

(١٤٢) انظر :

W. Montgomery Watt, « **The Condemnation of the Jews** of Banu Qurayzah » The Muslim World, XLII (3 July, 1952), pp. 160-171.

و « **مونتجمرى واط** » ، « الحكم على يهود بنى قريظة » ، العالم الاسلامى ، المجلد الثانى والأربعون (٣ يوليو ، ١٩٥٢) ، صص ١٦٠ـ ١٧١ ، للاطلاع على مختلف الروايات فى مسألة تعيين سعد كحكم · وعنوان مقالة « واط » المتعمقة مضلل وان لم يكن خطأ ؛ وهو يتناول جزئيا التهم التى وجهها كايتانى بأن الأحاديث حاولت أن ترفع عن محمد المسئولية المباشرة عن المذبحة « غير الانسانية » التى ارتكبت ضد بنى قريظة ، وهو ينظر جزئيا فى الطريقة التى تؤثر بها « طرق واستنتاجات » شاخت فى كتابه « أصول الفقه الاسلامى » على دراسة الحديث التاريخية · كذلك فانه لم يتحدث عن حكم سعد ، وعن تنفيذ هذا الحكم ولا عن الأحداث التى أدت الى « المذبحة » ·

(١٤٣) تعليق النووى على هامش صحيح مسلم ، الجزء الثانى ، صص ١١١٢ ـ ١٣ ·

(١٤٤) أبو يوسف ، كتاب الخراج ، صص ٢٣٨ـ٤٠ ·

(١٤٥) (القاهرة ، ١٣٢٠ هـ) ، صص ١٦٢ـ٦٣ ·

(١٤٦) **ابن هشام** ، صص ٤٢٣ـ٢٧ ·

(١٤٧) المرجع نفسه ، صص ٦٥٤ ·

(١٤٨) انظر الفصل الثانى فى تعريف « الأمة » فى سياق هذه الوثيقة ·

(١٤٩) أعلاه ، الفصل الثانى ·



الفصل الخامس

الصدام الأخير

... موقع التآمر على الاسلام فى خيبر » .
مكسيم رودنسون

زادت أهمية خيبر كثيرا بعد نفى بنى النضير من المدينة وهزيمة بنى قريظة، واستقر بنو النضير فيها بعد اخراجهم من المدينة ، وركزوا فيها نشاطهم الرامى للانتقام ممن أجلوهم عن المدينة . وقد أنذر الشاعر اليهودى « سماك » المسلمين بالثأر فى هذه الأبيات :

فعل الليـــالى وصرف الدهور
يديل من العادل المنصف(١)
بقتـــل النضـــير وأحلافهـــا
وعقـــر النخيـــل ولم تقطف
فان لا أمت نأتكـــم بالقنـــا
وكـــل حســـام معـــا مـــرهف
بكف كـــمى بـــه يحتمـــى
متى يلـــق قـــرنا لـــه يتـــلف
مع القـــوم صخر (٢) وأشـــياعه
اذا غـــاور القـــوم لم يضعف
كـــليث بشرج حمـــى غـــيله
أخـــى غابة هاصر أجوف (٣) .

عـــلى أن قبيلة صـــخر هزمت فى غزوة الأحـــزاب كمـــا أن بنى قريظة أخرجوا من المدينة وأعدم زعماؤهم بمن فيهم

كعب بن أسد وحيى بن اخطب زعيم بنى النضير وحمو كنانة ابن ربيع بن أبى الحقيق . ونشأ عن هزيمة الآحزاب التى جمعها زعماء اليهود بعد جهد دبلوماسى كبير موقف حرج للقيادة اليهودية . ونظرا الى ما منى به يهود المدينة من ضياع لنفوذهم وقوتهم ، أصبح لزاما على يهود خيبر أن ينقذوا ما يمكن انقاذه من هيبتهم وكذلك ، قبل كل شيء ، أن يجدوا وسيلة للتعايش مع قوة الاسلام الصاعدة .

وكان لديهم مزايا عديدة ، فقد كانت خيبر ــ بخلاف يثرب ــ دولة متجانسة من اليهود ، وكانت من ثم غير مقيدة بأحلاف العرب وخصوماتهم القبلية ، وكانت غنية ، ومعاقلها فى حالة استكفاء ذاتى ، وكان فى مقدورها أن تقاوم أى حصار مدة طويلة . وكان أمامها ، لكى تضمن بقاءها ، اما أن تتفاوض على الصلح مع الرسول ﷺ من مركز قوة أو أن تصبح دولة عسكرية مثل « اسبرطة » الاغريقية . ولو أن خيبر استهدت بدروس التاريخ لاتضح لها أن الاختيار الثانى كان اختيارا سيئا ، فان خطوط مواصلاتها لم تكن آمنة طوال الوقت ، كما أنه لم يكن هناك ما يضمن ألا تغير القبائل المعادية للاسلام موقفها ، خاصة وأن أهل مكة كانوا قد وقعوا معاهدة سلام مع الرسول ﷺ .

واستخدم أبو رافع سلام بن أبى الحقيق ، الذى خلف حيى بن أخطب ، ثروة بنى النضير دون حساب ولكن بحكمة لتأليب القبائل العربية المجاورة ، لا سيما قبيلة غطفان القوية ، على المسلمين ونجح فى نهاية الأمر فى حشد جيش كبير (٤) . وأرسل الخزرج بموافقة الرسول ﷺ نفرا بقيادة عبد الله بن عتيق لقتل سلام . وكان المسلمون يرون أن التخلص من هذا الزعيم سيسمح بتفادى اراقة الدماء على نطاق واسع .

وبعد اغتيال سلام أمرت اليهود اليسير بن رزام . وجمع ابن رزام القبائل اليهودية وقام فيها قائلا : « ما سار محمد

الى آحد من اليهود الا بعث احدا من أصحابه فأصاب منهم ما أراد ، ولكننى أصنع مالا يصنع أصحابى • يا معشر اليهود ، نسير الى محمد فى عقر داره » (٥) •

وأثارت الأنباء التى راجت عن نوايا اليسير مخاوف الناس فى المدينة فأرسل ﷺ عبد الله بن رواحة مع ثلاثة آخرين للوقوف على حقيقة الأمر • وعاد عبد الله بن رواحة الى المدينة وأكد الخبر •

ولما كان المسلمون غير راغبين فى الحرب وكانوا فى غم مما بدا لهم من اجحاف شروط الحديبية (٦) ، أوفد الرسول ﷺ عبد الله بن رواحة من جديد الى خيبر ولكن ، هذه المرة ، فى مهمة رسمية بصحبة ثلاثين شخصا وعرض عبد الله بن رواحة بالنيابة عن رسول الله ﷺ على اليهود الدخول فى مفاوضات •

وكان المسلمون على استعداد ، توصلا للصلح ، لأن يعرضوا على اليسير منصبا شرفيا كرئيس لخيبر كلها • ولآن كلا من الطرفين كان يرتاب فى الطرف الآخر ذهب اليسير الى المدينة فى ثلاثين من حرسه الخاص ، وكان الاتفاق يقضى بأن يكون كل مسلم مصحوبا بيهودى • على أن اليسير حين وصل الى القرقرة • وهى تبعد بنحو ستة أميال عن خيبر ، عدل عن رأيه بشأن المسير الى الرسول ﷺ • وفى ذلك الجو المشحون بسوء المظنة ، هم اليسير بانتضاء سيفه ، لكن عبدالله بن أنيس أدرك غرضه على الفور فهجم عليه وقتله (٧)

وكانت هذه الحادثة أمرا يؤسف له ، ولم يقل ابن سعد ولا ابن اسحاق ان الأمر كان خدعة • وما قاله الرسول ﷺ لعبد الله بن رواحة لدى عودته يوحى فى الواقع بأن الرسول ﷺ لم يكن يتوقع هذه الحادثة ، فقد قال له : « قد نجاكم الله من القوم الظالمين » (٨) • ولو أن اليسير اعتبر مع ذلك أنها خدعة لكان له بعض العذر • لقد كان عبد الله بن رواحة وعبد الله بن أنيس من الأنصار الذين سبق لهم أن قتلوا

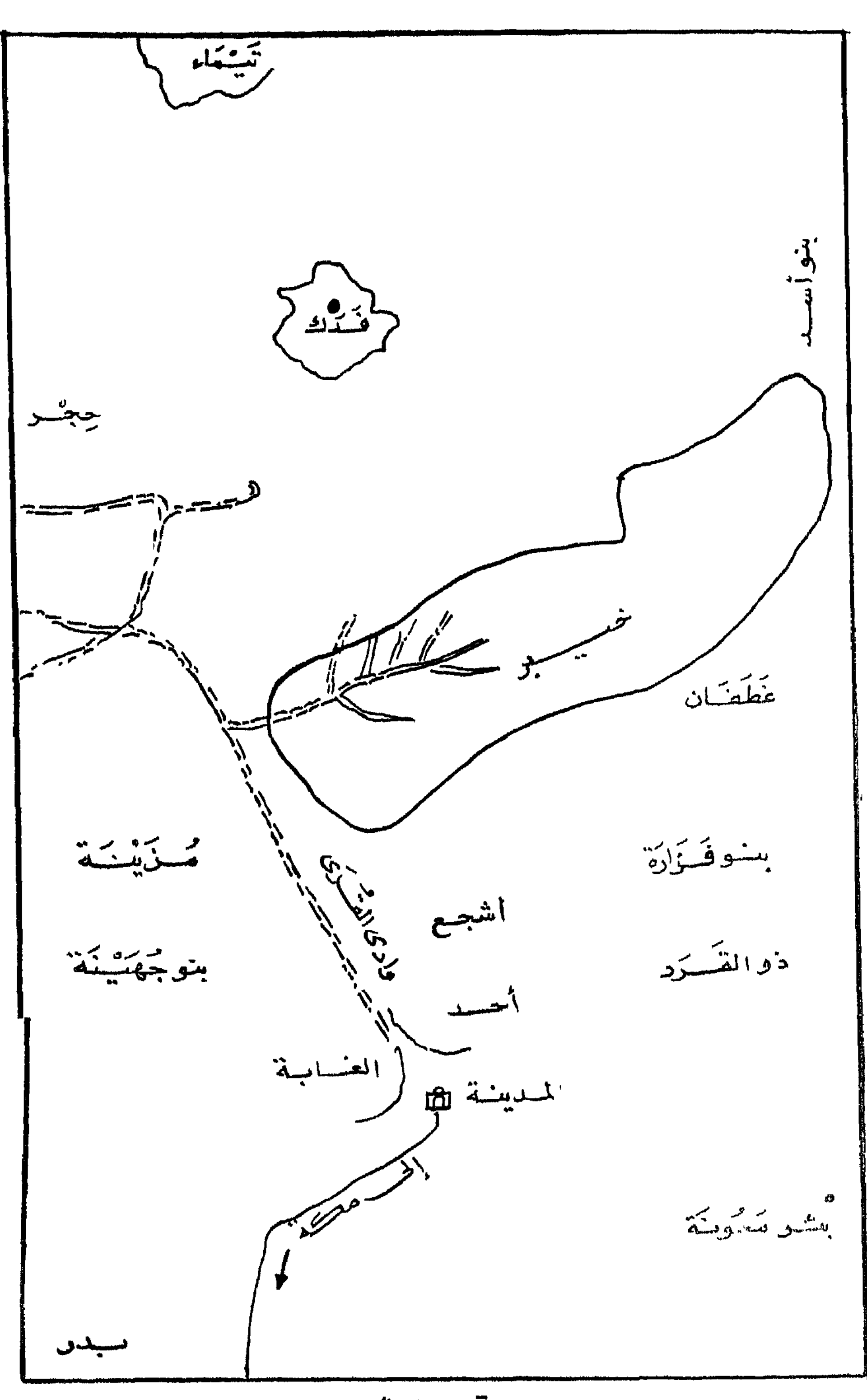
بالخديعة ، زعيمين يهوديين هما كعب بن الأشرف وأبو رافع سلام بن أبى الحقيق ٠

ولابد أن هذه الحادثة المؤسفة زادت من تأزم الموقف ٠ وكان اليهود فى تلك الأثناء فى مفاوضات نشطة مع غطفان لحثهم على الانضمام اليهم فى هجوم كانوا يزمعون القيام به على المدينة ، وكانت خيبر قد أصبحت نقطة تجمع للقوى المناهضة للاسلام ٠ وكلا الطرفين يتأهب لمعركة فاصلة ٠ وكان يهود خيبر متآلفين ، ذوى بأس شديد ، يشعرون بالأمان داخل حصونهم ٠ أما المسلمون فكانوا فى هم نتيجة لصلح الحديبية (٦/٦٢٨) ، ولم يكونوا يأمنون جانب المذبذبين فى المدينة ، وكانت تحدق بهم قبائل عربية لا تفتأ فى شك من هذه الرسالة وهذا الدين الجديدين ٠ وكان كل فريق يزن فرصه وينتظر ٠

على أن حادثة ذى قرد حسمت الأمر بالنسبة للمسلمين ولم يكن أمامهم بعدها مجال للاختيار ، بل كان عليهم أن يتصدوا فورا للموقف فى خيبر ٠ وقد وضع ابن اسحاق (٩) والواقدى (١٠) وابن سعد (١١) ذا قرد قبل الحديبية ، وواقع الأمر أنها حدثت قبل سير الرسول الى خيبر مباشرة ٠

وقد رواها الطبرى(١٢) عن سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمى الذى اشترك بنفسه فى هذه الغزوة ، وجعلها بعد الحديبية ، وفعل البخارى (١٣) مثل ذلك ، وسنده هو الآخر سلمة بن الأكوع وهو يضعها قبل خيبر بثلاثة أيام ٠ والذى حدث هو أن عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى فى خيل من غطفان أغار على ابل لقاح للرسول ﷺ بالغابة وقتل رجلا من بنى غفار كان مسئولا عنها ٠ واحتمل الفزارى زوجة هذا الرجل مع اللقاح ٠

والغابة مكان قريب من المدينة فى اتجاه الشام ٠ ومجازفة غطفان بالاغارة على مكان قريب الى هذه الدرجة



خيبر وموقع القبائل المعادية

من المدينة لم تكن عملا استفزازيا فحسب بل كانت كذلك نذيرا للمسلمين · وبدا ساعتها أن أى جهود أخرى للوصول الى تسوية سلمية مقضى عليها بالفشل · لذلك اتخذ الرسول ﷺ اجراء فوريا يهدف الى نقض الحلف الذى كان قائما بين يهود خيبر وغطفان ·

وسار الرسول ﷺ (محرم من سنة ٧ هـ ــ مايو ــ يونيو ٦٢٨) من المدينة الى خيبر عن طريق « عصر » وهو جبل بين المدينة ووادى الفرع فبنى له فيها مسجدا · ثم واصل مسيرته الى الصهباء وهو موضع بينه وبين خيبر روحة (*) ثم تقدم بجيشه وتوقف عند وادى الرجيع ليمنع أهل غطفان الذين زحفوا لامداد أهل خيبر بقوات · ولما سمعت غطفان بمنزل رسول ﷺ من خيبر جمعوا له ثم خرجوا ليظاهروا اليهود عليه « حتى اذا ساروا منقلة (★★) سمعوا خلفهم فى أموالهم وأهليهم حساء ظنوا أن القوم قد خالفوا اليهم، فرجعوا على أعقابهم فأقاموا فى أهليهم وأموالهم ، وخلوا بين رسول الله ﷺ وبين خيبر » (١٤) ووصل الرسول ﷺ الى خيبر ونظر اليها ثم دعا هذا الدعاء :

« فانا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها » (١٥) ·

وقضى جيش المسلمين الليلة فى خيبر · ويبدو أن الرسول ﷺ لم يكن يعرف حتى ذلك الوقت على وجه التأكيد ما اذا كان اليهود يريدون القتال حقيقة ولكنه تيقن من ذلك حين رأى استعداداتهم · واذا أخذنا موقع حصون خيبر والمستنقعات المحيطة بها ونخيلها والوديان التى توفر لها حماية طبيعية فى الحسبان لرجح لدينا أن هذه الغزوة كانت من الناحية العسكرية أشق غزوات الرسول ﷺ · غير أن

(★) الروحة · مسيرة ليلة ــ (المترجم) ·

(★★) المنقلة : مسافة ــ (المترجم) ·

ابن اسحاق لم يعط عن هده الغزوة للاسف الا تفاصيل قليلة والتفاصيل التى أعطاها أقرب الى حكايات القصاص منها الى المادة القابلة للبحث التاريخي · ورواية ابن اسحاق حافلة بالأسانيد (١٦) ·

وهو يبدأ اخباره بسلسلة طويلة منهـا لكن ما جاء فى روايته هو أن ابن الاكوع سئل أن يترجل من راحلته ويرتجز حداء ، وأن عبد الله بن عمرو بن ضمره الفزارى أخبر ابن اسحاق أن الرسول ﷺ نهى النـاس عن أكل لحـوم الحمر الانسية ، وأن سلام بن كركره أضاف أن الرسول ﷺ حين نهى الناس عن أكل لحوم الحمر أذن لهم فى أكل لحوم الخيل، وأن يزيد بن أبى حبيب أخبر ابن اسحاق عن أبى مرزوق مـولى تجيب عن حنش الصـنعانى أنه علـم من خطيب أن الرسول ﷺ قال : « لا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخـر أن يسقى ماؤه زرع غيره ، يعنى اتيان الحبالى من السبايا» ·

وكل هذه الاخبار وكثير غيرها أخبار فى غاية الأهميـة من وجهة نظر الشريعة الاسلامية ، وما كان يمكن أن تكـون لها قوة القانون ان لم تحمل اسنادا سليما · أما بقية المعركة فان كل ما جاء بشأنها تقريبا من أنبـاء خال من الاسـنـاد · ونمطها هو ذات النمط الذى وجدناه فى قصة بنى قريظة ولو أن ابن اسحاق وجد أى اسناد بشأنها لأورده ، لكنه لم يجـد اسنادا ما · وفى أكثر من ثلاث وعشرين صفحة من ترجمـة « وستنفلد » لسيرة ابن هشام لا يجد المرء مادة تستحق الذكر يمكن أن تعطينا بيانا معقولا عن الكيفيـة التى تسنى بهـا لجيش صغير مثـل جيش المسـلمين لم يكن مجهزا بمـعدات الحصار أن يفتح هذه الحصون المقامة عـلى ارتفـاع شاهق والتى كان يحميها قوم يستخدمون المجانيق ·

ويستخلص من حديث ابن اسحاق (١٧) ان أول ما وقع من الحصون كان حصن ناعم وأن محمودا بن مسلمة قتل عند هذا الحصن وهو يستريح ، وأن قتله كان برحى ألقاها عليه

كنانة بن الربيع بن ابى الحقيق · وكان فتح حصن القموص أصعب من فتح حصن ناعم وقد قتل قادة عديدون فى فتحه ، وقد فاقت الخسائر فى الأرواح من الطرفين خسائر بدر (٦٢٤/٢) ولكنها كانت أقل جسامة من خسائر أحد التى قتل فيها ٧٢ مسلما و ٢٢ من أهل مكة ، فقد قتل فى خيبر ١٩ مسلما (١٨) وجرح ٥٠ · وكانت خسائر العدو فى بدر ٧٠ من القتلى ولم يجرح أحد · أما فى خيبر فقد قتل من أهلها ٩٣ ·

وكان كلا الفريقين يعلم أن هذه المعركة على الارجح ستكون لمن تدور عليه الدائرة آخر المعارك ، فان الهزيمة ان حاقت بالصفوة المسيطرة لا تترك لها أية فرصة لاسترداد قوتها · وكان قد ظهر فى الحديبية منذ فترة قصيرة جدا مدى ضعف جماعة المسلمين الجديدة التى كانت تحاول أن تثبت قوتها (١٩) · وكان يهود المدينة ، وجميع القبائل العربية ، يتطلعون الى هزيمة هذه الجماعة الجديدة التى كانت تهدد نمط الحياة العربية بأكملها · وكانت هذه المعركة من أهم المعارك فى حياة الرسول ﷺ · وقد حارب اليهود فيها ببسالة على الرغم من أنهم لم ينجحوا فى توحيد صفوفهم تحت قيادة موحدة · وقاوم يهود خيبر المسلمين مقاومة شديدة بخلاف يهود المدينة الذين نكصوا عن القتال وألقوا السلاح دون أن يخوضوا معركة · وكان المسلمون يهجمون كل يوم ثم يرجعون دون فتح الى أن حقق على النصر للمسلمين وهو يرفع راية رسول الله ﷺ التى قدت من برد لعائشة (٢٠) ·

وقد استرد يهود خيبر ما ضيعه بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة ، بتحايلهم وجبنهم ، من شرف · وخرج مرحب من الحصن حاملا سلاحه وهو ينشد :

قد علمت خيبر أنى مرحب
شاكى السلاح بطل مجرب

أطعن أحيانا وحينا اضرب
اذا الليوث أقبلت تحرب
ان حماى للحمى لا يقرب
يحجم عن صولتى المجرب (٢١) .

وحين قتل مرحب بعد منازلة بطولية مع محمد بن مسلمة خرج أخوه ياسر يرتجز ويقول :

قد علمت خيبر أنى ياسر
شاكى السلاح بطل مغاور
اذا الليوث أقبلت تبادر
وأحجمت عن صولتى المغاور
ان حماى فيه موت حاضر(٢٢) .

ولم يهزم اليهود فى خيبر ، لكنهم وقعوا سلما تفاوضوا عليه مع المسلمين ، وقبله الرسول ﷺ . وما رواه كتاب المغازى بعيد الاحتمال وهو ، كما لاحظ « لامانس » ، غير صحيح (٢٣) .

وكان من نتائج المعاهدة أن حولت خيبر حلفها من بنى فزارة الى المسلمين . وكما يقول أبو هريرة ، الذى كان فى خيبر مع الرسول ﷺ (٢٤) متشكيا « افتتحنا خيبر ولم نغنم ذهبا ولافضة انماغنمنا البقر والابل والمتاع والحوائط »(٢٥) . وقوله هذا انما يصور حقيقة الموقف . ان يحيى بن آدم ينقل عن نافع قوله ان الرسول ﷺ أعطى خيبر أهلها بالشطر والنخل (٢٦) ورواية ابن اسحاق عن توزيع الغنائم تتفق من حيث المبدأ وباقى الروايات (٢٧) . غير أنه لم يكن هناك ، وهو ما ذكره أبو هريرة ، كنز مخبوء من الذهب أو الفضة (٢٨) .

ويذكر ابن اسحاق دون اسناد أن الحجاج بن علاط السلمى ذهب ، بعد أن تم « غزو » خيبر الى مكة يجمع ماله

الذى كان متفرقا بين تجارها، وكان قد أخذ من الرسول ﷺ « اذنا » صريحا فى ان يكذب ليجمع المال، ولدى وصوله الى مكة تجمع الناس حوله وسالوه عما فعله الرسول ﷺ فى خيبر فقال لهم الحجاج : « هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط ، وقتل أصحابه قتلا لم تسمعوا بمثله قط ، وأسر محمد أسرا » وأثلجت هذه الأنباء صدور المكيين فساعدوا الحجاج فى جمع ماله ٠

وقال الحجاج للعباس الذى أصابه الجزع لهذه الانباء بعد ان انتحى به جانبا : « لقد تركت ابن اخيك عروسا على بنت ملكهم ، يعنى صفية ، ولقد افتتح خيبر، وانتثل(*) ما فيها ، وصارت له ولأصحابه ٠٠ فان مضت ثلاث فأظهر أمرك ٠ حتى اذا كان اليوم الثالث لبس العباس حلة له ، وتخلق ، واخذ عصاه ، ثم خرج حتى أتى الكعبة ، فطاف بها ٠ فلما رأوه قالوا : يا أبا الفضل ، هذا والله التجلد لحر المصيبة ! قال : « كلا والله الذى حلفتم به ، لقد افتتح محمد خيبر وترك عروسا على بنت ملكهم ، وأحرز أموالهم وما فيها فأصبحت له ولأصحابه » (٢٩) ٠

ولا صحة لأى من قصتى الحجاج ٠

(*) انتثل استخرج ـ (المترجم) ٠

مراجع الفصل الخامس

(١) العادل والمنصف (بالعربية فى الأصل) · اشارة ساخرة الى الرسول (ص) ·

(٢) أبو سفيان ·

(٣) ابن هشام ، ص ٦٥٨ · ترجمة « غليوم » ·

(٤) ابن هشام ص ٧١٤ ؛ ابن سعد ، الجزء الثانى ، ص ٩٠ ·

(٥) الواقدى ، الجزء الثانى ، ص ٥٦٦ ·

(٦) انظر الفصل السادس لمناقشة المعاهدة ·

(٧) ابن هشام ، ص ٩٨١ · ابن سعد ، الجزء الثانى · ص ٩٢ ·

(٨) ابن سعد ، الجزء الثانى ، صص ٩٢ـ٣ ·

(٩) ابن هشام ، صص ٧١٩ـ٢٠ ·

(١٠) الواقدى ، الجزء الثانى ، صض ٥٣٧ـ٥٤٩ ·

(١١) ابن سعد ، الجزء الثانى ، صص ٨٠ـ٨٤ ·

(١٢) الطبرى ، صص ٥٩٦ـ٦٠٤ ·

(١٣) البخارى ، صحيح ، باب غزوة ذى قرد ، الجزء الخامس ص ١٦٥ ·

(١٤) ابن هشام ، ص ٧٥٧ · القصة كلها واردة بالتفصيل عند ابن اسحاق ، وكذلك عند ابن سعد صص ١٠٦ـ١١٧ ·

(١٥) ابن هشام ، ص ٧٥٧ ·

(١٦) المرجع نفسه ، صص ٧٥٥ـ٧٧٨ ·

(١٧) ابن هشام ، ص ٧٥٨ ·

(١٨) ابن هشام ، وابن سعد أوردا أسماء الصحابة الذين قتلوا (ابن هشام ، ص ٧٦٩ ، ابن سعد الجزء الثانى ، ص ١٠٧) ·

(١٩) انظر الفصل السادس ·

(٢٠) ابن سعد ، الجزء الثانى ، ص ١٠٦ ·

(٢١) ابن هشام ، ص ٧٦٠ ، ترجمة « غليوم » • وابن سعد ، الجزء الثانى ص ١١٠ يعطى صيغة أقصر •

(٢٢) ابن هشام ، ص ٧٦١ ؛ ابن سعد ، الجزء الثانى ، ص ١١٣ ولم ترد هذه الأبيات فى ابن هشام ، أو فى الطبقات الكبرى لابن سعد ، وانما وردت فى تاريخ الطبرى ، الجزء الثالث ، طبعة دار المعارف بالقاهرة • (المترجم) •

(٢٣) انظر الفصل التالى ، صص ١٩٧ـ٢٠٠ •

(٢٤) ابن سعد ، الجزء الرابع ، صص ٣٢٥ـ٣٤١ • محمود ابو رية ، أضواء على السنة المحمدية (القاهرة ، ١٩٥٨) ، ص ١٥٣ ، انظر أيضا :

G.H.A. Juynboll, **The Authenticity of the Tradition** Literature : Discussion in Modern Egypt (Leiden, 1969) for « the adala of Abu Huraira », pp. 62-99.

« ج•هـ•أ• جوينبول » ، صحة أدب الحديث : مناقشات فى مصر الحديثة (لايدن ١٩٦٩) عن « عدالة ابى هريرة » ، صص ٦٢ـ٩٩ •

(٢٥) البخارى ، صحيح ، كتاب المغازى ، « غزوة خيبر » ، الجزء الخامس ص ١٧٦ •

(٢٦) يحيى ابن آدم ، كتاب الخراج ، صص ٢٣ـ٢٥ •

(٢٧) ابن هشام صص ٧٧٤ـ٧٧٦ •

(٢٨) المرجع نفسه ، ص ٧٦٣ •

(٢٩) ابن هشام ، صص ٧٧١ـ٧٧٢ •

الفصل السادس

طبيعة النزاع ونطاقه

« ماذا يجدى القارىء أن ينتقل بين
الحروب والمعارك وحصار المدن
واسترقاق الشعوب اذا لم يتيسر له
النفاذ الى معرفة الأسباب التى جعلت
أحد الطرفين ينجح وجعلت الطرف
الآخر يفشل فى المواقف التى وقفها
كل منهما ؟ » ٠

« بوليبيوس » Polibius .

كان يهود الحجاز عشية الهجرة ، كما ذكرنا فى الفصل الأول ، نخبة متداعية ومجموعة تؤذن هيمنتها بالزوال ولكنها لم تكن تدرك ما لحقها من خسران ٠

وتبدل حال الجماعات البشرية ليس ظاهرة جديدة ٠ وكم من نخبة ذات صولة فى التاريخ ذهب ريحها وأصبحت أقلية خاضعة ! ٠ وقد يكون تبدل حال المجموعة مفاجئا وعنيفا كما قد يكون سلميا وتدريجيا ٠ وقد يساهم تغير الأوضاع الاقتصادية وتغير المهارات اللازمة لفرض السيطرة كاختراع البارود ، والثورة الصناعية ، واستبدال القوة الجوية بسيادة البحار كثيرا فى أفول نجم مجموعة من الناس تعذر عليها لسبب أو لآخر أن تلاحق موكب العصر الذى تعيش فيه ٠

وفى أواخر القرن الخامس كان اليهود يحكمون حمير آخر ممالك اليمن المتوالية ، وكان لهم الحول والطول فى يثرب ، كما كانوا يسيطرون على تيماء وفدك وخيبر ووادى

القرى على طريق القوافل الذى يمتد من الشمال الى الجنوب وبحكم ذى نواس (٥١٠ ـ ٥٢٥) الذى دارت فيه ، كما يقول « فيلبي » ، « أحداث من أفظع أحداث التاريخ » (١) انتهت مملكة سبأ اليهودية التي دامت قرابة قرن ونصف ٠

ويصبح ان يعتبر هذا بداية لافول نجم النخبة اليهودية المسيطرة ٠

وفى حوالى سنة ٥٢٢ خير ذو نواس نصارى نجران بين أمرين : الارتداد عن دينهم والاستشهاد ٠ ورفضت نجران قبول اليهودية فقضى عليهم ذو نواس بلا رحمة فى الأخدود (٢) ٠ وكان لهذه الأنباء أسوأ وقع فى العالم المسيحى ٠ نزل على آثرها جيش حبشى فى حمير وأعيدت « العربية السعيدة » من جديد الى حظيرة النصرانية ٠ وفى نفس الوقت تقريبا توحد الأوس والخزرج تحت زعامة مالك ابن عجلان القديرة ، وتحقق لهم فى النهاية التساوى مع اليهود بل السيطرة عليهم (٣) ٠ وتحولت المستوطنات اليهودية فى الحجاز التى أقيمت ، كما يقول « تورى » ، كمنشآت تجارية أساسا (٤) ، بالتدريج الى مزارع وحدائق نخيل ، وفقدت أطامهم التى بنيت فى الأصل لصد غارات البدو وظيفتها كمعاقل وحصون لحمايتهم من خصم كان تكتيكه يختلف كل الاختلاف عن تكتيك البدو المغيرين ٠ ولم يتمكن الأوس والخزرج عندما ذهبوا الى يثرب من أن يبنوا الا ثلاثة عشرة أطما ، بينما كان لليهود تسعة وخمسون أطما (٥) على أن الأوس والخزرج وغيرهما من القبائل كان لهم عشية الهجرة أكثر من ثمانين أطما (٦) ٠

وقد أضعفت حرب بعاث ، التى وضعت أوزارها قبل الهجرة بخمس سنوات ، كلا من الأوس والخزرج ٠ وكان للفرقة التى نتجت عن هذه الحرب أثر بعيد على تاريخ الاسلام الأول اذ أنها كانت من العوامل التى شجعت الرسول ﷺ على اللجوء الى يثرب ، وكما قالت عائشة رضى الله عنها :

« كان يوم بعاث يوما قدمه الله لرسوله ﷺ فقدم رسول الله ﷺ وقد افترق ملؤها وقتلت سرواتهم وجرحوا في دخولهم في الاسلام » (٧) ٠

وكان اثر هذه الحرب أسوا من ذلك بكثير على يهود يثرب ٠ لقد عانوا منها اولا باعتبارهم حلفاء للاوس وللخزرج ، وبنفس النسبة ، ما عاناه الفريقان العربيان المتحاربان ٠ ولكن هناك أثرا أخطر من ذلك بكثير هو انهم فقدوا كيانهم كمجموعة كان كلا الأوس والخزرج ينشدون تعضيدها ، وكانت تلعب دورا في غاية الأهمية في المحافظة على توازن ميزان القوى ٠

ولم يكن فقد النفوذ لدى قبائل يثرب المتناحرة هي الخسارة الوحيدة ٠ لقد وجد اليهود ، الذين يبدو أنهم كانوا يسيطرون على حياة يثرب الاقتصادية ، منافسا لهم في المجتمع التجارى الجديد ، مجتمع المهاجرين من ـ قريش مكة ـ الذين كانوا يشتغلون بالتجارة ٠ ألم يقل أبو هريرة حين انتقده البعض لكثرة ما ينقله من حديث عن رسول الله ﷺ :

« ان اخوانى من الأنصار كان يشغلهم عمل أرضيهم وان اخوانى من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق ، وكنت ألزم رسول الله ﷺ على ملء بطنى فأشهد اذا غابوا وأحفظ اذا نسوا » (٨) ٠

وما كان باستطاعة اليهود أن ينسوا أنهم كانوا أول من أقام في يثرب أو أنهم يمثلون حضارة راقية ٠ وما كان بوسعهم ، بالرغم من أن مركزهم السياسى والاقتصادى كان مهددا ، أن يقبلوا دعوة الرسول ﷺ على أساس آية :

(تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبدالا الله)(٩)٠

لقد واجهوا عند ظهور الاسلام ، للمرة الأولى في تاريخهم موقفا دعوا فيه للانضمام إلى أمة أوسع من أمتهم ، ليس تبعا لما

على قدم المساواة مع أفرادها ، لكن بشروط سخية • وكان بوسع الذاكرة اليهودية الجماعية أن تفكر في عبودية اليهود في مصر ، وفي عودتهم الى فلسطين ، وفي تدمير أورشليم ، وفي ثورة « باركوشبا » ضد روما سنة ١٣٢ (★) ، وفي مملكة حمير اليهودية ، وفي اضطهاد النصارى في نجران ، وفي اضطهادهم على يد هرقل ، وفي ثباتهم البطولي على عقيدتهم في ظروف لا تكف عن التدهور ، وفي دخولهم القسرى في المسيحية(١٠)• ولكنهم لم يدروا كيف يتصرفون أمام الموقف الجديد • ومن سوء الحظ أن يهود يثرب لم يقيض لهم في هذه الفترة الحاسمة رؤساء على مستوى عال من الحكمة والكفاءة ، فجانبهم الصواب •

كان حيي بن أخطب وكعب بن أسد يجسدان افلاس الزعامة اليهودية ولم يدرك اليهود تمام الادراك أنهم بسبيل فقد نفوذهم وسلطانهم ، وترتب على ذلك أنهم عجزوا عن تكييف أنفسهم وفقا لتبدل وضع جماعتهم بوصول الرسول ﷺ من جماعة مسيطرة الى جماعة غير مسيطرة • ومن سوء الحظ أن تضاؤل نفوذهم قد أوغر صدورهم وجعلهم في لهفة للانتقام واستعادة سلطانهم في المدينة ، ودفعهم الى التحالف

(★) باركوشبا يهودى ظهر فى فلسطين وادعى انه المسيح ، وانه من نسل الملك داود • ودعا اليهود والنصارى للثورة على الحكم الرومانى • وقد انضم اليه عشرات الالاف من اليهود ، وأما النصارى فلم يستجيبوا لندائه ، لانهم يعتبرون أن المسيح الذى يؤمنون به هو المسيح الذى بشرت به كتب العهد القديم من الكتاب المقدس • وأرسل الامبراطور الرومانى هادريان القائد يوليوس سيفردس الى الاراضى المقدسة لقمع ثورة اليهود فدخلها على رأس قوة من (٣٥) مقاتلا • وهزم باركوشبا القوة الرومانية التى كانت تفوق قواته عددا بكثير ، فقرر القائد الرومانى اتباع تكتيك الحرب الشاملة وأحرق كل شىء لم تكن فيه فائدة لجيوشه وأثخن فى الارض ، وقتل كل من اعترض طريقه من المقاتلين وغير المقاتلين ، رجالا ونساء وأطفالا ودابة • وبعد مجزرة رهيبة نكل الرومان فيها باليهود بلا هوادة ، وقضوا فيها على معظمهم استسلمت قوات باركوشبا وقتل باركوشبا نفسه فى المعركة ، وحرمت مدينة اورشليم وما كان فى الماضى فلسطين يهودا على فلسطين • وبنى الامبراطور هادريان على انقاض اورشليم مستعمرة رومانية اسماها « كولونيا ايليا كابتولين » ــ « المترجم » •

مع قريش مكة . ويقـول « مونتجمرى واط » فى هـــذا الصدد :

« لو أن محمدا نجح فى تنفيذ خطته لما كانت أمام اليهود فرصة لاحراز السلطة العليا . ومن الجائز أنهم كانوا قد ادركوا أن المهاجرين سيكون لهم على محمد ، بصفة فعلية ، نفوذ أكبر من نفوذ الأنصار .. اذ أن بعض الأنصار كان يأمل فى عقد حلف مع عبد الله بن أبى » (١١) . ولم يقتنع اليهود بضرورة التلاؤم مع الوضع الجديد حتى بعد أن خاب مسعاهم . ومن هنا ، كما يقول « جراتز » : « سخر خصـــوم محمد من اليهود مما كان يقوله أو ما كان يتلقاه من وحى وعاملوه باحتقار » (١٢) .

ان يهود يثرب يلخصون مأساة مجموعة من الناس فقدت مرساها . والتوترات التى كانت قائمة فى المدينة سنة ٦٢٧ ميلادية تصور أزمات هيكل اجتماعى لم يكونوا هم ســـوى جزء صــغير منــه . ونظرا الى أنهم كانوا قد اندمجــوا فى الأغلبية العربية فانهم لم يحتفظوا الا بالأشكال الخــارجية ليهوديتهم ، ولم يكن يميزهم عن سائر العرب سوى عقيدتهم التوحيدية وقوانينهم بالحــلال والحرام فى المآكل . وكان المفروض أن تتضاءل الفروق بينهم وبين باقى العرب أكثر نتيجة لعقيدة التوحيد عند المســلمين ولــكن البحوث أثبتت « أن المجموعات تصبح فى بعض الأحيان أكثر وعيا بتعارض هوياتها فى الوقت نفسه الذى يتضــاءل فيــه ما بينها وبين الجماعات الأخرى من اختلافات خارجية » (١٣) ولم يستجب اليهود للوضع الجديد بتغيير موقفهم وتنظيمهم الاجتماعى بل ارتدوا الى أساليبهم القــديمة المجــربة وأبرموا أحلافا جديدة مع العرب غير المســلمين ، ولم يتصــوروا أن ينتهى الأمر بانتصار المسلمين لا قريش . وكان من سوء طالعهم أن التغيرات الأساسية التى حدثت فى المجتمع الكبير من جهة وسمات الأقلية اليهودية من جهة أخــرى قد تقررت كنتيجة

لصفات اثنين من زعمائها هما : دعيب بن أسد وحيى بن أخطب ، وكان أحدهما ضعيف الشخصية مترددا ، والآخر مولعا بالدس والوقيعة ٠

ومتى كان الاضمحلال الاقتصادى يتم بالتدريج وكان لدى النخبة المضمحلة من الوقت والفرص ما يكفى لتأخير عملية الاضمحلال أو حتى لعكسها ، فان تطور فنون الحرب وعدم فهم طبيعة هذا التطور والتكيف أو الانسحاب وفقا لمقتضياته أمران فيهما الحتف الأكيد ٠ لقد دارت الدائرة على يهود يثرب وعجز يهود خيبر عن تحطيم قوة المسلمين الصغيرة التى هاجمتهم لأنهم ظلوا حتى النهاية لا يدركون أن آطامهم لم تعد تكفل لهم الحماية ٠

وكلمة أطم كلمة أصلها غير معروف بصورة يقينية ، ويقول علماء العرب انها كلمة عربية تعني العلو والارتفاع ٠ أما علماء اليهود فيقولون انها كلمة عبرية ، وأن الأطم هو حصن بنى فى مكان مرتفع ٠ وكانت توجد داخل الآطام مخازن وصوامع وقاعات اجتماع ومدارس ومعابد وخزائن وبيوت للسلاح ٠ وكان فيها أيضا ينابيع تزود الناس بماء الشرب ٠ وكان الناس يحتمون بالآطام من غارات البرد ٠ ولم يكن الأعراب المغيرون يملكون ما يلزم من المعدات والمؤن والصبر لفرض حصار طويل ٠ وكانت حروب العرب ذاتها أشبه بالمباريات القتالية التى كانت معروفة فى أوروبا فى العصور الوسطى ٠ تبدأ بهجاء للعدو وفخر بالذات ٠ وكان الهجاء عنصرا من عناصر الحرب لا يقل أهمية عن القتال الفعلى (١٤) ٠

وكان الشاعر يذم أعداءه ويقذفهم باللعنات ويشيد بأمجاد قبيلته ٠ وبالرغم من أن الثأر كان يمتد لفترات طويلة وأن الانتقام كان يتوارث جيلا بعد جيل فان المعارك لم تكن طويلة ولا متصلة ٠ لقد كانت حرب الفجار وحرب بعاث مثلا حربين طويلتين ولكن حلقاتهما كانت قصيرة ٠

وعلى عكس الحرب التى كان يمكن آن تنشب في أي وقت وان تدور فيها معركة حاسمة بين عشية وضحاها كان الحصار يحتاج الى أعداد طويل • وتقدير قوة أى مكان حصين مسألة ليست سهلة والخطأ فى تقدير هذه القوة قد يكون وبالا على مرتكبه ، والتاريخ حافل بمثل هذه الأخطاء ذات التكلفة الباهظة •

وأهم عامل ــ بل العامل الحاسم ــ في أى حصار هو قدرة كلا الطرفين على التصميم وعلى التحمل •

« وهاتان الصفتان لازمتان بوجه خاص لدى الطرف الذى يفرض عليه الحصار • ويجب أن يكون هذا الطرف مؤمنا بعدالة قضيته ايمانا راسخا وأن يكون على يقين من احراز النصر فى نهاية الأمر • وقد يكون للخوف من الهزيمة دور كبير في شحذ عزيمة المدافعين •• وأثناء الحصار تبرز أفضل وأسوأ الصفات عند من يتحملونه»(١٥) •

والحصار يختلف عن أية حرب عادية ، فالمحاربون من الطرفين فى الحرب العادية معظمهم من الجنود • أما فى الحصار الذى ليس حصارا لحامية عسكرية فان أغلبية من يتعرضون له تتكون من الرجال والنساء والأطفال غير المحاربين ممن يسهل تحطيم معنوياتهم وانضباطهم • ان الأطفال والنساء والمسنين يكابدون فيه نفس المشاق التى يكابدها الجنود ويصطلون بناره بصورة مباشرة واذا حلت بفريقهم الهزيمة فانهم يشاركون الجنود سوء المصير • وقد ينسف المرض والجوع أمنع الحصون •

لقد آثر يهود الحجاز أن يلوذوا بآطامهم ويحتموا بها فى المعارك الأربع الكبرى التى نشبت بينهم وبين الرسول ﷺ • وأكبر عبء فى الحصار انما يقع على عاتق قائد المدافعين • « والمفروض أن يجتمع للقائد عدد كبير من المواهب والقدرات • فيجب أولا أن يكون شجاعا وأن يبدو شجاعا دون تهور • ويجب أن تتوافر له أو أن يكتسب هيبة شخصية

تجعل منه قائدا مطاعا عند قواته ،٠٠ ومثل هذا الرجل يجب أن يظل رابط الجأش لا يتزعزع أمام النكبات والانتكاسات، وأن يبث فيمن حوله جوا من الثقة الوطيدة في النصر النهائى » (١٦) ٠

وقد ثبت بما لا يدع مجالا للشك من مرات حصار يثرب الثلاث أن القيادة اليهودية كانت تفتقر الى هذه الصفات ٠ أما فى خيبر فكانت الصورة مختلفة ، ومع هذا ، أيضا ، فان القيادة الموحدة لليهود لم تكن ممكنة فيها ٠

ولم يذكر ابن اسحاق ولا الواقدى ولا ابن سعد فى روايتهم للنزاع مع بنى قينقاع اسم أى قائد من قادة هؤلاء اليهود التعساء ٠

ولم يكن ذلك لقلة فى الشخصيات البارزة ممن ذكرت أسماؤهم فى سياقات أخرى ٠ لقد أورد ابن اسحاق أسماء ثمانية وعشرين من كبار أعداء الرسول ﷺ من بنى قينقاع(١٧) ٠ وكان رفاعة بن قيس أحد هؤلاء ، وهو الذى ذهب الى الرسول ﷺ يسأل عما ولاه عن قبلته فى بيت المقدس (١٨) ٠ كذلك كان رفاعة يأتى الى الأنصار فيقول لا تنفقوا أموالكم وكان اذا كلم رسول الله ﷺ لوى لسانه بكلماته (١٩) ٠ وفنحاص حبر آخر من أحبار بنى قينقاع وقد أحنق أبا بكر بقوله ان اليهود ما بهم الى الله من فقر ، وانه اليهم لفقير (٢٠) ٠ وثمة يهودى آخر هو شاس بن قيس أمر قبل ذلك شابا من يهود بانشاد بعض أشعار يوم بعاث للأنصار (٢١) ٠

ولكن ابن اسحاق لم يذكر اسم أى زعيم من زعماء بنى قينقاع سواء عشية الحصار أو أثناءه أو بعده ٠ وكان هناك(٧٠٠) مقاتل من بنى قينقاع ممتلئى البطون لا ينقصهم شيء ، ثلاثمائة منهم دارعون٠ ولو كان على رأسهم قائد أوتى ولو قسطا متواضعا من الخبرة العسكرية لدخل فى معركة مع

الرسول ﷺ خارج الحصون ، وكان فى مقدور بنى قينقاع وحصونهم الى ظهورهم أن يوقعوا الهزيمـة بجنـود المسلمين الذين لم يكن عددهم يجاوز الثلاثمائة ، دون عناء • وهم ، بخلاف قريش فى غزوة بدر ، لم يكن يعوزهم الماء ، كما أنهم لم يكونوا يعسكرون فى العراء •

ومن الناحية الاستراتيجية فهم فى مركز أقوى من مركز المسلمين • وسوقهم تقع قريبا من جسر وادى البطحان ومن أطم عـلى الجـانب الشرقى من الجسر • وكان بوسعهـم ، وحيهم (٢٢) يمتد على جانبى الجسر أن ينزلوا أكبر الخسائر بالمسلمين فى أية معركة مفتوحة ون ينسحبوا الى حصونهم ثم يعاودوا الهجوم من جديد فى الوقت الذى يختارونه •

وكان المسلمون معسكرين خارج المدينة • وبالرغم من أنهم كانوا قد امنوا طريق تموينهم فانه لم يكن باستطاعتهم أن يضمنوا استمرار وصول المؤن اذا امتدت المعركة طويلا • أما بنو قينقاع فقـد أغلقوا عـلى أنفسهم أبواب أطمهم • ويبدو أنهم لم يبذلوا أية محاولة للقتال أو لفك الحصار •

وكان كل ما فعله الرسول ﷺ هو أن ذهب وجلس مع رجاله خارج الأطم • ولم يحـدث قتال ، وكان باسـتطاعة الرسول ﷺ أن يجلس فى صبر وينتظر •

ولم يكن بوسع بنى قينقاع أن يصمدوا أكثر من خمسة عشر يوما (٢٣) • وتخبرنا مصادرنا أنهم كانوا أشـجع اليهود (٢٤) وأنهم كانوا « أصحاب الحرب » (٢٥) هـؤلاء هم القوم الذين حموا عبدالله بن أبى من جميع أعدائه (٢٦) • لقد انقضت أيام شجاعة بنى قينقاع وبدا اضمحلالهم وشيكا •

وكان لدى بنى النضير عدة آطام وكان لديهم ما يكفى من العدة والمئونة • ويقول الواقدى : ان ما كان بحـوزتهم من الطعام كان يكفى لسنة ، وأن ميـاههم كانت غزيرة ، وأنهم تزودوا بحجارة ليقذفوا بها القوة المهاجمة •

ومع التسليم بان الواقدى يميل الى المبالغة والى حشو ما يرويه بتفاصيل من نسج الخيال ، فقد كان استعداد بنى النضير لمواجهة الحصار الطويل أكبر بكثير من استعداد بنى قينقاع • ولم يكن المسلمون ، من الجهة الأخرى ، بعد هزيمتهم فى أحد وبعد مذبحة بئر معونة ، فى مركز يسمح لهم بضرب حصار طويل •

ويبدو أن الرسول ﷺ كان يدرك مواطن قوتهم ومواطن ضعفهم وانه ، لكى يحطم معنويات المدافعين ، أمر ، خلافا لعادة العرب ، بتقطيع أشجار النخيل وحرقها • وكانت هذه الأشجار ضائعة على أية حال ولم يكن يهم بنى النضير فى وضعهم ذاك ما اذا كان المسلمون قد أحرقوا أو استولوا عليها • ولو أن بنى النضير انتصروا لزرعوا غيرها • ولو أنهم هزموا فقد كان مآلهم الى النفى ولم يكن باستطاعتهم ساعتها أن يستغلوها • ولم يكن بوسع حيى بن أخطب ، الذى لم تكن له حنكة القائد الحربى وان كان صاحب مكيدة ، أن يتنبأ بأن الحصار الطويل سيكون فى صالح المسلمين ، وكان تقديره أن هذا الحصار سيدخل الاضطراب على حياة يثرب اليومية ، وسيتيح الفرصة لعبد الله بن أبى بن سلول ولغيره ممن أحنقهم الاسلام ووصفهم القرآن بالمنافقين لاشعال نار الفتنة وللانضمام الى بنى النضير فى الوقت المناسب •

لقد بعث المنافقون الى بنى النضير رسالة يقولون فيها :

« اثبتوا وتمنعوا •• ان قوتلتم قاتلنا معكم » (٢٧) •

ولكن المسلمين لم يروا داعيا للهجوم ، وكل ما فعله الرسول ﷺ هو أن أحرق نخلات قليلة وجلس مع أصحابه • وفت فى عضد اليهود فاستسلموا دون قتال • وقد ألمح القرآن الكريم الى عدم وقوع عمليات حربية فى هذه الآية :

« •• فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير » (٢٨) •

واذا كان بنو قينقاع وبنو النضير قد قنعوا بغلق أبواب آطامهم على أنفسهم فان بنى قريظة ، وفقا لقول الواقدى وابن سعد ، أبدوا مقاومة حدث خلالها تبادل فى اطلاق السهام وقذفت فيها حجارة (٢٩) ولحقت كلا الجانبين فيها بعض الخسائر • ويقول الواقدى وابن سعد ان الحصار لم يستمر أكثر من خمسة عشر يوما ، لكن ابن اسحاق يقول انه استمر خمسة وعشرين يوما • وقد أخذ المسلمون بنى قريظة على غرة وكانت هذه الغزوة من قبيل الحرب الخاطفة •

لقد قاوم المسلمون أنفسهم الحصار فى غزوة الاحزاب قرابة الشهر • ولم يكن بنو قريظة يتوقعون ان يهاجموهم فور عودتهم من الجبهة • وكان جيش المسلمين هذه المرة يفوق مقاتلى اليهود عددا ، فقد اشترك فى هذه الغزوة (٣٠٠٠) مسلم ضد عدد يتراوح بين (٦٠٠) و (٩٠٠) من بنى قريظة • لكن الوقت كان شتاء وكان المسلمون يعسكرون فى العراء • أما اليهود فكانت تحميهم حصونهم وكان لديهم ما يكفى من المؤن • وأهم من ذلك أنهم لم يكونوا قد اشتركوا فى قتال بخلاف المسلمين الذين كان الجوع والاعياء قد أخذ منهم كل مأخذ • ولو أن اليهود قرروا خوض معركة فى العراء لكانت لهم ميزة كونهم يحاربون فى أرضهم ، وأنه كان باستطاعتهم أن يستخدموا طريقة الكر والفر فى حرب استنزاف لم يكن للمسلمين قبل بها •

ولم يكن المسلمون حتى ذلك الوقت قد أخضعوا قريشا ولا غطفان ولا يهود خيبر ولا ، فى الواقع ، أيا من القبائل العربية • وكان من المحتمل أن ينتهز هؤلاء الأعداء أقل بادرة ضعف عند المسلمين ليغيروا عليهم •

ورغم أن حيى بن أخطب كان مع بنى قريظة فلم يكن هناك ما يمنع زعماء بنى النضير الآخرين من تنظيم المساعدة وتقديم العون لهم • والواقع أن منافقى المدينة كانوا على ما يبدو لا يزالون يطمعون فى عودة الأحزاب لمهاجمة المدينة •

وهناك اشارة محددة الى هذا الأمل فى القرآن الكريم ، فى قوله تعالى :

(يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وان يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون فى الاعراب يسألون عن أنبائكم ٠٠)(٣٠)٠

على أن معنويات القيادة اليهودية كانت فى الحضيض ٠ ويظهر من تخاذل بنى قريظة أنهم كانوا يفتقرون الى زعيم ٠ وكان كعب بن أسد يتصرف كرجل بلغ منه اليأس كل مبلغ ٠ ومع أن المحن تبرز أحيانا صفات بطولية خارقه فى القوم المحاصرين فان بنى قريظة كانوا غارقين فى بحر من القنوط ، تخلت عنهم صفات الزعامة والشجاعة والتحمل التى اتصفوا بها خلال حرب بعاث أو حتى قبل ذلك ٠

ان تقسيم حياة الرسول ﷺ الى فترتين ، هما : الفترة المكية ، والفترة المدنية تقسيم يبدو واضحا ومنطقيا ٠ لكنه تقسيم يبسط الأمور أكثر مما ينبغى ٠ لقد نجا الرسول ﷺ والمهاجرون بالهجرة من الاضطهاد ، لكن الهجرة لم تنه كفاح المسلمين من أجل البقاء ٠

ولعل الأولى أن تقسم حياة الرسول ﷺ الى ثلاث مراحل : الأولى تمتد الى سنة بعثه ، والثانية تبدا من هذا التاريخ وتمتد الى صلحى الحديبية وخيبر ، والثالثة تبدأ من خيبر وتنتهى بوفاته ﷺ ٠ ومن الممكن أن تقسم المرحلة الثانية تقسيما فرعيا الى فترتين : فترة الاضطهاد وفترة النضال المسلح ، أو نسميها فترات (١) النضال المكى (٢) النضال المدنى (٣) نشر الدين ٠ وأيا كان التقسيم الزمنى الذى نأخذ به فان الحديبية وخيبر يمثلان قطعا حدين فاصلين فى تاريخ فجر الاسلام ٠ لقد كان أكبر عدد من الناس استطاع الرسول ﷺ أن يجمعهم حوله فى أرض المعركة حتى نهاية السنة السادسة من الهجرة هو ٣٠٠٠ مقاتل ٠ ويؤخذ من مصادرنا أن هذا كان عدد من اشتركوا

في الدفاع عن المدينة خلال غزوة الاحزاب (٣١) . على أن عدد من خرجوا في أى غزوة من الغزوات لم يتعد ١٦٠٠ (٣٢) . وهذا الرقم يعطى فكرة صحيحة الى حد كبير عن قوة المسلمين في السنوات الست الأولى من الهجرة .

والملاحظ أن القبائل العربية لم تقبل على الاسلام اقبال المهاجرين والأنصار . وفي هذا يقول «مونتجمرى واط» : « ان الاسلام لم يمس سوى قلة من القبائل القريبة من مكة والمدينة » (٣٣) وما كان للصراع المتصل مع قريش وللحرب الباردة مع صفوة اليهود في الحجاز أن يساعدا على نشر لواء الدين فنشر الدين يحتاج الى استقرار وسلم لم يكونا متوافرين .

لقد ناهز الرسول ﷺ الستين ولم يحقق الا نجاحا قليلا على الصعيد المحلى . ولم يكن فشل محاولات مكة واليهود للقضاء عليه وعلى أصحابه في معركة الأحزاب سوى نجاح سلبى للمسلمين بقى المسلمون بعده محصورين في المدينة آمنين داخل حدودها ، وقادرين على ارسال السرايا ، لكنهم عاجزون عن التوسع . ووقفت مكة وخيبر بأحلافهما القبلية والضالعين معهما صامدتين في معارضتهما للاسلام .

واذا كانت مكة واليهود قد أخفقوا في قطع دابر الاسلام ، فمن الجائز أيضا أن الرسول ﷺ كان يدرك مدى تعذر كسبهم لدينه . وقد اتخذ صلى الله عليه وسلم بعد معركة الأحزاب بقليل اجراءين يوحيان بأنه قرر تعديل استراتيجيته في محاولة لتحييدهما والعمل ، وقد أصبح قوة يحسب حسابها في المدينة ، على الوصول معهما الى حل توفيقى .

وفي سنة ٦٢٨ (٦هـ) ، وكانت امبراطورية بيزنطة والامبراطورية الساسانية ، وقد أنهكت الحرب قواهما ، تتفاوضان على السلم بعد ستة وعشرين عاما من الخصومة ، اتخذ الرسول ﷺ بدوره خطوة نحو السلم فأعلن أنه ماض الى

مكة للعمرة ، والحج والعمرة بطبيعتهما يفترضان السلم · واستنفر الرسول ﷺ المسلمين للخروج معه وساق معه الهدى ولم يكن المسلمون يحملون سوى سلاح المسافر أى السيوف فى القرب · وقد صحب الرسول ﷺ فى هذه العمرة ١٦٠٠ مسلم ومسلمة · ونزل الرسول على عشرة أميال الى الشمال الغربى من مكة ولكن قريشا وقفت بينهم وبينها لمنعهم من دخولها ولم تسمح لهم بأداء العمرة · على أن الرسول ﷺ حصل منهم بدلا من ذلك على ميثاق عدم اعتداء كانت شروطه كالآتى :

١ ــ اصطلح المسلمون وقريش على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض ·

٢ ــ من أتى محمدا من قريش بغير اذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه ·

٣ ــ وأن بينهم عيبة (★) مكفوفة ، وأنه لا اسلال (★★) ولا اغلال (★★★) ·

٤ ــ من أحب أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه ·

٥ ــ يرجع المسلمون عامهم ذلك دون أن يؤدوا العمرة ·

٦ ــ للمسلمين فى العام التالى أن يؤدوا العمرة وسيوفهم فى قربها لا يدخلون بغيرها وأن يقيموا بمكة ثلاث ليال (٣٤) ·

وكان فى هذه الشروط غبن ظاهر · « ووثب عمر فأتى أبا بكر فقال : أوليس برسول الله ، أولسنا بالمسلمين ، أوليسوا بالمشركين ؟ ووافق أبو بكر فقال عمر : فعلام نعطى

(★) أى صدور منطوية على ما فيها ، لا تبدى عداوة ، وضرب العيبة مثلا ·

(★★) الاسلال : السرقة الخفية ·

(★★★) الاغلال : الخيانة ·

الدنية (★) فى ديننا ؟ ثم اتى رسول الله ﷺ وسأله الأسئلة ذاتها »(٣٥) ، وقد حقق الرسول ﷺ بهذا الصلح سلما كان في مسيس الحاجة اليه وذلك لقاء تقديم عدد كبير من التنازلات •

وبدا الرسول ﷺ بعد عقد هذا الميثاق مع قريش حريصا على الوصول الى تسوية ما مع ثانى قوة فى الحجاز أى مع يهود خيبر • وكانت غزوة خيبر واحدة من أخطر الغزوات التى قام بها الرسول ﷺ حتى ذلك الوقت • وقد سار فيها مع قوة من ١٦٠٠ رجل مقابل ١٠٠٠٠ يهودى متحصنين داخل حصونهم و ٤٠٠٠ رجل من غطفان ينتظرون خارجها فى العراء • لم تكن هذه الغزوة كغيرها من الغزوات وكانت الاحتمالات فيها ترجح هزيمة المسلمين •

كانت اكثرية القبائل العربية لا تزال على وثنيتها ، وكانت قد علمت بتراجع المسلمين عن الحديبية ، وهذا بيان صمتت عنه مصادرنا الأولية • ويختلط التاريخ الحقيقى والرغبة فى تفخيم الأبطال هنا اختلاطا تصعب معه اعادة الأحداث كما وقعت • وللمرء أن يتساءل فى هذا الموضع : ما الذى جعل الرسول ﷺ بعد أن ردته قريش على عقبيه يخرج فى غزوة كانت فرص نجاحها تبدو قليلة ؟ والظاهر ، ردا على هذا السؤال ، أن الرسول ﷺ قرر بعد الحادثة المؤسفة التى وقعت فى القرقرة وقتل فيها اليسير بن رزام ، أن يذهب بنفسه ليتفاوض على السلم مع يهود خيبر وصحب معه فريقا كبيرا من أصحابه الأوفياء الذين كان يعتمد عليهم والذين بايعوه تحت الشجرة فى الحديبية فى البيعة المعروفة ببيعة الرضوان على ألا يفروا حتى الموت (٣٦) • وكانت هذه الخطوة خطوة احتياطية سديدة • ولم يكن الرسول ﷺ يريد حربا ، وقد اشترط فيمن يريد الخروج معه أن يكون

(★) الدنية . الذل والأمر الخسيس •

غازيا متطوعا ليس له من الغنيمه شيء(٣٧) . كان ذاهبا الى عدوه فى قلب معقله ليتفاوض معه على السلم وليوقع معه معاهدة تضمن السلام . وكان الاحتمال أنه اذا وفق فى مسعاه فسيعود بميثاق عدم اعتداء ، وان لم يوفق فسيمنى بهزيمة كهزيمة أحد (٣٨) وأنه لن تكون هناك غنائم فى أى من الحالتين . ولم يرد الرسول ﷺ أن يصحب معه فى هذه الغزوة شخصا قد يسيء وجوده الى معنويات قوته الصغيرة .

وكان قد سبق للرسول اتخاذ مبادرة للسلام ، فقد بعث الى خيبر رسالة قال فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، صاحب موسى وأخيه ، والمصدق لما جاء به موسى . الا ان الله قد قال لكم يا معشر أهل التوراة ، وانكم لتجدون ذلك فى كتابكم :

(محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود، ذلك مثلهم فى التوراة . ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب به الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما) (٣٩) .

وانى أنشدكم بالله ، وأنشدكم بما أنزل عليكم ، وأنشدكم بالذى أطعم من كان قبلكم من أسباطكم المن والسلوى ، وأنشدكم بالذى أيبس البحر لآبائكم حتى أنجاكم من فرعون وعمله ، الا أخبرتمونى : هل تجدون فيما أنزل الله عليكم أن تؤمنوا بمحمد ؟ فان كنتم لا تجدون ذلك فى كتابكم فلا كره عليكم :

(قد تبين الرشد من الغى) (٤٠) .

فأدعوكم الى الله والى نبيه (٤١) .

وليس فى هذه الرساله جديد - وهى تمثل ، سواء فى لهجتها أو فى عبارتها ، نهج الرسول ﷺ فى مطابقة رسالته برسالة موسى ، وقد جاء فيها ذكر رابطة الآخوة التى تربطه ﷺ بموسى الذى لقيه حين أسرى به ليلا الى المسجد الأقصى (٤٢) • والرسالة هى دعوة الى الاسلام مشفوعة بعبارة تفيد انه لا اكراه فى الدين •

وليس فى الرسالة ما يثير أى شك فى صحتها وليس فيها تناقض داخلى أو مفارقة تاريخية • ومن غير المتصور أن تكون قد اصطنعت لتسويغ الهجوم على خيبر ، فهى أولا لا تشتمل على شىء يومىء ولو من بعيد الى أى تحرش صادر عن يهود خيبر • وابن اسحاق ثانيا لا يقدم فى العادة مسوغات لهجوم المسلمين على اليهود •

وقد لاحظنا من قبل أنه لم يسق أى سبب للانذار الذى وجهه الرسول ﷺ لبنى قينقاع (٤٣) • ثم هناك حالة التاجر اليهودى ابن سنينة الذى قتله محيصة دون استفزاز (٤٤) • يضاف الى ذلك أن الرسالة لم يرد ذكرها فى قصة خيبر ، بل فى الفصل المتعلق بالاشارة الى المنافقين واليهود فى سورة البقرة •

وما كان يمكن لمزور لاحق أن يستخدم الأسلوب المهاود الذى استخدم فيها ، والذى تتضح فيه رنة المناشدة • ولم يبين ابن اسحاق تاريخ هذه الرسالة ولكن اكتشاف هذا التاريخ أمر ليس بالعسير • انها تنقل الآية الأخيرة من سورة الفتح •

وعلماء المسلمين متفقون على أن هذه السورة نزلت والرسول ﷺ فى طريق عودته الى المدينة بعد توقيع صلح الحديبية (مارس ٦٢٨ / ذو القعدة ٦ هـ) (٤٥) • وكان الرسول ﷺ قد أرسل فى شهر ذى الحجة من السنة نفسها رسائل الى الملوك • ولما كانت غزوة خيبر قد وقعت فى أوائل

السنة السابعة من الهجرة (مايو ـ يونيو ٦٢٨) فالغالب أن هذه الرسالة أرسلت مع تلك الرسائل . ولم يرد يهود خيبر على هذه الرسالة ، أو ردوا لكن المؤرخين المسلمين لم يسجلوا ردهم .

وتسلسل الأحداث ، أى ميثاق عدم الاعتداء الموقع فى الحديبية ، والرسالة الموجهة الى يهود خيبر ودعوة رزام للحضور الى المدينة تجعلنا ننتهى الى أن الرسول ﷺ كان بحاجة الى اقرار السلم بأى ثمن . بل ان المرء حين يتأمل شروط الحديبية يخيل اليه أن هدف السلم مع صون الشرف قد تغير وأصبح تقريبا السلم بأى ثمن . ولهجة الملاينة فى رسالة الرسول ﷺ الى خيبر لهجة ملفتة للنظر حقا اذا أخذنا فى اعتبارنا ما لقيه من جانب يهود المدينة من معارضة شديدة .

لقد أسمى نفسه فيها « صاحب موسى وأخاه » وقال : انه « المصدق لما جاء به موسى » ودعاهم « بالله وبما أنزل الله عليكم وبالذى أطعم من كان قبلكم من أسباطكم المن والسلوى» وناشدهم لقبوله كرسول ثم أضاف « فان كنتم لا تجدون ذلك فى كتابكم فلا كره عليكم » .

كان العمر قد تقدم برسول الله ﷺ وكان بحاجة الى السلم ، وكان يدعو اليه بحرارة . لكن يهود خيبر كانوا قد فقدوا وقتها السيطرة على مقاديرهم وكانت مقاليدهم قد انتقلت الى أيدى زعماء بنى النضير المنفيين (٤٦) . وكان قد سبق لهؤلاء الزعماء أن جروا الخراب على قبيلتهم وها هم الآن يعيشون بمصير أولئك الذين كانت لهم المصلحة كل المصلحة فى التوصل الى حل وسط مع قوة الاسلام الصاعدة .

وقد كرر الرسول ﷺ فى رسالته ما جاء فى القرآن الكريم من أنه « لا اكراه فى الدين » وقرر أن قبول الاسلام ليس الزاميا . كانت أمة الاسلام الجديدة بحاجة الى الأمن .

وكان وجود شعب معاد على مسافة ٩٠ ميلا فقط من المدينة يشكل خطرا كبيرا على المجتمع الجديد •

كذلك فان الرسول ﷺ ، كأى قائد حصيف ، لم تغب عن فطنته مخاطر الحصار المحتملة • لقد كانت حصون خيبر تقع على هضبة جبلية عالية وكانت تحيط بها أودية زرعت زراعة مكثفة ومستنقعات تعيث فيها الملاريا ، وكانت هذه الحصون تمتد على رقعة واسعة وموقعها يتحدى أى حصار • ويقول « بلفيد » في دراسة قام بها لطبيعة الحصار :

« اهم ما يحاول المهاجمون عمله هو فصل المكان المحاصر عن العالم الخارجي ، وهذه دائما عملية شاقة ، وهى عملية طويلة فى معظم الأحيان • لهذا فما من حكومة تشرع فى فرض حصار كبير الا بعد ترو كثير ، كما أنها لا تقدم على الحصار الا اذا بدا لها أن الاحتمالات مشجعة لتحقيق نجاح سريع نسبيا •• ان تقدير مدى مناعة عناصر الدفاع الطبيعية والمصنوعة لأى مكان محصن مسألة فى غاية التعقيد ، والتاريخ فى مثل هذه الأحوال ملىء بالأخطاء ذات التكلفة الباهظة • ويمكن أن يقال بصفة عامة ان المعاقل الطبيعية مثل مالطة وجبل طارق تهزم المهاجم دائما ، أو تسبب له خسائر فادحة قبل أن يتغلب عليها » (٤٧) •

وقد دخل الرسول ﷺ المعركة كحل أخير • ولا يبدو أنها كانت معركة حاسمة رغم أن المؤرخين المسلمين حاولوا أن يصفوها بهذا الوصف • ولم يتم التفاوض على السلم الا بعد أن أسفرت المعركة عن خسائر كبيرة فى الأرواح • ونصف محصول التمر الذى كان معروضا على غطفان أصبح الآن يعطى سنويا كجزية للمسلمين • ويقول « بارون » فى هذا الصدد : « ان مثل هذا الاتفاق لم يكن يعتبر فى ذلك الوقت دليلا على الضعف السياسى وأن امبراطورية بيزنطة وامبراطورية فارس العظميين كثيرا ما كانتا تعقدان مثله لضمان السلم مع عدد كبير من القبائل المشاكسة التى تجاورهما

وكانت تكاليف هذا الاجراء اقل بكثير من تلك التى كان يقتضيها الاحتفاظ بقوات دائمة لصد غاراتها . ومن الجائز أن يهود خيبر عندما اتفقوا مع محمد ﷺ على أن يدفعوا له نصف محصولهم السنوى قدروا أنهم انما استبدلوا فى الواقع مستفيدا بمستفيدآخر»(٤٨) . لقد استبدلوا بتحالفهم مع غطفان تحالفا مع الرسول ﷺ وكان الخاسر الوحيد فى العملية هم بنى فزارة . وليس من الصواب ، كما يقول « لامانس » ، وصف العملية التى قام بها الرسول ﷺ فى خيبر بالغزو . وهو يضيف ان المؤرخين اللاحقين اذا كانوا قد صوروها على انها انتصار فانما فعلوا ذلك تبريرا لأعمال حدثت فى خلافة عمر (٤٩) .

ولم يكن يهود خيبر ينظرون الى المسلمين نظرة استعلاء ، ولكن المؤكد هو أنهم بالغوا فى تقدير قدرتهم هم الحربية فان حصونهم لم يكن فيها دفاع قوى . كما أن التنسيق والاتصال بين مختلف الحاميات اليهودية لم يكن محكما فيما يبدو . ومن جهة أخرى فان الرسول ﷺ استخدم مع أهل خيبر سلاح المباغتة الذى كان مفتاحا لنجاحه فى جميع معاركه الكبرى . وكانت هذه الغزوة حافلة بالمفاجآت، سواء فى تكتيكها أو فى فنها العسكرى ، وقد أظهر المسلمون فيها من البأس ما لم يواجه مثله يهود الحجاز أو قريش .

وبالرغم من أن اليهود لم يغلبوا فقد اضطروا الى التفاوض بعد أن تبين لهم أنهم استهانوا بخصمهم وأنهم لم يحملوه محمل الجد .

لقد نشأت عن تكرر ذكر اليهود فى القرآن الكريم وتفسير المفسرين الأوائل وتزايد المعاملات ونمو الشريعة الاسلامية ، وعما حدث من تجاوز فى رواية أحداث النزاع بين الرسول ﷺ ويهود يثرب صورة للخلافات الدينية بين المسلمين واليهود يشوبها التشويه والتحريف . ويرى كل المؤرخين الحديثين تقريبا أن الرسول ﷺ حين ترك مكة كان

يحدوه الأمل في أن يقبله يهود يثرب . وانه عمل لدى وصوله الى المدينة على استمالة قلوبهم ، فشاركهم في صوم عاشوراء ، واتجه في الصلاة الى بيت المقدس ، ولكن اليهود خيبوا ظنه برفضهم الاعتراف به ، فما كان منه الا أن قطع صلاته بهم وحاربهم وسحقهم .

وفي هذا الرأى تصوير ملتو للأحداث . وليس هناك ما يؤيد افتراض « جابريللى » الذى مؤداه أن الرسول ﷺ كان يعتبر يهود المدينة في وقت من الأوقات قوما « اعتنقوا الاسلام» . (٥٠) فالذى يتضح من سورتين مكيتين هما سورة بنى اسرائيل (الاسراء) وسورة يونس أن الرسول ﷺ كان يعرف من بادىء الأمر موقف اليهود من دعوته ، فقد جاءت في سورة بنى اسرائيل (الاسراء) ثمانى آيات تنذر اليهود بالمصير الذى ينتظرهم ، وهى الآيات :

٤ ـ (وقضينا الى بنى اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا) .

٥ ـ (فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا) .

٦ ـ (ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا) .

٧ ـ (ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا) .

٨ ـ (عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) .

٩ ـ (ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا) .

١٠ ــ (وأن الذين لا يومنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا أليما) ٠

١١ ــ (ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا) ٠

ولاستعمال ضمير المخاطب في هذه الآيات من سورة الاسراء دلالة كبرى ٠ وقد ذكر « لامانس » بحق بعد ان درس المصادر الأولى ، انه لم يكن فى مكة يهود (٥١) ٠ ومن المتفق عليه عموما أن هذه الآيات مكية (٥٢) ٠ وليس فى هذه الآيات اشارة الى أن الرسول ﷺ كان يتطلع الى أن يقبله اليهود ولا الى خلاف فعلى قام بينه وبينهم ٠ انها بيان عام لا يحتمل الجدل ٠ وقد نزلت بعد الآيات السابقة آية فى نفس الخصوص وهى واضحة الدلالة اذ يقول الله تعالى :

(ولقد بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) (يونس/٩٣) ٠

ويتفق « موير » و « نولدكه » و « جريم » (٥٣) مع الزمخشرى (٥٤) والبيضاوى (٥٥) على أن سورة يونس سورة مكية ٠ و « هويرى » يقرر « دون شك أنها مكية الأصل » (٥٦) ثم يستطرد قائلا ان « العلم المقصود هنا انما هو علم القرآن وان الاحالة انما هى احالة الى رفض اليهود لمحمد » (٥٧) ٠

لقد كان الرسول ﷺ يعلم قبل وصوله الى المدينة أن اليهود سيرفضون تصديقه ولكنه عرض عليهم مع ذلك شروط الصحيفة على أساس وحدانية الله سبحانه وتعالى ٠ والذى حدث أن اليهود لم يصدقوه ولم يعتبروه حتى مسيحا كاذبا بل اعتبروه أفاكا مغتصبا ٠ ولأنه كان أميا غير يهودى فما كان من الممكن أن يقبلوا نبوته ، وهو ــ بصفته نبيا ــ للعرب ــ كان يعرض للخطر نفوذهم الذى كان فى اضمحلال

فعلى ، وقد دخلت قبيلتان من ديار حلفائهم فى المدينة دين هذا النبى اللاجىء • وعجز المكيون عن سحقه بمفردهم كما أن جهودهم هم فى المدينة لاجلائه أوقعتهم فى شر أعمالهم • وكان الاضمحلال الذى أصابهم سريعا ولم يكن لهم قبل بايقافه •

ان الصدام الفعلى بين المسلمين واليهود لم يحدث والرسولﷺ على قيدالحياة وانما حدث فى فترة لاحقة(٥٨)• وكتاب السيرة ورواة المغازى ومفسرو القرآن وجامعو الحديث قرءوا « العهد القديم » وكتابات اليهود واعتبروا ان الرسول ﷺ هو المقصود بكل ما وجدوه مناسبا فيها من ارهاصات (٥٩) • وقد زادت الحركات المسيانية بين اليهود من الخلط فى الموقف • لقد تركز أمل اليهود الدائم فى جالوت حول مجىء ملك من بيت داود يتبوأ الحكم فى عصر ذهبى جديد • وكان وصف « المسيح » المشتق من كلمة « مشياح » ، التى تعنى الممسوح بالزيت ، فى التاريخ اليهودى ينطبق على الملك الذى يختاره الله والذى طال انتظاره والذى « يدعى اسمه عجيبا •• رئيس السلام » الذى سيقضى على أعداء اسرائيل والذى طال انتظاره والذى ينشىء حكما يسوده السلم والرخاء أشبه بالجنة •

وقد اتخذ الأمل المسيانى عدة صور وأشكال وكان عاملا نضاليا فى تاريخ اليهود • وبفضل هذا الأمل ظل اليهود معلقين بسحر المملكة اليهودية التى يؤمنون بأنها ستحقق من خلال الارادة الالهية (٦٠) • ولم يكن الأمل فى قدوم هذا المسيح من شروط الايمان فحسب عند اليهود ، بل كان ضرورة معنوية وعاطفية فى أوقات الشدة والكرب •

ومن العناصر الأساسية فى المسيانية اليهودية توقع أوجاع حمل المسيح (هيفلى ماشياح) التى تتخذ شكل فترة من الاضطرابات والمحن تسبق ظهوره • ومن هنا فان الفترات

التى نكل فيها باليهود كانت أيضا فترات من التربص والحركات المسيانية المتقدة ٠

أن ترقب اليهود لمجيء ٠ ٠« واحد يشبه ابن الانسان » يؤتى الملك والمجد والملكوت وتعن له جباه كل الشعوب والامم واللغات لم يكف أبدا ٠ « وكثير من الوطنيين اليهود الذين قاتلوا فى الثورة العظمى ضد روما (٦٦/٧٠) كانوا يؤمنون بأنهم يخوضون معركة من المفروض ان تتمخض عن مجيء المسيح وفى الامكان فهم بطولتهم المستميتة أثناء هذه الثورة اذا نظر اليها فى سياق الحركة المسيانية ٠ وقد تأثرت الثورة اليهودية ضد الامبراطور « تراجان » فى السنوات ١١٥ ـ ١١٧ وثورة « باركوشبا » فى السنوات ١٣٢ ـ ١٣٥ م بالتوقعات المسيانية ٠ وفى القرن الخامس ظهر فى جزيرة كريت يهودى ادعى انه موسى عليه السلام ووعد يهود الجزيرة بأن يأخذهم الى يهودا دون استخدام مراكب وحدد تاريخا للمعجزة ٠ وتجمع اليهود فى الموعد المحدد فأمرهم بالقفز فى البحر ولقى عديد من هؤلاء اليهود السذج حتفهم غرقا ٠

وخلال القرن السادس أثار النزاع المستمر بين امبراطورية بيزنطة والامبراطورية الساسانية توقعات مسيانية من المحتمل أنها لعبت دورا كبيرا فى تشكيل صورة اليهودية العربية ٠ وكان « زروبابل » ، وهو حفيد الملك « جيهوى أشين » وقتها زعيما ليهود المنفى الذين عادوا من بابل الى يهودا بموافقة كسرى ٠ وعين زروبابل فى ظل حكم الملك « داريوس » الأول فى سنة ٥٢١ ق٠م حاكما ليهودا وكان آخر حكامها من بيت داود ٠ ويتحدث « كتاب زروبابل » الذى كتب فى زمنه والذى قيل انه وجد منقوشا على الحجر ، عن رؤى رآها زروبابل عن ظهور المسيح ٠

وقد ألفت أعمال كثيرة عن الآمال المسيانية التى نشأت عن كتاب زروبابل ٠ وتقول دائرة معارف « جودايكا » :

« رغم أن من الصعب تحديد تواريخ مختلف الأعمال التى يتكون منها هذا الأدب المسيانى فلا يستبعد أن يكون بعضها سابقا حتى على كتاب زروبابل ·· وقد كان لهذه الكتابات تأثير كبير على اليهود فى العصور الوسطى » (٦١) ·

وحتى بداية القرن السادس حكمت اليمن أسرتان ملكيتان متهودتان على الأقل · وسكن فى الجزيرة العربية يهود كثيرون · ومن المرجح أن تكون الآمال المسيانية قد ثبتت أفئدة الشعب العربى اليهودى أثناء تدمير مملكة حمير وما تبعها من اضمحلال لمركزهم · والاشارات المختلفة التى ساقها ابن اسحاق للنبوءات اليهودية المتعلقة ببعثة « نبى » قد تكون نتيجة لقراءة مختلفة لبعض الكتابات اليهودية المسيانية · وكان ابن اسحاق وعلماء المسلمين الذين جاءوا من بعده يظنون أن اليهود الذين تنبأ أحبارهم بمبعث نبى كانوا فى حقيقة الأمر ينتظرون مبعث محمد وأنهم حين أعلن محمد نبوته جحدوا هذه النبوة عامدين · ولكن يهود الحجاز فيما يبدو لم يروا أية آية ولم يشهدوا تحقق أية نبوة · وقد ذكر سلام بن مشكم من بنى النضير لمعاذ بن جبل انه ـ أى الرسول ﷺ « ما جاءنا بشىء نعرفه ، وما هو بالذى كنا نذكره » (٦٢) ·

لقد كانت لغة الحديث ومادته بين الرسول ﷺ واليهود لغة ومادة دينيتين بدون جدال · لكن «الاختلافات الايديولوجية لا تكفى وحدها ، مهما بلغ من تعارضها ، لتبرير أنماط السلوك السلبية » · على أن هذه الاختلافات ، كما تقول « أليس ريفكين » ، « قد تصبح حيوية اذا حدث انهيار أو أزمة أو ضغوط هيكلية كتدهور فى الأوضاع الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية » (٦٣) · ولا يصبح النزاع الدينى سببا للتقاتل الا اذا كانت له أوجه اجتماعية وسياسية واقتصادية ·

ولا يبدو أن الاوس والخزرج الذين كانوا يسعون لانتزاع السيطرة على الواحة من اليهود كانت لديهم اية خبرة بالتجارة والأعمال التجارية • واذا كان الأنصار حين دعوا محمدا ونحو سبعين من أصحابه القرشيين الى المدينة قد آووا رسول الله ﷺ فقد تحققت لهم لقاء ذلك مكاسب كثيرة من بينها وجود قائد أوتي خبرة بالشئون التجارية بالاضافة الى صفاته الأخرى ، وكان رسول الله ﷺ فى فترة مبكرة من حياته ذا شهرة في ادارة المصالح التجارية لتجار قريش الأغنياء •

ولم يقل لنا كتاب المغازى كيف دبر المهاجرون ارزاقهم فى المدينه خلال الفترة الاولى من اقامتهم فيها • وليس هناك ما يفيد أنهم غيروا نشاطهم واشتغلوا بالزراعة ، وانما هناك من أن لآخر اشارات في المصادر الى أنهم كانوا يعقدون صفقات تجارية ، وكان المهاجرون ، كما ذكر أبو هريرة ، ينفقون وقتهم فى الأسواق (٦٤) ولم يسمع عمر الرسالة التى وجهها الرسول ﷺ فقد ألهاه الصفق بالأسواق اى الخروج الى تجارة (٦٥) • وحين عرض سعد بن الربيع على أخيه عبد الرحمن بن عوف نصف ثروته فى المدينة قال عبد الرحمن بن عوف : « بارك الله لك فى أهلك ومالك • دلونى على السوق » ودلوا عبد الرحمن الى سوق بنى قينقاع فما رجع حتى استفضل أقطا وسمنا (٦٦) • ولا غرو فى أن يكون بنو قينقاع أول من أحس بالخطر لقدوم هذا العنصر التجارى الجديد ، وأن يكونوا قد خدموا مصالح عبد الله بن أبى انقاذا لأعمالهم التجارية •

ولم يتعرض نشاط المركز التجارى اليهودى بالطائف(٦٧) لمكروه ، لأن أهل الطائف فى جملتهم أداروا ظهورهم للرسول ﷺ (٦٨) • ومن الجهة الأخرى دعا بعض عرب المدينة الرسول ﷺ الى المدينة •

ولم يفكر بنو قينقاع ، الذين لم يعتادوا على المنافسة ، استغلال خبرة المهاجرين فى الأعمال التجارية لأنفسهم

بل حاولوا أن يزيحوهم من طريقهم · وكان بنو النضير وبنو قريظة وغيرهم من القبائل اليهودية يشتغلون أساسا بالزراعة ·

وكان الخطر الذى تمثله طبقة المهاجرين الجديدة من التجار بالنسبة لهم خطرا من طبيعة أخرى · كان بنو قينقاع يزورون يثرب وما حولها عن طريق سوقهم بوسيلة لتبادل السلع ومقايضة المنتجات ، وكانوا يقومون بدور الوسطاء وتجار التجزئة · وكانوا جزءا مكملا لاقتصاديات الواحة الزراعية ·

ولكن المهاجرين كما يقول « مونتجمرى واط » ، لم ينشأوا فى جو الصحراء ، بل فى جو المنشآت الماليه الكبرى (٦٩) · وكان المكيون ، فى رأيه ، « قوما من رجال المال ذوى مهارة فى التعامل بالائتمان وذوى خبرة فى المضاربة ، وكانوا يهتمون بأى فرص لاستثمار المال المربح يجدونها فى أى مكان من عدن الى غزة أو دمشق » (٧٠) ·

وأحس المزارع اليهودى وصاحب الأرض اليهودى بتهديد التاجر المكى · ولم تكن قيمه الاجتماعية هى وحدها التى تتعرض للخطر من طبقة التجار الجديدة بل كان يتعرض له رخاؤه أيضا كما يحدث فى جميع المجتمعات الزراعية · وقد حارب بنو النضير وبنو قريظة المسلمين وخسروا المعركة ، ورضيت قبائل يهودية أخرى بحالة اضمحلالها مؤقتا ثم عادت الى الظهور كصفوة متميزة ، وان لم تكن مسيطرة بعد أن أجادت ما جاء به صاحب العمل أو التاجر المهاجر الى يثرب من أساليب ·

كانت المسألة بين اليهود والمسلمين مسألة محلية · ولم يكن اللقاء بينهم لقاء بين ديانتين · وقد بدأ ذلك اللقاء فى مكة التى لم يكن فيها يهود ووصل الى ذروته تحت حكم العباسيين فى الخلافة الشرقية وتحت حكم بنى أمية فى أسبانيا خلال الفترات التى لم يكن فيها اضطهاد · وكان

صعود الاسلام ونهضة اليهود يسيران جنبا الى جنب • وكان التعايش العظيم بين اليهود والمسلمين (٧١) فى العصر الذهبى للاسلام نتيجة لذلك اللقاء • والحديث عن « قطيعة المسلمين لليهود » حديث لا معنى له لأنه يفترض وجود تحالف بينهم لم يقم لدينا عليه دليل • لقد خرج يهود الحجاز سريعا من دائرة الضوء كما يحدث عادة للنخبة المضمحلة ولكنهم لم يختفوا من المدينة • وحين قبض الرسول ﷺ كانت درعه مرهونة عند يهودى كان قد أخذ منه شعيرا لأهله (٧٢) • والواضح أن اليهود كانوا فى ذلك الوقت يباشرون أعمالهم التجارية كالمعتاد ، لكن مؤرخ الحروب المسلم وكاتب سيرة الرسول ﷺ فقدا بعد صلح خيبر اهتمامهما بيهود الحجاز • أما الفقهاء وجامعو الحديث فقد ظلوا يهتمون بأمرهم لفترة أطول بحثا عن سوابق تتعلق بجمع الجزية والخراج أو لاقرار قواعدهما • وواقع الأمر أن يهود الحجاز لم يرغموا على ترك المنطقة أثناء حياة الرسول ﷺ كما أنهم لم يتركوها باختيارهم •

وقد حرص الرسول ذاته على ازالة آثار المرارة من نفوس اليهود فأبدى لبنى قريظة وليهود خيبر بادرة مودة ومصالحة بعد أن هزمهم،ولم تصدر منه مثل هذه البادرة حيال بنى قينقاع الذين لم يكونوا بحاجة اليها • ومن الواضح أن زيجات الرسول ﷺ انما كانت تقوم ، فى نمطها العام ، على اعتبارات اجتماعية وسياسية • ويقول «رودنسون» فى هذا الشأن ان زيجات الرسول ﷺ « لم تكن زيجات يمليها الهوى بل كانت أحلافا سياسية » (٧٣) • وكان العدو المهزوم الذى يصاهره الرسول ﷺ يتحول الى صديق فى جميع الأحوال تقريبا • لقد كانت أم سلمه (هند) من أقارب زعيم قبيلة مخزوم الأقربين وكانت جويريه تنتمى الى قبيلة بنى المصطلق التى هزمها المسلمون • ويلاحظ « واط » أن جميع زيجات الرسول ﷺ « يمكن أن يقال انها

كانت تهدف لانشاء علاقات وديه فى الحقل السياسى»(٧٤) •
وكان زواج الرسول ﷺ من ريحانه (٧٥) فى الواقع اعلانا سياسيا بانه ﷺ قد قلب صفحة الحفيظة وبدأ محاوله أخرى لكسب صداقة بنى قريظه عن طريق الزواج من سيدة من قبيلتهم ، وما كان يمكن أن يكون لهذه البادرة معنى أو قيمة لو أن جميع البالغين الذكور من هذه القبيلة قد سبق اعدامهم ، ولو أن نساءهم وأطفالهم قد بيعوا كعبيد • وعمد رسول الله ﷺ الى تعزيز السلم الذى حققه بالمفاوضة مع دولة خيبر عن طريق بادرة مودة من النوع نفسه فاتخذ صفية زوجة له وأكد بذلك تحالفه مع أكبر قوة يهودية فى الحجاز •

لقد كانت نتيجة معاهدتى السلم في الحديبية وخيبر فتحا عظيما • وبعد ذلك بسنتين (١/١/٦٣٠ ــ ١٠/٩/٨)، كان عدد رجال جيش الرسول ﷺ حين خرج الى مكة ٠٠٠ر١٠ مقابل ٠٠٦ر١ في سنة ٦٢٨ (٦ هـ) وهو ما يعنى أن الحديبية وخيبر عادتا على المسلمين بخير كثير •

لقد تساءل « واط » : ماذا كان من الممكن أن يحدث لو أن اليهود تفاهموا مع محمد بدلا من معارضته ؟ لقد كان فى استطاعتهم فى بعض الفترات أن يحصلوا منه على شروط مواتية للغاية بما فى ذلك الاعتراف لهم بالاستقلال الذاتى فيما يتعلق بدينهم (٧٦) • ولو أن هذا حدث لكان من الممكن أن يصبح اليهود شركاء فى الامبراطورية العربية وأن يصبح الاسلام طائفة من الطوائف اليهودية • وكم كان ذلك ، لو أنه حدث ، يغير من وجه العالم ! » (٧٧) • ولكن النخبة المضمحلة لا تنهج ، للأسف ، مثل هذا المنهج •

لقد كان الاغريق والرومان واليهود ، من بين شعوب العصور القديمة المهاجرة ، كما يقول « ريتشارد فريمان » ينظرون الى الأمم التى تجاورهم بخشية أكبر من تلك التى كان يبديها أى شعب من الشعوب الأخرى • وكانت هذه

الشعوب الثلاثة تعيش فى تخوف شديد من المجتمعات التى كانت تعيش خارج حدودها ، بل ان الخصومة والارتياب كانا سمة العلاقات حتى فيما بينها ».(٧٨) • وبينما أصبح الاغريق والرومان أمتين مستمرتين مع بداية العصر المسيحى فان اليهود ، نظرا لظروفهم المؤسفة ، ظلوا محتفظين بطابع المجتمع المهاجر • وقد لاحظنا فيما سبق أن بنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة تحملوا محنهم وحدهم • وان أية قبيلة يهودية لم تتحرك للأخذ بناصرهم • وكان اليهود قد اظهروا نفس العداء والارتياب حيال الآوس والخزرج فى معركة بعاث • ويقول : « انهم كانوا دائما يشعرون ، أو بالاحرى يغالون فى الشعور ، بفرق بين مجتمعهم والمجتمعات الخارجية » (٧٩) • وقد منعتهم مخاوفهم من الغرباء والأجانب من قبول الدعوة للانضمام الى الأمة • وضاعف من صعوبة الأمر بالنسبة لهم أنهم كانوا يشكلون فئة مختارة كان يمكن أن تفقد تفردها ان هى انضمت الى فئة خارجية • وحتى فى الحالات التى حطم اليهود فيها ما فرضه عليهم غيرهم من قيود مادية ألزموهم عن طريقها بالاقامة فى أحياء خاصة بهم تسمى بالجيتو Ghetto ، فان الجيتو ، باعتباره

مؤسسة يهودية تبقى اليهود خاضعين للاضطهاد الفكرى ، ظل قائما • ومن الأمور المؤسية أن يهود الحجاز انسحبوا الى آطامهم بصورة شبه غريزية وأن انسحابهم لم يكن جسديا فقط بل كان فكريا أيضا •

وبعد أقل من عشرين سنة من وفاة الرسول ﷺ (٨٠) حطم اليهود جدران آطامهم الذهنية والروحية وخرجوا لقبول تحدى مجتمع اسلامى فتح لهم أبواب مساجده ومدارسه وأسواقه ووظائفه المدنية للتعليم والاندماج الاجتماعى ولمشاركة المسلمين حياتهم المدنية والسياسية • وقد أفاد اليهود أكبر افادة من الخيرات الجسدية والثقافية والروحية التى هيأتها لهم الصفوة الحاكمة المسلمة وذلك دون أن

يختفوا كأقلية هامشية ، وانضموا الى أمة الاسلام كأعضاء يعتمد عليهم • وعلى مدى سبعمائة عام كان مصير هؤلاءاليهود مرتبطا بمصير المسلمين • وفى هذا تقول «أليس ريفدين» :

« لقد اصطحبت كل مرحلة من مراحل نمو الاسلام برد فعل ايجابى خلاق بين اليهود واقترنت كل مرحلة من مراحل الانهيار الاسلامى بتدهور يهودى • وكان عصر اليهود عصرا ذهبيا حين نمت ثروة اسبانيا وازدادت ، وأضحى عصر هوان ونفى حين ساء بها الحال » (٨١) •

وتعتبر « كار مايكل » أن «من العجب العجاب أنه ، بينما قدر للمجتمعات المسيحية أن تختفى بالتدريج فى معظم أنحاء الامبراطورية الاسلامية ، بقيت المجتمعات اليهودية فيها وازدهرت • حدث هذا فى بخارى التى كانت من قبل مركزا مسيحيا عظيم الشأن ، وفى اليمن التى كانت فى وقت من الأوقات « أبرشيه » مسيحية ، وفى شمال أفريقيا ، وطن القديس أوغسطين » (٨٢) • وفى رأينا أنه اذا نظر الى الصراع المحدود والمقيد بين المسلمين واليهود من المنظور السليم فلن يكون فيما أشارت اليه « كارمايكل » ما يدعو للعجب •

والله أعلم بالصواب



مراجع الفصل السادس

(١) H. St. J. B. Philby, **the Background of Islam** (Alexandria, 1947), p. 119.

« ج٠ب٠ **فيلبى** » ، « خلفية الاســلام » الاسكندرية ، ١٩٤٧ ص ١١٩ ٠

(٢) القرآن ، سورة البروج ، « ريتشارد بيل » « أصل الاســلام فى بيئته المسيحية » (لندن ، ١٩٢٦ ، صص ٣٦ـ٣٩) عرفان شاهد « شهداء نجران » ، هو آخر كتاب ألف عن الموضوع ٠

(٣) السمهودى ، الجــزء الأول ، صص ١٧٧ ــ ٩٨ ، و صص ١٩٠ ــ ٢١٥ ٠ انظر أيضا اعلاه ، الفصل الأول ٠

(٤) « **تورى** » ، « الأساس اليهودى للاسلام » ، ص ١٤ ٠

(٥) **السمهودى** ، الجزء الأول ، ص ١٦٥ ٠

(٦) المرجع نفسه ، الجزء الأول ، صص ١٩٠ـ٢١٥ ٠

(٧) **صحيح البخارى** ، الجزء الثانى ، الكتاب الخامس ، ص ٥٥ ٠

(٨) **صحيح مسلم** ، فضائل الصحابة ، ص ١٥٩ ، ١٦٠

(٩) القرآن ، سورة آل عمران ، ٦٤ ٠

(١٠) « **جراتز** » ، ص ١٠٣ ٠

(١١) « **واط** » « محمد فى المدينة » ، صص ٢٠١ ــ ٢ ٠

(١٢) « **جراتز** » ، ٧٤ ٠ القرآن الكريم ، النساء ، ٤٦ ٠

(١٣) Andre Beteille, « Race, Caste and Ethnic Identity », International Social Science Journal, No. 4, 1971, p. 534.

« **أندريه بيتى** » ، « الجنس ، والطائفة والهوية الاثنية » ، مجــلة علم الاجتماع الدولية ، رقم ٤ ، ١٩٧١ ، ص ٥٣٤ ٠

(١٤) Ignaz Goldziher, « **Über die Vorgeschichte der Higa'-Poesie** » **in Abhande. zur arab. Philologie, Part I** (Leyden, 1896), p. 26.

« **اجناز جولدزيهر** » « عن تاريخ شعر الهجاء » فى : « دراسة عن الفيلولوجيا العربية ، الجزء الأول (لايدن ، ١٨٩٦) ، ص ٢٦ » ٠

(١٥) Eversley Belfield, **Defy and Endure**, (New York, 1967). **p. 1-5.**

« **ايفرسلى بلفيلد** » ، « **تحـد وتحـمل** » ، (نيويورك ١٩٦٧) ، ص ١ ــ ٥ .

(١٦) « **بلفيلد** » ، ص ٥ ــ ٦ ٠

(١٧) **ابن هشام** ، ص ٣٥٢ ٠

(١٨) المرجع نفسه ، ص ٣٨١ ٠

(١٩) المرجع نفسه ، ص ٣٩٠ ٠

(٢٠) المرجع نفسه ، ص ٣٨٨ ٠

(٢١) المرجع نفسه ، ص ٣٨٥ ٠

(٢٢) **صالح أحمد العلى** ، « دراسات فى طبوغرافية المدينة (خلال القرن الأول الهجرى) » ، الثقافة الاسلامية ، المجلد الخامس والثلاثون ، رقم ٢ ، أبريل ١٩٦١ ، ص ٧١٢ ٠

(٢٣) **الواقدى** ، الجزء الأول ص ١٧٧ ؛ **ابن سعد** ، الجزء الثانى ، ص ٢٩ ٠

(٢٤) **ابن سعد** ، الجزء الثانى ، ص ٢٩ ٠

(٢٥) **الواقدى** ، الجزء الأول ، ص ١٧٦ ٠

(٢٦) **ابن هشام** ، ص ٥٤٦ ٠

(٢٧) **ابن هشام** ، ص ٦٥٣ ، **الواقدى** ، الجزء الأول ص ٣٦٨ ، **ابن سعد** ، الجزء الثانى، ٥٧ ٠

(٢٨) القرآن ، سورة الحشر ، ٦ ٠

(٢٩) **الواقدى** ، الجزء الثانى ، ص ٥٠١ ؛ **ابن سعد** ، الجزء الثانى ص ٧٤ ٠

(٣٠) القرآن ، سورة الأحزاب ، ٢٠ .

(٣١) **ابن هشام** ، ص ٦٧٣ ٠

(٣٢) **ابن سعد** ، الجزء الثانى ، ص ٩٥ ٠ **وابن هشام** يعطى رقمين ٧٠٠ و ١٤٠٠ ، ص ٧٤٠ ٠

(٣٣) « **واط** » « محمد في المدينة » ، ص ٤٠ ٠

(٣٤) **ابن هشام** ، صص ٧٤٧ ــ ٨ ٠

(٣٥) **ابن هشام** ، ص ٧٤٧ ٠

(٣٦) المرجع نفسه ، ص ٧٤٦ ٠

(٣٧) **الواقدى** ، الجزء الثانى ، ص ٦٣٤ ؛ **ابن سعد** ، الجزء الثانى ص ١٠٦ ٠

(٣٨) وقعت معركة أحد فى مارس ٦٢٥ (٣/١٠) ٠ وقد خــرج الرسول (ص) من المدينة ليحارب ، خلافا لنصيحة عبد الله بن أبى الذى قال : « ما خرجنا منها الى عدو لنا قط الا أصاب منا ، ولا دخلها علينا الا ما أصبنا منه » ٠ (**ابن هشام** ، ص ٥٥٨) ٠ وقد بلغت خسائر المسلمين ٧٠ قتيلا و٤٠ جريحا مقابل ثلاثة قتلى من أهل مكة ٠

(٣٩) **القرآن** ، سورة الفتح ، ٢٩ ٠

(٤٠) **القرآن** ، سورة البقرة ، ٢٦٦ ٠

(٤١) **ابن هشام** ، صص ٣٧٦ــ٧ ٠

(٤٢) المرجع نفسه ، ص ٢٧٠ ٠

(٤٣) أعلاه ، الفصل الثالث ٠

(٤٤) **ابن هشام** ، صص ٥٥٣ــ٥٤ ٠

(٤٥) **ابن هشام** ، ص ٧٤٩ ؛ **البخارى** ، كتاب التفسير ، الجزء السادس ، ص ١٦٩ ٠ **الزمخشرى** ، الجزء الثانى ، صص ٥٤٠ــ٥٤١ ٠ **البيضاوى** ، الجزء الثانى ص ٢٦٦ ٠

(٤٦) « كان من أشراف بنى النضير الذين ساروا الى خيبر سـلام ابن أبى الحقيق ، وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق وحيى بن أخطب ٠ فلما نزلوها دان لهم أهلها » ٠ ابن هشام ، ص ٦٥٣ ٠

(٤٧) « **بلفيلد** » ، صص ٤ــ٥ ٠

(٤٨) « **بارون** » الجزء الثالث ، ص ٧٩ ٠

(٤٩) « **لامانس** » ، الجزيرة العربية الغربية قبل الهجرة ، ص ٧٢ ٠

(٥٠) « **جابريللى** » ، محمد وفتوح الاسلام ، ص ٦٧ ٠

(٥١) أعلاه ، الفصل الأول ٠

(٥٢) صحيح **البخـــارى** ، كتاب التفسير ، الجزء الثانى ، ص ١٠٣ (قول ابن مسعود ان سور بنى اسرائيل (الاسراء) والكهف ومريم نزلت فى أوائل الفترة المكية) ٠ **والزمخشرى** ، الجـــزء الثانى ، ص ٤٣٦ ،

البيضاوى ، الجزء الثانى ، ص ٥٣٢ · **ابن كثير** ، الجـزء السادس ، ص ٤٩ · « **هويرى** » الجزء الثالث ، صص ٥١ ــ ٥٣ · **ريتشارد بيــل** ، « مقدمة للقرآن » (أدنبرة ، ١٩٧٠) ، ص ٢٠٧ ·

(٥٣) انظر « **بيل** » ص ٢٠٧ ·

(٥٤) **الزمخشرى** ، الجرء الثانى ، ص ٢٢٥ ·

(٥٥) **البيضاوى** ، الجزء الأول ، ص ٤٠٧ ·

(٥٦) « **هويرى** » ، ص ٣٢١ ·

(٥٧) المرجع نفسه ، ص ٣٣٨ ·

(٥٨) انظر M. J. Kister, **Hadditlhu' an bani isra'ila wa-la haraja** » Israel Oriental Studies II, 1972, pp. 215-239.

(م·ج· كستر » « حدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج » الدراسات الشرقية الاسرائيلية ، الجزء الثانى ، ١٩٧٢ ، صص ٢١٥ــ٢٣٩ · والمقال لا يكتفى بمناقشة هذا الحديث ، بل يتضمن قائمة شاملة بالمراجع عن موضوع اللقاءات الأولى بين المسلمين واليهود ·

Israel Friedlaender, « Jewish-Arabic Studies », **The Jewish Quarterly Review,** vol I, 1910-11, pp. 183-215, 481-516, De Lacy O'Leary, « The Jewish Transmitters », Arabic Thought and Its Place in History (London 1954).

« **اسرائيل فريدلاندر** » ، « الدراسات اليهودية العربية » ، المجلة اليهودية ربع السنوية ، المجلد الأول ، ١٩١٠ ــ ١١ ، صص ١٨٣ــ٢١٥ و ٤٨١ ــ ٥١٦ ·

« **دى لاسى أوليرى** » رواة الحـديث اليهود » ، الفـكر العـربى ومكانه فى التاريخ (لندن ١٩٥٤) ·

(٥٩) « هذا التأثير ، أى تأثير الأجادا اليهودية والأساطير المسيحية، كان مما سجله وأسف له الفقهاء التقليديون من أقدم عصور الاسلام حتى أوقات متأخرة » ، « **جولدزيهر** » ، الدراسات الاسلامية ، المجلد الثانى ، ص ١٣١ ·

(٦٠) يبدو أن فكرة الملكية اليهودية قد تحـولت الى فـكرة الدولة اليهودية منذ القرن الثامن عشر ·

(٦١) Messianic Movements, **Encyclopaedia Judaica** (Jerusalem 1971), Vol. XI, Column 1413.

« الحركات المسيانية » ، دائرة المعارف اليهودية (القـدس ، ١٩٧١) ، الجزء الحادى عشر ، العامود ١٤١٣ ·

(٦٢) **ابن هشام** ، ص ٣٧٩ ·

Ellis Rivkin, **The Shaping of Jewish History : A Radical Interpretation** (New York : Charles Scribner's Sons, 1971), p. 24.

اليس ريفكين ، تشكيل التاريخ اليهودى : تفسير جذرى (نيويورك: أولاد « تشارلز سكريبنر » ١٩٧١) ، ص ٢٤ ·

(٦٤) انظر هذا الفصل ، ص ١٨٣ ·

(٦٥) **البخارى** ، صحيح ، كتاب البيوع ، الجزء الثالث ، ص ٧٢ ·

(٦٦) البخـــارى ، صحيح كتاب البيوع ، الجزء الثالث ، صص ٦٨ــ ٦٩ ·

(٦٧) **البلاذرى** ، فتوح البلدان ، أعـــده للنشر م·ج·دى جوجى M. J. de Goeje (لايدن ١٨٦٦) ص ٥٦ .

(٦٨) **ابن هشام** ، صص ٢٧٩ــ٨١ ·

(٦٩) « **واط** » ، « محمد فى مكة » ، ص ٢٣ ·

(٧٠) المرجع نفسه ، ص ٣ ·

(٧١) « س·د· جويتاين » ، (اليهود والعرب ، ص ١٢٧) يسميه « بالتعايش اليهودى ــ العربى » ·

(٧٢) **البخارى** ، صحيح ، كتاب البيوع ، الجزء الثالث ، صص ٧٣ــ٧٤ ·

(٧٣) « **رودنسون** » ، محمد ، صص ٢٨٠ــ٨١ ·

(٧٤) « **واط** » « محمد فى المدينة » ، ص ٢٨٧ ·

(٧٥) المرجع نفسه ، ص ٢٨٨ · كانت ريحانة أرملة من بنى قريظة ·

(٧٦) منح الاسلام على أية حال استقلالا ذاتيا دينيا لليهود ؛ وقد بقى هذا الاستقلال فى شكل نظام « الملة » حتى سقوط دولة آل عثمان ·

(٧٧) «**واط** » ، محمد فى المدينة ، ص ٢١٩ ·

(٧٨) Richard Freeman », *Repentance and Revolt : A. Psychological approach to History* (Rutherford, N. J. : Fairleigh Dickinson University Press, 1970), p. 29.

« **ريتشارد فريمان** » ، « التوبة والثورة : نهج سيكولوجى للتاريخ »
« **روثرفورد** » ن.ج. : مطـابع جامعـة فيرليـه ديكنسـون ،
١٩٧٠ ، ص ٢٩ .

(٨٠) عين عمر بوستناى كرأس جالوت فى سنة ٦٤٠ ، انظر :

David Goode, « **The Jewish Exilarchate During and the Arabic Period in Mespotamia From 637 A.D. to 1258 A.D.** John Hopkins University, Ph. D. thesis 1940) », p. 33.

« **دافيد جود** » ، « مركز رأس الجالوت اليهودى خلال الفترة العربية فيما بين النهرين ، من ٦٣٧ الى ١٢٥٨ ميلادية » (رسالة دكتوراه فى جامعة جون هوبكين ، ١٩٤٠) ص ٣٣ .

(٨١) « **ريفكين** » ، « تشكيل تاريخ اليهود » ، ص ١٣٨ .

(٨٢) « **جويل كار ميخائيل** » ، « تشكيل العرب : دراسة فى الهوية الاثنية » ، (نيويورك ، ١٩٦٧) ص ٥٤ .

تعقيب

لم يكن هناك وقت ، منذ ظهور الاسلام الى الآن ، لـم تعش فيه أعداد كبيرة من اليهود تحت الحـكم الاسـلامى • وليست هناك مرحلة فى تاريخ الاسلام لا تتردد أصداؤها فى أنحاء التاريخ اليهودى • وليس هناك شكل من أشـكال الاسلام ليس له مقابله اليهودى • ورغم أنه حدث فى فترات عديدة أن زيدت حدة الخلافات بين الاسلام واليهودية لتأصيل العداء بينهما فان هذه الخلافات كانت كذلك مسـئولة عن عـدد من أعظم الانجـازات اليهودية الخـلاقة فى العصـور الوسطى •

لقد ازدهرت أوضاع اليهود تحت الحكم الأموى وتحت الحكم العباسى ووجد اليهود طريقهم الى كل جزء من أجزاء الامبراطورية الاسلامية تقريبا • وساد الرخاء مجتمعاتهم فى شمال أفريقيا وفى أسبانيا • وشجع العباسيون بصورة خاصة مشروعات اليهود ونشأت من هؤلاء طبقة ذات شـأن وان كانت قليلة العدد من كبـار التجـار والصيارفة لعبت بحلول القرن العاشر دورا بارزا فى مالية الخلافة • وكانت سياسة الخلفاء سياسة عمليـة تستلهم مصـالحهم الخاصـة لا نصوص القرآن •

وكانت علاقة اليهود بالاسلام علاقة معقـدة • وكانت هذه العلاقة ايجابية فى بعض الأحيان وسـلبية فى أحيـان أخرى • وكان اليهود الذين عاشوا خلال القرن العاشر تحت حكم العباسيين يمرون بفترة انهيار كبير ، بينما كان اليهود فى الأندلس يبدءون عصرا ذهبيا • وفى القرن الثانى عشر فر « ميمون » من الاسلام ، الذى كان يماديه ، فى الأندلس

وأقام فترة فى شمال أفريقيا الاسلامى الذى كان يكن له العداء أيضا ، ولكن مصر الاسلامية رحبت به وأتاحت له الفرصة لكى يصبح طبيبا لوزير صلاح الدين • لقد هيأ الاسلام ظروفا مواتية لقدرة اليهود الخلاقة ولكن المناخ العام كان فى مجموعه غير ودى تجاه اليهود • والذى يتضح من سجل التاريخ هو أن الخلافات بين الاسلام واليهودية لم تكن تولد العداء فى جميع الأحوال •

Ellis Rivkin « اليس ريفكين »

ببليوغرافيــا

أولا ــ مصادر أولية

القــرآن الكريم ·

ابن آدم ، يحيى ، **كتاب الخراج** ، لايدن : ا·ج· بريل ، ١٨٩٦ ·
Leiden : E. J. Brill, 1896.

ابن الأثير ، عز الدين ، **الكامل في التاريخ** ، أعده للنشر ك·ج·
تورنبرج ، الجزء الأول لايدن : ا·ج· بريل ، ١٨٥١ ·
Ed. C.J. Tornberg, Vol I, Leiden : E.J. Brill 1851.

ابن العماد ، عبد الحى بن احمد ، **شــذرات الذهب فى اخبــار من ذهب** ، القــاهرة ، مكتبة القدس ، ١٣٥٠ ــ ١٣٥١ ، ٨ اجزاء فى ٤ ، أوفست ، فى بيروت ، ١٩٦٦ ·

ابن حبيب ، محمد بن حبيب ، **كتاب المحبر** · حيدر آباد ، ١٩٤٢ ·

ابن حجر العسقلانى ، **تهذيب التهذيب** ، ١٢ جزءا · حيدر آباد ١٣٢٥ ــ ٠٧

ــ **الاصابة فى تمييز الصحابة** ، ٤ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٣٩ ·

ابن حزم ، أبو محمد على بن احمد · **الفصل فى الملل والأهواء والنحل** · القاهرة ، ١٣٤٧ هـ ·

ابن حنبل ، **المسند** ، ٦ أجزاء ، القاهرة ١٣١٣ ·

ابن خرداذبة ، كتاب **المسالك والممالك** ، أعده للنشر م·ج· دى جويج · ed. M. J. de Goeje ليدن ا· ج· بريل Leiden : E. J. Brill ١٨٨٩ ·

ابن خلدون ، **المقدمة** ، ترجمة فرانز روزنتال Franz Rosenthal ، الطبعة الثانية ، منقحة ، برنستون Princeton ، ١٩٧٠ ·

ابن خلكان ، كتاب **وفيات الأعيان وأنباء أبنــاء الزمان** ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ، بدون تاريخ ، ترجمة بارون ماك جوكين دى سلين ·
Baron Mac Guckin de Slane.

باريس ، ١٨٤٢ـ٧١ ، أعيد طبعه فى كراتشى ، ١٩٦٤ ٠

ابن سـعد ، أبو عبد الله محمد ، كاتب الواقدى ٠ **الطبقـات الكبرى** ،
٧ أجزاء ، بيروت ، دار بيروت ، ١٩٥٧ـ٦٠ ٠

ابن سلام ، أبو عبيد القاسم ٠ كتاب **الأموال** ، القاهرة ، ١٩٦٨ ٠

ابن سيد الناس ، محمد بن محمد ، **عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير** ، جزءان ٠ القاهرة ، ١٣٥٦ ٠

ابن عبد البر :
ـ **كتاب الاستيعاب فى معرفة الأصحاب** ، حيدر أباد ، ١٣١٨ هـ ٠
ـ **جامع بيان العلم وفضله** ، القاهرة ، ١٣٢٠ هـ ٠

ابن كثير ، اسماعيل بن عمر ٠ **البداية والنهاية** ـ ٤ أجزاء ٠ القـاهرة ، ١٩٦٦ ٠

ـ **تفسير القرآن العظيم** ، ٤ أجـزاء ٠ القـاهرة : عيسى البـابى الحلبى ، بدون تاريخ ٠

ابن هشام عبد الملك **سيرة رسول الله** ، أعده للنشر ف ٠ وستنفلد F. Wustenfeld ، جزءان فى ٣ ـ جوتنجن Gottingen, ، ١٨٥٨ـ٦٠ ٠

أبو داود ، **السنن** ، ٤ أجـزاء ٠ دلهى ، ١٣١٨ هـ ٠

أبو يوسف ، كتاب **الخراج** ، القاهرة ١٣٤٦ هـ ٠

الأزرقى ، محمد بن عبد الله بن أحمد ٠ **اخبار مكة** ، جزءان فى مجلد واحد ٠ مكة ، ١٩٦٥ ٠

البخارى ، محمد بن اسماعيل : **صحيح البخـارى** ، ٣ مجـلدات ، القاهرة ، مطابع الشعب ، بدون تاريخ ٠

البخارى ، كتاب **التاريخ الكبير** ٠ حيدر أباد ، ١٣٦١ ١٣٦١ هـ ٠

البغدادى ، الخطيب ٠ **تاريخ بغداد** ، القـاهرة ١٩٣١ ٠

البلاذرى ، أبو العباس بن جابر ، كتاب **فتوح البلدان** ، أعده للنشر م ٠ ج ٠ دى جويج M.J. Goeje لايدن ، ١٨٦٦ ، أعيد طبعه فى بيروت ، ١٩٥٧ ٠

البيضاوى ، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** ، أعده للنشر هـ٠ ٠ فليشر ٠ H. O. Fleischer.

جزءان · أوزنابروك : ببليو Osnabruck : Biblio ، ١٩٦٨
نسخة طبق الأصل من طبعة لايبزيج Leipzig الصادرة ١٩٧٨ ·

الترمذى ، أبو عيسى · **جامع ترمذى شريف** · جزءان · لاهور · غلام على وأولاده ، ١٩٦٣ ·

الجمحى ، محمد بن سلام · **طبقات الشعراء** · أعده للنشر جوزيف هيل Joseph Hill ، لايدن : ا·ج· بريل E. J. Brill ١٩١٦ ·

الذهبى ، **تذكرة الحفاظ** ، ٤ **أجزاء** ، حيدر آباد ، ١٣٣٣ ـ ٤ ·
ـ **ميزان الاعتدال فى نقد الرجال** ، ٤ أجزاء ، القاهرة ، ١٣٨٢ ـ ١٩٦٣ ·

الزرقانى ، **شرح المواهب اللدنية** ، القاهرة ، ١٣٢٥ هـ ·

الزمخشرى ، **الكشاف** ، ٤ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٦٦ ·

السمهودى ، **وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى** ، ٤ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٥٥ ·

السهيلى ، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد · **الروض الأنف** ، القاهرة ، بدون تاريخ ·

الشافعى : **الرسالة** · أعده للنشر م· شاكر ، القاهرة ، ١٩٣٨ ·
ـ **كتاب الأم** · القاهرة ، ١٣٨١/١٩٦١ ·

الشهرستانى ، محمد بن عبد الكريم · كتاب **الملل والنحل** · أعده للنشر و م · كورتون ، لندن ، جمعية نشر النصوص الشرقية ١٨٤٢ ·
Wm Cureton, Society for The Publication of Oriental Texts

الاصبهانى ، أبو الفرج ، كتاب **الأغانى** ـ ١٧ جزءا · القاهرة ، بدون تاريخ ، و ٢٣ جزءا ، بيروت ، ١٩٦٠ ·

الأصفهانى ، أبو نعيم ، **دلائل النبوة** ، حيدر أباد ، ١٣٢٠ هـ ·

الطبرى ، أبو جعفر ـ **تاريخ الرسل والملوك** · القاهرة ١٩٦١ ·
ـ **تفسير** · القاهرة ، بدون تاريخ ·

النسائى ، أحمد بن شعيب ، **سنن** ، القاهرة ١٨٩٤ ·

الواقدى ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد · كتاب **المغازى** ، أعده للنشر مارسدن جونز Marsden Jones ، جزءان ، لندن ، مطابع جامعة أوكسفورد Oxford University Press ١٩٦٦ ·

اليعقوبى ، ابن واضح ، **تاريخ** ، أعده للنشر م· ث· هوتسما Ed. M. th. Houtsma ١٨٨٣ ، وبيروت ، ١٩٦٠ ·

مالك بن أنس ، **الموطــأ** ، القاهرة ، ١٨٩٢ ٠

مسلم بن الحجاج ، **صحيح مسلم مع شرح النووى** ، جزءان ، لاهور ٠
غلام على وأولاده ، ١٩٥٨ـ٦٢ ، ١٨ جزءا ، القــاهرة ، بدون تاريخ ٠

ياقوت ، **معجم البلدان** ٠ القاهرة ، ١٩٣٥ ــ ٣٨ ٠

ــ **معجم البــلدان** ، تحــقيق ف٠ وســتنفلد F. Wustenfeld
٦ أجزاء ٠
Leipzig F. A. Brockhaus for the Deutschen Morgenlandischen Gestlschaft. ليبزج ١٨٦٦ ــ ١٨٧٣ ٠

ثانيا ــ مؤلفات حديثة
(بالترتيب الذى وردت به فى الأصل)

Abbott, Nabia, **Studies in Arabic Literary Papyri, I. Historcal Texts**.
Chicago : The University of Chicago Press, 1957.

أبوت ، نابيه ، **دراسات للأدب العربى فى أوراق البردى ، أولا ــ نصوص تاريخية** ، **شيكاغو** ، ١٩٥٧ ٠

أبو رية ، محمود ، **أضواء على السنة المحمدية** ، القاهرة ، ١٩٥٨ ٠

Abul A'la Maududi. **Islamic Way of Life**. Delhi, 1967.

أبو الأعلى مودودى ، **طريقة الحياة الاسلامية** ٠ دلهى ، ١٩٦٧ ٠

Ali, Muhammad. Muhammad the Prophet. Lahour 1924.

على ، محمد ٠ محمد النبى ٠ لاهور ، ١٩٢٤ ٠

Ali, Sayed Ameer. **The Sprit of Islam.** London, 1964.

على ، سيد أمير ٠ **روح الاسلام** ٠ لندن ، ١٩٦٤ ٠

Altheim, Franz and Stiehl, Ruth. **Finanzgeschichte der Spatantike.**
Frankfurt am Main : V. Klosterman 1957.

التهايم ، فرانز وستيل ، روث ٠ **التاريخ المالى للعصر القديم المتأخر** ٠
فرانكفورت أم مين ١٩٥٧ ٠

Baron, Salo Wittmayer. **A Social and Religious History of the Jews**
New York : Columbia University Press, 1964.

بارون ، سالوويتمــاير · **تاريخ اجتمــاعى ودينى لليهود** · نيويورك ، ١٩٦٤ ·

Belfield, Eversley. **Defy and Endure,** New York : Macmillan, 1967.

بلفيد ، افرسلى ، **تحدى وتحمل** ، نيويورك ، ١٩٦٧ ·

Bell, Richard. **Introduction of the Qura'an,** ed. Montgomery Watt. Edinburgh ÷ University Press, 1970.

بيل ، ريتشارد · مقدمة للقرآن · أعده للنشر مونتجمرى واط ، ١٩٧٠ ·

Bell, Richard. **The Origin of Islam in its Christian Environment.** London : Macmillan and Co. Ltd., 1926.

بيل ، ريتشارد · **أصل الاسلام فى بيئته المسيحية** ، **لندن** ، ١٩٢٦ .

Borneff, Joachim, **Hygiene.** Stuttgart : Thieme Verlag, 1971.

بورنيف ، **يواكيم** · **التدابير الصحية** · **ستوتجارت** ، ١٩٧١ ·

Browne. Edward G. A. **Literary History of Persia**. Cambridge : University Press, 1902-24, repr. 1964.

براون ، ادوارد ج· تاريخ أدبى لفارس ، ١٩٠٢ـ٢٤ ، أعيد طبعه فى ١٩٦٤ ·

Caetani, Leone. **Annali dell' Islam milan :** Hoepli, 1905 ff.

كايتانى ، **ليون** · **حوليات الاسلام** · **ميلانو** ، ١٩٠٥ وبعدها ·

Carmichael, Joel. **The Shaping of the Arabs ÷ A Study in Ethnic Identity** . New York : The Macmillan Company, 1967.

كارمايكل ، جويل · **تشكيل العرب : دراسة فى الهوية الاثنية** · نيويورك ، ١٩٦٧ ·

Clive, John Macaulay : **The Shaping of the Historian**. New York : Knopf, 1973.

كلايف ، جون : ماكولى : **تشكيل المؤرخ** · نيويورك ، ١٩٧٣ ·

Denton. R.C. **The Idea of History in the Ancient Near East**. New Haven . Yale University Press, 1966 .

دنتون ، ر·ك· **فكرة التاريخ فى الشرق الأدنى القديم** · نيوهافن ١٩٦٦ ·

Freeman, Richard. **Repentence and Revolt :** A Psychological Approach to History. Rutherford, N. J. : Fairleigh Dickinson University Press, 1970.

فريمان ، ريتشارد · **التوبة والثورة : نهج سيكولوجى للتاريخ** · روثرفورد ، ن·ج· ١٩٧٠ ·

Fuck, Johan. **Muhammad Ibn Ishaq.** Frankfurt am Main, 1925.

فوك ، يوهان · محمد بن اسحاق · فرانكفورت ام مين ، ١٩٢٥ ·

Gabrieli, Francesco. **Muhammad and the Conquests of Islam,** tr Virginia Luling and Rosamund Linell. London, 1968.

جابريللى ، فرانشسكو · **محمد والفتوح الاسلامية** ، ترجمة فرجينيا لولنج وروزاموند لينيل · لندن ، ١٩٦٨ ·

Geiger, Abraham, **Was hat Mohammad aus dem Judenthume aufgenom men** ? Bonn, 1833. 2nd rev. ed., Leipzig : M. W. Kaufmann, 1902.

جايجر ، أبراهام · **ما الذى أخذه محمد من اليهودية ؟** ، بون ، ١٨٣٣ · طبعة ثانية منقحة · لايبزج ، ١٩٠٢ ·

Goitein, S. D. **Jews and Arabs : Their contacts through the Ages.** New York : Schocken Books Inc., 1955.

جويتاين س · د · **اليهود والعرب : اتصالاتهم عبر العصور** · نيويورك ، ١٩٥٥ ·

— **A Mediterranean Society,** Vol. II Berkeley : University of California Press : 1971.

— **من مجتمعات البحر المتوسط** ، الجزء الثانى ، بركلى ، ١٩٧١ ·

Goldziher, Ignaz. **Muslim Studies tr.** C. R. Barber and S. M. Stern. 2 vols. Chicago : Aldine Publishing Co., 1967, 1971.

جولدزيهر ، اجناس · **دراسات اسلامية** ، ترجمة ك · ر · باربر ، و س · م · سترن · جزءان · شيكاغو ، ١٩٦٧ ، ١٩٧١ ·

Goode, Alexander David, « **The Jewish Exilarchate During the Arabic Period in Mesopotamia From 637 A.D. to 1258 A D.** » Unpublish, ed Thesis, Johns Hopkins University, 1940.

جود ، الكسندر دافيد ، **رئاسة الجالوت اليهودية خلال الحكم العربى فيما بين النهرين من ٦٣٧ الى ١٢٥٨ ميلادية** · رسالة دكتوراه ، لم تنشر ، مقدمة الى جامعة جون هوبكنز ، ١٩٤٠ ·

Graetz, Heinrich. **History of the Jews.** Philadelphia : The Jewish Publication Society of America, 1894.

جراتز ، هينريش · **تاريخ اليهود** ، فلادلفيا ١٨٩٤ ·

Grayzel, Solomon. A History of the Jews. Mentor Book. New American Library, 1968.

جرايزل ، سلومون · **تاريخ اليهود** ، ١٩٦٨ ·

Grimme, H. Mohammed. Munster : Aschendorff, 1892-1895.

جريم ، هـ. محمد. منستر ، ١٨٩٢ ـ ١٨٩٥ .

Guillaume, A., **The Life of Muhammad** : A translation of Ibn Ishaq's Sirat Rasul Allah . London : Oxford University Press, 1970.

غليوم ، ا. **حياة محمد** : ترجمة لسيرة رسول الله لابن اسحاق . لندن ، ١٩٧٠ .

— **The Tradition of Islam**. Beirut : Khayats 1966, repr. of ed. of 1924.

ـ **سنة الاسلام** . بيروت ، خياط ، ١٩٦٦ ، طبعـــة جديدة لكتاب صدر فى ١٩٢٤ .

Hamidullah, Muhammad. The First written Constitution in the World 2nd rev. ed. Lahore : Sh. Muhammad Ashraf, 1968.

حميد ، **محمد** . أول دستور مكتوب فى العالم . طبعة ثانية منقحـــة . لاهور ، ١٩٦٨ .

— **Muhammad Ibn Ishaq**. Karachi : Pakistan Historical Society, 1967.

محمد ابن اسحاق . كراتشى . جمعية باكستان التاريخية ، ١٩٦٧ .

Hilberg, Raul. ed. **Documents of Destruction** : **Germany and Jewry** 1933-1945. Chicago : Quadrangle Books, 1971.

هيلبرج ، راؤول . **وثائق التدمير : المانيا واليهود** ١٩٣٣ ـ ١٩٤٥ ، شيكاغو ، ١٩٧١ .

Hirschberg, Joachim Wilhelm (Haim Zeev), **Israel in Arabic**. **Tel Aviv** : Mossad Bialick and Masada, 1946. (Hebrew).

هيرشبرج ، يواكيم ويلهلم (حاييم زيف) ، اسرائيل فى الجزيرة العربية . تل ابيب ، ١٩٤٦ (بالعبرية) .

Horovitz, J., **Koranische Untersuchungen**. Berlin Leipzig 1926.

هوروفيتز ، ج. **دراسات قرآنية** . برلين ـ لايبزج ، ١٩٢٦ .

Josephus, **Works**. (4 vols) London : Loeb Classical Library, 1925-30.

جوزيفوس . **أعمال** . (٤ أجزاء) لندن ، ١٩٢٥ ـ ٣٠ .

Juynboll, G.H.A., **The Authenticity of Tradition Literature** : Discussions in Modern Egypt. Leiden : E. J. Brill, 1969.

جوينبول ، ج. هـ. ا. **صحة الأحاديث : مناقشات فى مصر الحديثة** ، لايدن ، ١٩٦٩ .

Khadduri, Majid and Liebesny, Herbert J., **Laws in the Middle-East**, Washington D.C. : Middle East Institute, 1955.

خدورى ، مجيد وليبستى ، هربرت ج· **القانون فى الشرق الأوسط** ، واشنطون دى سى · معهد الشرق الأوسط ، ١٩٥٥ ·

Lammens, H., L'**Arabie occidentale avant L'Hegire.** Beyrouth : Imprimerie Catholique, 1928.

لامانس ، هـ· **عرب الجزيرة العربية قبل الهجرة** · بيروت : المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٢٨ ·

— **Islam : Beliefs and Institutions**. tr. Sir E. Denison Ross. New York : Dutton & Co., 1929.

— **الاسلام : معتقداته ومؤسساته** · ترجمة السير ا· دنيسون روس · نيويورك ، ١٩٢٩ ·

Leff, Gordon. **History and Social Theory**. University, Ala. : The University of Alabama Press, 1969.

ليف ، غوردون · **التاريخ والنظرية الاجتماعية** · الاباما ، ١٩٦٩ ·

Leszunsky, Rudolf, **Die Juden in Arabien Zur Zeit Mohammeds.** Berlin. Mayer & Muller, 1910.

ليزنسكى ، رودولف · **اليهود فى الجزيرة العربية فى زمن محمد** · برلين ، ١٩١٠ ·

Levy, Barbara. **A Legacy of Death**. Englewood Cliffs, N.J. : Prentice-Hall, 1973.

ليفى ، باربارا · **تراث الموت** · نيوجرسى ، ١٩٧٣ ·

Lewis, Bernard. **The Arabs in History.** London : Hutchinson & Co., 1950.

لويس ، برنارد · **العرب فى التاريخ** ، لندن ١٩٥٠ ·

— **History — Rememered. Recovered, Invented.** Princeton : Princeton University Press, 1975.

— التاريخ — تذكره واستعادته واصطناعه · برنستون ، ١٩٧٥ ·

Lewis, Bernard and Holt, P.M., ed. **Historians of the Middle East. London** & New York : Oxford, University Press, 1962.

لويس ، برناد وهولت ، ب·م· **مؤرخو الشرق الأوسط** · لندن ونيويورك ١٩٦٢ ·

Lukacs, John **Historical Consiousness ; or the Remembered Past.** New York : Harper and Row, 1968.

لوكاكس ، جون · الوعي التاريخي أو تذكر الماضي · نيويورك ، ١٩٦٨ ·

Margoliouth, D.S. **The Early Development of Mohammedanism.** London : Williams & Norgate, 1914.

مارجوليوث ، د·س· تطور الاسلام في فترته الأولى · لندن ١٩٤١ ·

— The Relations **Between Arabs and Israelites prior to the Rise of Islam**. London : Oxford University Press, 1924.

— العلاقات بين العرب واليهود قبل ظهور الاسلام ، لندن ، ١٩٢٤ ·

Margolis, Max L. and Marx, Alexander . **A. History of the Jewish People.** New York : Harper & Row, 1927.

مارجوليس ، ماكس ل· وماركس ، الكسندر · تاريخ الشعب اليهودي · نيويورك ، ١٩٢٧ ·

Muir, William. **The Life of Muhammad,** ed T.H. Weir. Edinburgh : John Grant, 1912.

موير ، وليام · حياة محمد · ادنبره ، ١٩١٢ ·

Nicholson, R. A., **A Literary History of the Arabs** : Cambridge University Press, 1966. First Published, 1907.

نيكولوسون ، ر·أ· تاريخ آداب العرب · كمبردج ، ١٩٦٦ · الطبعة الأولى ، ١٩٠٧ ·

Noldeke, Theodore. **Geschichte des Qorans.** Gottingen, 1860. and second edition completed by Gergstrasser, F. Schwally and O. Pretzl. 1909-1938.

نولدكه ، تيودور · تاريخ القرآن · جوتنجن ، ١٨٦٠ ، والطبعة الثانية بزيادات من ج · برجستراسر ، وف · شوالي ، وأ· برتزل ، ١٩٠٩– ١٩٣٨ ·

O'Leary, De Lacy. **Arabia Before Muhammad.** London : Kegan Paul, 1927.

اوليرى ، دى لاسى ، الجزيرة العربية قبل محمد – لندن ، ١٩٢٧ ·

— **Arabic Thought and its Place in History.** London : Routledge, Kegan Paul, 1954.

— الفكر العربي ومكانه من التاريخ – لندن ، ١٩٥٤ ·

Petersen, Erling Ladewig « **Ali and Muawiya in Early Arabic Tradition.** Copenhagen : Munksgaard, 1964.

بترسن ، ارلنج لادويج ، على ومعاويه فى الكتابات العربيــة الأولى ـ كوبنهاجن ـ ١٩٦٤ ·

Philby, H. St. J. **The Background of Islam**. Alexandria Whitehead, Moris, 1947.

فيلبى هـ· س· ج· **خلفية الاسلام** ـ الاسكندرية ، ١٩٤٧ ·

Raglan, Lord. **The Hero : A study in Tradition, Myth, and Drama**. New York : Vintage Book, 1956.

راجلان ، لورد · **البطل : دراسة فى المأثور والخرافة والدراما** · نيويورك ، ١٩٥٦ ·

Rivkin Ellis. **the Shaping of Jewish History**. New York : Charles Scribnerr's Sons, 1971.

ريفكين ، اليس · **تشكيل التاريخ اليهودى** · نيويورك ، ١٩٧١ ·

Rodinson, Maxime. **Mohammed,** tr. Anne Carter. New York : Pantheon Books, 1971.

رودنسون ، مكسيم · محمد · ترجمة آن كارتر · نيويورك ، ١٩٧١ .

Schacht, Joseph. **The Origins of Muhammadan Jurisprudence** Oxford : Clarendon, 1953.

شاخت ، جوزيف · **أصول الفقه الاسلامى** · أوكسفورد ، ١٩٥٣ ·

Shaban, M. A. **Islamic History A.D 600-750 (A. H. 132) : A New Interpretation**. Cambridge : Cambridge University Press, 1971.

شعبان ، م·ا· **التاريخ الاسلامى ٦٠٠ ـ ٧٥٠م (١٣٢ هـ) تفسير جديد** · كمبريدج ، ١٩٧١ ·

Shahid, Irfan. **The Martyrs of Najran** : New Documents. Bruxelles : Societe des Bollandistes, 1971.

شاهد ، عرفان · **شهداء نجران : وثائق جديدة** ، بروكسل ، ١٩٧١ ·

Smith, W. Robertson. **Kinship and Marriage in Early Arabia**. Boston : Beacon Press, n.d., first published in 1903.

سميث ، و· روبرتسون · **القرابة والزواج فى الجزيرة العربية القديمة** · بوسطون ، بدون تاريخ · الطبعة الأولى ١٩٠٣ ·

Thomson, David. **The Aims of History**. London 1969.

تومسون ، دافيد · **أهداف التاريخ** · لندن ، ١٩٦٩ ·

Torrey, Charles Cutler. **The Jewish Foundation of Islam**. Introduction by Franz Rosenthal. New York : Ktav Publishing House, Inc., 1967.

تورى ، تشارلز كتلر · الأســاس اليهودى للاســلام · مقــدمة بقــلم فرانز روزنتال · نيويورك ، ١٩٦٧ ·

Usque, Samuel, **A Consolation for the Tribulations of Israel-Third Dialogue**, tr. Gershon T. Gelbart. New York : Gershon I. Gelbart Memorial Fund, 1964.

يوسكويه ، صمويل · عزاء عن بلايا اسرائيل · الحــوار الثــالث · ترجمة جرشون ا· جلبارت · نيويورك ، ١٩٦٤ ·

Von Grunebaum, G.E., ed. **Studies in Islamic Cultural History.** Menasha, Wisconsin : American Anthropological Assn., 1954.

فون جرونباوم ، ج ا· دراسات فى التاريخ الثقافى الاسلامى · منشه ، ويسكونسن ، ١٩٥٤ ·

Watt W. Montgomery. **Islamic Political Thought**. Edinburgh : Edinburgh University Press, 1968.

واط ، و· مونتجمرى · الفكر السياسى الاسلامى · ادنبره ١٩٦٨ ·

— **Muhammad** at Mecca. Oxford : Clarendon Press, 1953.

ـ محمد فى مكة · أوكسفورد ، ١٩٥٣ ·

— **Muhammad** at Medina. Oxford : Clarendon Press, 1956.

ـ محمد فى المدينة · أوكسفورد ، ١٩٥٦ ·

Wellhausen, J. **Skizzen und Vorarbeiten**, 6 Vols. in 4 Berlin : G. Reimer 1884. 1899.

ولهاوزن ، ج· خطوط عريضة ومشروعات · ٦ أجزاء فى ٤ · برلين ، ١٨٨٤ـ١٨٩٩ ·

Wensinck, A.J. **Mohammed en de Joden te Medina**. Leiden : E. G. Brill, 1908.

ونسينك ، ا·ج · محمد واليهود فى المدينة ، لايدن : ا·ج· بريل ، ١٩٠٨ ·

Wherry, the Rev. E.M. **A Comprehensive Commentary on the Quran :** Comprising Sale's Translation and Preliminary Discourse. 4 Vols. London. : Kegan Paul, 1896.

هويرى ، القس المحترم ا·م· تعليق شامل على القرآن : يشمل ترجمة وملاحظات مبدئية ـ ٤ مجلدات · لندن ، ١٨٩٦ ·

Wolfenson, Israel, Tarikh al Yahud fi Bilad al-Arab. Cairo : Al-I'timad Press, 1927. (Arabic)

ولفنسون ، اسرائيل · تاريخ اليهود فى بلاد العرب · القاهرة : مطبعة الاعتماد ، ١٩٢٧ (بالعربية) ·

ثالثا ـ مقالات

(بالترتيب الذى وردت به فى الأصل)

Al-Ali, Salef Ahmad. « **Studies in the Topography of Medina (During the First Century A.H.)**. Islamic Culture. Vol. xxxv. April, 1961.

العلى ، صالح أحمد • « دراسات فى طبوغرافية المدينة (خلال القرن الأول الهجرى) » ، الثقافة الاسلامية • المجلد الخامس والثلاثون • ابريل ، ١٩٦١ •

Beteille, André. « **Race, Caste and Ethnic Identity** ». International Social Science Journal. Vol. XXIII. No 4, 1971.

بيتى ، أندريه • « الجنس والطائفة والهوية الاثنية » ، مجلة علم الاجتماع الدولية ، المجلد الثالث والعشرون ، رقم ٤ ، ١٩٧١ •

Duri, A. A., « **Al Zuhri** ». Bulletin of the School of Oriental and African Studies, Vol. IX. 1957.

دورى ، ١٠١٠ : الزهـرى « نشرة مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية» ، المجلد التاسع ، ١٩٥٧ •

Friedlaender, Israel. « **Jewish Arabic Studies** » The Jewish Quarterly Review »Vol. I (1910-11), pp. 183-215 and 481-517.

فريدلاندر • « الدراسات اليهودية العربيـة » ، المجـلة اليهودية ربع السنوية ، المجلد الأول (١٩١٠ ـ ١١) صص ١٨٣ـ٢١٥ ، ٤٨١ـ٥١٦ •

Gil, Moshe. « **The Constitution of Medina : a reconsideration** » Israel Oriental Studies. (Tel. Aviv, 1974) vol. IV.

جيل ، موشى • « دستور المدينة : نظرة جديدة » • الدراسات الشرقية الاسرائيلية • (تل أبيب ، ١٩٧٤) المجلد الرابع •

Haim, Sylvia G. « **Arabic Antisemitic Literature** » Jewish Social Studies, Vol. XVII. No. 4.

حاييم ، سيلفيا ج٠ ، « الأدب العربى المعادى للسامية » ٠ الدراسات الاجتماعية اليهودية ٠ المجلد السابع عشر ، رقم ٤ ٠

Horovitz, Joseph. « **The Earliest Biographies of the prophet and Their Authors** ». Islamic Culture. 1928. pp. 535-59, 22-50, 164-182, 495-625.

هوروفتز ، جوزيف ٠ «أقدم سير الرسول ومؤلفوها» ٠ الثقافة الاسلامية ـ ١٩٢٨ ص‌ص ٥٣٥ـ٥٩ و ٢٢ ـ ٥٠ و ١٦٤ ـ ١٨٢ ، ٤٩٥ ـ ٦٢٥ ٠

— « **Judaeo-Arabic Relations in Pre-Islamic Times** » Islamic Culture Vol. III. 1929.

ـ « العلاقات بين اليهود والعرب فى الجاهلية » ٠ الثقافة الاسلامية، المجلد الثالث ، ١٩٢٩ ٠

Jones J.M.B. « **Ibn Ishaq and Al-Waqidi** « Bulletin of the School of Oriental and African Studies. XXII. 1959.

جونز ، ج٠م٠ب٠ « ابن اسحاق والواقدى » ٠ نشرة مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية ٠ المجلد الثانى والعشرون ، ١٩٥٩ ٠

— « **The Chronology of the Maghzi — A Textual Survey** », Bulletin of the School of Oriental and African Studies. Vol. XIX. 1957.

ـ « تسلسل تواريخ المغازى ٠ عرض للنصوص ٠ » نشرة مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية ٠ المجلد التاسع عشر ، ١٩٥٧ ٠

Kister, M. J., « **Haddithu an bani Isra'ila Wa-la Haraja'** » Irsael Oriental Studies, 1972.

كستر ، م٠ج٠ « حدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج » ٠ الدراسات الشرقية الاسرائيلية ، ١٩٧٢ ٠

— « **Al-Hira** ». **Arabica**. Vol. XV. June 1968.

ـ « الحيرة » ـ أرابيكا ـ المجلد الخامس عشر ٠ يونيو ١٩٦٨ ٠

— « **The Market of the Prophet** ». The Journal of the Economic and Social History of the Orient. Vol. VIII. December 1965.

ـ « سوق النبى » ٠ مجلة التاريخ الاقتصادى والاجتماعى للشرق المجلد الثامن ، ديسمبر ١٩٦٥ ٠

— « **Mecca and Tamim** ». The Journal of the Economic and Social History of the Orient. November 1965.

— « **مكة وتميم** » . مجله التاريخ الاقتصادى والاجتماعى للشرق ، نوفمبر ١٩٦٥ .

— « **Notes on the Papyrus Text About Mohammad's** Compaign against the Al-Nadir ». Archiv Orientalni, Vol. 32, 1967.

— « ملاحظات على النص المحرر على ورق البردى عن غزوة محمد لبنى النضير » . الأرشيف الشرقى ، المجلد ٣٢ ، ١٩٦٧ .

— « **The Expedition to Bi'r Ma-una** ». Arabic and Islamic Studies in Honour of Hamilton A. R. Gibb ed. George Makdisi. Leiden, 1965.

— « غزوة بئر معونة » . الدراسات العربية والاسلامية لتكريم هاملتون ا.ر. جيب . أعده للنشر جورج مقدسى ، لايدن ، ١٩٦٥ .

Kuper, Leo. « **Political Changes in Plural Societies : Problems in Racial Pluralism** ». International Social Science Journal Vol. XXIII. No. 4, 1971.

كوبر ، ليو . « التغيرات السياسية فى المجتمعات التعددية . مشكلات فى التعدد العنصرى ، مجلة علم الاجتماع الدولية ، المجلد الثالث والعشرون ، رقم ٤ ، ١٩٧١ .

Lichtenstadter, Ilse. « **Some References to Jews in Pre-Islamic Arabic Literature** ». Proceedings of the American Academy for Jewish Research. Vol. X. 1940.

ليشتنستادتر ، اليس . « بعض الاشارات الى اليهود فى الأدب العربى الجاهلى » . أعمال الأكاديمية الأمريكية للبحوث اليهودية ، المجلد العاشر ، ١٩٤٠ .

Nemoy, Leon, « **Jews and Arabs** ». Review of S.D. Goitein's book of the same name. The Jewish Quarterly Review. Vol. X Lvi. No. 4, 1956.

نيموى ، ليون « اليهود والعرب » . عرض لكتاب س.د. جويتاين بالاسم ذاته . المجلة اليهودية ربع السنوية . المجلد السادس والأربعون ، رقم ٤ ، ١٩٥٦ .

Robson, James. « **Ibn Ishaq's use of Isnad** ». Bulletin of the John Rylands Library. Vol. 38, 1955-56.

روبسون جيمس . « استعمال ابن اسحاق للاسناد » نشرة مكتبة جون رايلاندز ، المجلد ٣٨ ، ١٩٥٥ — ٥٦ .

— « Tradition ». **The Muslim World. Vol.** XLI. 1957 January April-and July.

« الحديث » • العالم الاسلامى - المجلد الواحد والأربعـون ـ ١٩٥٧ • يناير وأبريل ويوليو •

Serjeant, R. B. « The Constitution of Medina ». Islamic Culture. Vol. VIII. 1964.

سرجنت ر٠ب « دستور المدينة » • الثقافة الاسلامية • المجلد الثامن ـ ١٩٦٤ .

— « Ukhdud ». Bulletin of the School of Oriental and African Studies. XXII (1959).

ـ « الأخدود » • نشرة مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية • المجلد الثانى والعشرون (١٩٥٩) •

Smith Sydney. « Events in Arabia in the 6th Century A.D. », Bulletin the School of Oriental and African Studies. Vol. XVI (1954).

سميث ، سيدنى • « أحداث فى الجزيرة العربيـة فى القـرن السـادس الميلادى » • نشرة مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية • المجلد السادس عشر (١٩٥٤) •

Watt, W. Montgomery. « The Condemnation of the Jews of Banu Qurayzah », The Muslim World. Vol. XVII, 1952.

واط ، و• مونتجمرى • « الحكم الصادر على يهود بنى قريظة » • العالم الاسلامى • المجلد الثانى والأربعون ، ١٩٥٢ •

رابعـا ـ مراجع عامـة

The Holy Bible. The Authorized (King James) Version.

الكتاب المقدس • نص (الملك جيمس) المعتمد •

(١) دوائر معـارف :

Encyclopaedia Britannica 1967.

دائرة المعـارف البريطانيـة ١٩٦٧ •

Encyclopaedia of Islam. 1st Edition E 1 (1).

دائرة معارف الاسلام ـ الطبعة الأولى •

Encyclopaedia of Islam. New Edition E 1 (2).

دائرة معارف الاسلام ـ الطبعة الجديدة ·

The Encyclopaedia of the Jewish Religion 1965.

دائرة معارف الديانة اليهودية ١٩٦٥ ·

Encyclopaedia Jūdaica. Jerusalem 1971.

دائرة معارف « جودايكا » · القدس ١٩٧١ .

Encyclopaedia of Religion and Ethics 1908-27.

دائرة معارف الديانات والأخلاق ، ١٩٠٨ــ٧٧ ·

International Encyclopaedia of the Social Sciences 1968.

دائرة المعارف الدولية للعلوم الاجتماعية ١٩٦٨ ·

(ب) معــاجم :

ابن منظور · لسان العرب · بيروت ١٩٥٥ ·

الأصفهانى ، راغب ، المفردات فى غريب القرآن ـ القاهرة ، بدون تاريخ ·

Lane, Edward William. An Arabic-English lexicon. London and Edinburgh : William & Norgate 1863-93.

لين ، ادوارد ، وليم · قاموس عربى ـ انجليزى ، لندن وادنبرة ، ١٨٦٣ـ ٩٣ ·

ج ـ مرجع اخر :

حاجى خليفة (كاتب جلبى) كشف الظنون ـ ٧ مجلدات · طبعــة فلوجل Flugel ١٨٣٥ــ١٨٥٨ ·

اقرأ فى هـذه السـلسلة

احلام الاعلام وقصص اخرى	برتراند رسـل
الالكترونيات والحياة الحديثة	ى · رادونسكايا
نقطـة مقـابل نقطـة	الدس هكسـلى
الجغرافيا فى مائة عـام	ت · و · فريمـان
الثقـافة والمجتمـع	رايموند وليـامز
تاريخ العلم والتكنولوجيا (٢ جـ)	ر · ج · فوربس
الأرض الغـامضة	ليسـترديل راى
الرواية الانجليـزية	والتـر الن
المرشـد الى فن المسرح	لويس فارجـاس
آلهـة مصر	فرانسوا دوماس
الانسان المصرى على الشـاشة	د· قدرى حفنى وآخرون
القاهرة مدينة الف ليلة وليلة	أولج فولـكف
الهوية القومية فى السينما العـربية	هاشـم النحـاس
مجمـوعات النقـود	ديفيـد وليـام ماكدوال
الموسيقى ـ تعبير نغمى ـ ومنطق	عـزيز الشـوان
عصر الرواية ـ مقال فى النوع الأدبى	د· محسن جاسم الموسـوى
ديـلان توماس	اشراف س · بى · كوكس
الانسـان ذلك الكائن الفـريد	جـون لويس
الرواية الحـديثة	جـول ويست
المسرح المصرى المعـاصر	د· عبد المعطى شعراوى
على محمـود طـه	أنـور المعـداوى
القـوة النفسـية للأهـرام	بيـل شـول وأدبنيت
فن الترجمـة	د· صـفاء خلوصى
تولسـتوى	رالف ئى ماتلـو
سـتندال	فيكتـور برومبير

رسائل واحاديث من المنفى	فيكتور هوجو
الجزء والكل (محاورات فى مضمار الفيزياء الذرية)	فيرنر هيزنبرج
التراث الغامض ماركس والماركسيون	سدنى هوك
فن الأدب الروائى عند تولستوى	ف · ع أدنيكوف
أدب الأطفال	هادى نعمان الهيتى
أحمد حسن الزيات	د· نعمة رحيم العزاوى
اعلام العرب فى الكيمياء	د· فاضل أحمد الطائى
فكرة المسرح	جلال العشرى
الجحيم	هنرى باربوس
صنع القرار السياسى	السيد عليوة
التطور الحضارى للانسان	جاكوب برونوفسكى
هل نستطيع تعليم الأخلاق للأطفال	د· روجر ستروجان
تربية الدواجن	كاتى ثير
الموتى وعالمهم فى مصر القديمة	إ · سبنسر
النحل والطب	د· ناعوم بيتروفيتش
سبع معارك فاصلة فى العصور الوسطى	جوزيف داهموس
سياسة الولايات المتحدة الأمريكية ازاء مصر ١٨٣٠ ـ ١٩١٤	د· لينوار تشامبرز رايت
كيف تعيش ٣٦٥ يوما فى السنة	د· جون شندلر
الصحافة	بيير البير
اثر الكوميديا الالهية لدانتى فى الفن التشكيلى	د· غبريال وهبة
الأدب الروسى قبل الثورة البلشفية وبعدها	د· رمسيس عوض
حركة عدم الانحياز فى عالم متغير	د· محمد نعمان جلال
الفكر الأوربى الحديث (٤ جـ)	فرانكلين ل · باومر
الفن التشكيلى المعاصر فى الوطن العربى ١٨٨٥ ـ ١٩٨٥	شوكت الربيعى
التنشئة الأسرية والأبناء الصغار	د· محيى الدين أحمد حسين

نظريات الفيلم الكبرى	ج٠ دادلى أندرو
مختارات من الأدب القصصى	جوزيف كونراد
الحياة فى الكون كيف نشأت واين توجد	د٠ جوهان دورشنر
حرب الفضاء	طائفة من العلماء الأمريكيين
ادارة الصراعات الدولية	د٠ السيد عليوة
الميكروكمبيوتر	د٠ مصطفى عنانى
مختارات من الأدب اليابانى	صبرى الفضل
الفكر الأوربى الحديث ٢ ج	فرانكلين ل ٠ باومر
تاريخ ملكية الأراضى فى مصر الحديثة	جابريل باير
اعلام الفلسفة السياسية المعاصرة	انطونى دى كرسبنى
كتابة السيناريو للسينما	دوايت سوين
الزمن وقياسه	زافيلسكى ف ٠ س
أجهزة تكييف الهواء	ابراهيم القرضاوى
الخدمة الاجتماعية والانضباط الاجتماعى	بيتر رداى
سبعة مؤرخين فى العصور الوسطى	جوزيف داهموس
التجربة اليونانية	س ٠ م بورا
مراكز الصناعة فى مصر الاسلامية	د٠ عاصم محمد رزق
العلم والطلاب والمدارس	رونالد د٠ سمبسون ونورمان د ٠ اندرسون
الشارع المصرى والفكر	د٠ أنور عبد الملك
حوار حول التنمية الاقتصادية	والت وتيمان روستو
تبسيط الكمياء	فريد س هيس
العادات والتقاليد المصرية	جون يوركهارت
التذوق السينمائى	آلان كاسبيار
التخطيط السياحى	سامى عبد المعطى
البذور الكونية	فريد هويل شاندرا ويكرراما ماسينج
دراما الشاشة (٢ ج)	حسين حلمى المهندس
الهيروبين والايدز	روى روبرتسون
نجيب محفوظ على الشاشة	هاشم النحاس
صور افريقية	دوركاس ماكلينتوك

المخدرات حقائق اجتماعية ونفسية	بيتر لورى
وظائف الأعضاء من الألف الى الياء	بوريس فيدروفيتش سيرجيف
الهندسة الوراثية	ويليام بينز
تربية أسماك الزينة	ديفيد الدرتون
الفلسفة وقضايا العصر (٣ جـ)	جمعها : جون ر · بورر وميلتون جولد ينجر
الفكر التاريخى عند الاغريق	أرنولد توينبى
قضايا وملامح الفن التشكيلى	د· صالح رضا
التغذية فى البلدان النامية	م·هـ· كنج وآخرون
بداية بلا نهاية	جورج جاموف
الحرف والصناعات فى مصر الاسلامية	د· السيد طه أبو سديرة
حوار حول النظامين الرئيسيين للكون	جاليليو جاليليه
الارهاب	اريك موريس وآلان هو
اخناتون	سيريل الدريد
القبيلة الثالثة عشرة	آرثر كيستلر
التوافق النفسى	توماس ا · هاريس
الدليل الببليوجرافى	مجموعة من الباحثين
لغة الصورة	روى أرمز
الثورة الاصلاحية فى اليابان	ناجاى متشيو
العالم الثالث غدا	بول هاريسون
الانقراض الكبير	ميخائيل ألبى ، جيمس لفلوك
تاريخ النقود	فيكتور مورجان
التحليل والتوزيع الأوركسترالى	اعداد محمد كمال اسماعيل
الشاهنامة (٢ جـ)	الفردوسى الطوسى
الحياة الكريمة (٢ جـ)	بيرتون بورتر
كتابة التاريخ فى مصر	جاك كرابس جونيور

عن النقد السينمائى الأمريكى	ادوارد ميرى
ترانيم زرادشت	اختيار / د٠ فيليب عطية
السينما العربية	اعداد / مونى براخ وآخرون
دليل تنظيم المتاحف	آدامز فيليب
سقوط المطر وقصص اخرى	نادين جورديمر وآخرون
جماليات فن الاخراج	زيجمونت هبنر
التاريخ من شتى جوانبه (٣ جـ)	ستيفن أوزمنت
الحملة الصليبية الأولى	جوناثان ريلى سميث
التمثيل للسينما والتليفزيون	تونى بار
العثمانيون فى اوربا	بول كولنر
صناع الخلود	موريس بيير براير
الكنائس القبطية القديمة فى مصر (٢ جـ)	الفريد ج ٠ بتلر
رحلات فارتيما	رودريجو فارتيما
انهم يصنعون البشر (٢ جـ)	فانس بكارد
فى النقد السينمائى الفرنسى	اختيار/ د٠ رفيق الصبان
السينما الخيالية	بيتر نيكوللز
السلطة والفرد	برتداند راصل
الأزهر فى الف عام	بيارد دودج
رواد الفلسفة الحديثة	ريتشارد شاخت
سفر نامة	ناصر خسرو علوى
مصر الرومانية	نفتالى لويس
الاتصال والهيمنة الثقافية	هربرت شيلر
مختارات من الآداب الآسيوية	اختيار / صبرى الفضل
كتب غيرت الفكر الانسانى (٣ جـ)	أحمد محمد الشنوانى
الشموس المتفجرة	اسحق عظيموف
مدخل الى علم اللغة	لوريتو تود
حديث النهر	اعداد/ سوريال عبد الملك
من هم التتار	د٠ أبرار كريم الله
ماستريخت	اعداد/ جابر محمد الجزار
معالم تاريخ الانسانية (٤ جـ)	هـ ٠ ج ٠ ولز

الحمـــلات الصـــليبية	ســتيفن رانســيمان
حضـارة الاسلام	جوســتاف جرونيبــاوم
رحـلة بيــرتون (٣ جـ)	ريتشارد ف · بيرتون
الحضـــارة الاســلامية	أدمـز متـــز
الطفـــل (٢ جـ)	ارنولـد جـــزل
افريقيـا الطـريق الآخـــر	بادى اونيمـــود
السـحر والعـلم والـدين	فيليب عطيـــة
الكـون ذلك المجهـــول	جـــلال عبد الفتـــاح
تكنـــولوجيا فن الزجـاج	محمـــد زينهـــم
حـــرب المســتقبل	مارتن فان كريفـــلد
الفلسـفة الجـوهرية	ســـونداری
الاعـــلام التطبيقى	فرانسيس ج · برجين
تبسـيط المفـاهيم الهندسـية	ج · كارسيـــل
فن المايم والبـــانتومايم	توماس ليبهـــارت
تحـــول الســـلطة	الفين توفـــلر
التفكيـــر المتجـــدد	ادوارد وبونـــو
الســـيناريو فى السينما الفرنسية	كريســـتيان ســـالين
فن الفــرجة على الأفـــلام	جـــوزيف · م · بوجـــز
خفايا نظـــام النجـــم الأمريكى	بـــول وارن
بين تولستوى ودستويفسكى (٢ جـ)	جـــورج ســـتاينر
ما هى الجيولوجيا	ويليـــام هـ · ماثيـــوز
الحمـــر والبيض والســـود	جـــارى ب · ناش
انواع الفيـــلم الأميركى	ســتالين جين ســولومون
رحلة الأمير رودلف ٢ جـ	عبد الرحمن الشـــيخ
رحلات ماركوبولو ٣ جـ	عبد العزيز جـــويد
الفيلم التســـجيلى	محمود ســـامى عطا الله
الرومانتيكية والواقعية	يانـــكو لافرين
نظرية التصـــوير	ليوناردو دافنشى
تاريخ العلم والحضارة فى الصين	جوزيف نيدهـــام

تطلب كتب هذه السلسلة من :

- باعة للصحف ·
- مكتبة للهيئة ·
- المعرض الدائم للكتاب بمقر الهيئة ·
- منافذ التوزيع فى أماكن وفروع الثقافة الجماهيرية وهى كما يلى :

— الوادى الجديد ·· الداخلة والخارجة ·

— البحيرة ·

— المنيا ·

— دمياط ·

— فارسكور ·

— القليوبية (بنها) ·

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذا الكتاب

.. نموذج حى للبحث التاريخى فى أعلى مستوياته، وقصة كاملة حكيت دون تحيز ودون التزام مسبق.

وهذا الكتاب يساهم إسهاماً حقيقياً فى تيسير فهمنا لحدث من الأحداث الهامة فى تاريخ الإسلام واليهود وهو حدث اصطبغت به العلاقات بين المجموعتين المذكورتين منذ ذلك اليوم إلى الآن.

البروفسور ف. إ. تبرز

جامعة نيويورك

لعل هذه أول دراسة موضوعية (للموضوع)، يقوم بها مسلم... والدكتور بركات أحمد يستحق التهنئة على اضطلاعه بهذه الدراسة

البروفسور نور الحسن

جامعة دلهى

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب